السيد عبد الحسين دستغيب

سيد الشهداء

دار البلاغة

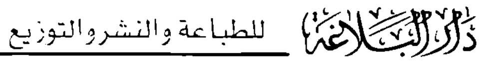
سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ

سيد الشهداء



الطبعة الثانية
١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

ISBN 9789953551166



لبنان - هاتف: 5 / 344 544 9611+ - فاكس: 787 546 9611+ - ص.ب: 16/25 الغبيري

E-mail: dar_albalagha@hotmail.com



السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة

نبيل سعودي

دار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

دور الحسين في الاسلام

نقطة تحول في تاريخ الاســلام

إنّ ثورة الإمام الحسين هي منعطف في التاريخ الإسلامي يسترعي الانتباه كالكوكب المتلألىء ، ويفتح فصلاً جديداً في حياة البشرية ، فهي الثورة التي كانت الأساس للثورات التالية ، والحركة الفريدة التي أدّت إلى تحرك أغلب الحركات ، والنهضة المتميزة التي سببت يقظة الجماهير وظهور الأفكار الجديدة المطالبة بالتحرر الذي يتلخص في العبودية لله ، والذي أيقظ من خلال شعار :

الموت أولىٰ من ركوب العارِ   والعار أولىٰ من دخول النارِ

و« إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون يوم المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم » . أيقظ روح الحمية والرجولة في الغافلين ، وأوضح طريق العبودية بالرضا والتسليم لله عندما قال بلوعة :

« إلٓهي رضا بقضائك وتسليماً لأمرك ، لا معبود لي غيرك » .

ودلّ على طريق الحبّ الحقيقي بمناجاته :

تركتُ الخلق طرّاً في هواكا   وأيتمت العيال لكي أراكا
لئن قطعتني في الحب إرباً   لما حَنّ الفؤاد إلى سواكا

حساسية الموقف وزخرف الباطل

بعد مرور نصف قرن على رحيل خاتم الأنبياء (ص) ، وخمس وعشرين سنة على خلافة الخلفاء الثلاثة ، ومن ثم استيلاء بني أمية على الحكم ، حُرفت الحقائق وفقد الإيمان معناه الحقيقي ، وأصبح التظاهر بالإسلام وسيلة للتسلّط والتحكم ، وقد انقلبت الحقائق بشكل أصبحت معه مخالفة وسبّ مَعْلم الإيمان والإسلام علي (ع) وآله دليلاً على الإسلام ، وبمرور الزمن أصبح قتل الشيعة سُنّةً وكانوا يعلمون الصبيان في الكُتّاب الثناء على الظالمين وكأنّه وحي منزّل ، ويقدمون الإسلام بوصفه ظاهراً جافاً وأعمالاً جوفاء .

يقظة الشعوب : أول نتائج الثورة

أول أثر من آثار ثورته (ع) هو توعية عامة الناس إلى أنّ الإسلام الحقيقي هو غير ذلك السائد ، بل على العكس منه تماماً ، حيث أثار سبط النبي (ص) - بموقعه المتميز الفريد - انتباه المجتمع آنذاك إلى الإسلام الحقيقي لكي لا ينخدع بأقوال الظالمين الذين لا دين لهم ، والذين كانوا يطمسون حقيقة الإسلام باسم الإسلام ، وليعلموا أنّ الإسلام الحقيقي يعني التسليم لأمر الله ، ويتطلب أن لا يشرك معه أحداً في عبادته ، وأن تكون الإطاعة منحصرة في الله ومن يمثّله حقاً ، باختصار : أن يكونوا وحدانيين في المعرفة والعبادة والحب .

الحب غير قابل للفسخ

أوضح الحسين (ع) بثورته الباسلة أنّ حبّ الله هو ضروري للإيمان ، قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشدّ حباً لله ﴾[1] ، بل وصف الذين يحبّون غير الله بالفاسقين ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله**

---

(١) البقرة : ١٦٥ .

ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[2] .

وبمراجعة اصطلاحات القرآن نجد الفاسق يذكر أحياناً في مقابل المؤمن **﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ، لا يستوون ﴾**[3] .

فالنتيجة إذن هي : إنّ الذين لا يحبّون الله أكثر من سواه ليسوا بمؤمنين .

وبمراجعة هذه الآيات والروايات المنقولة عن النبي (ص) حول حبّ أهل البيت يظهر جليّاً وجود علاقة وثيقة بين حبّ الله وما هو متعلق به ، وبين الإيمان ، أي أنّه كلما ازداد الإيمان ازداد معه الحبّ .

ثبات الاسلام ببركة الثورة الحسينية

أظهر الحسين العزيز بثورته للجميع حقيقة الحبّ والتعلق الصادقين وأنّ من الواجب أن يتعامل الإنسان بطهر في ساحة المحبة ، ويطرد عنه كل ما هو أناني وذاتي ، وأن يقدم روحه على طبق الإحسان للمحبوب وعلى طريقه ، لذلك كان لدور الحسين أعمق الأثر في الإسلام ، وقد فسّر بعضهم الحديث النبوي المشهور « حسين منّي وأنا من حسين » بمعنى : أنّ بقاء الإسلام ورسوخه كان ببركة الحسين (ع) .

حبّ المؤمنين لآل علي

إنّ من نعم الله على المؤمنين ، حبّهم لآل النبي وإيمانهم بهم ـ التزاماً لأمر الله تعالى ورسوله المصطفى صلّى الله عليه وآله ـ ، ومنذ السنوات الأولى للتاريخ الإسلامي ربطت المؤمن بآل علي أواصر قوية ، وكان أقوى دوافع جميع أو أغلب الثورات المتتابعة في التاريخ الإسلامي ذات الصبغة الإسلامية ، هو حبّ آل علي المظلومين والعداء للظالمين الغاصبين .

---

(٢) التوبة : ٢٤ .

(٣) السجدة : ١٨ .

فثورة المختار المدعومة من الموالي تحت شعار الطلب بثأر الحسين وثورة أبي مسلم الخراساني ، ونهضة صاحب الزنج في البصرة ، وأمثال ذلك ، كانت تستقي من الشعور الطاهر تجاه هذه العائلة ، حتى أصبحت محبّة أهل البيت سبباً لاستقلال إيران ، والتحرر من سلطة الخلفاء العثمانيين أيام الصفويين .

وخلال العام بأكمله ـ وخاصة في عاشوراء الحسين ـ يُجدد العهد مع أبي عبد الله وآل العصمة والطهارة ، وهو ما يكون مصحوباً حقّاً بالبركات التي لا تعدّ ولا تحصى دنيوية أم أخروية .

وعلى أي حال فإنّ للشعار الديني رونقه الخاص في هذه الأيام الشريفة ، حيث ترتفع أعلام الحداد خفّاقة وتقام المجالس الرائعة الكثيرة ، ويتبرّك الشيعة بذكر وباسم الإمام الحسين (ع) .

اتّساع البحوث حول الحسين

إنّ رواج الأبحاث المتعلقة بالحسين (ع) كان على أشدّه بين المسلمين قياساً إلى باقي الأمم ، ونتيجة الاهتمام بواقعة كربلاء فإنّ أسئلة عدة تطرح نفسها مثل : هل كانت واقعة كربلاء تقديراً إلّهياً ؟ وإن كانت كذلك فلماذا قدّرها الله ؟ هل إنّ التقدير الإلّهي يستوجب الجبر ؟ وعلى ذلك فالحسين وأصحابه ليسوا مُثابين لأنّهم كانوا مجبَرين ، ولا ينبغي معاقبة قاتليهم لأنّهم مجبرون أيضاً ، هل كان الحسين يعلم بأنّه سيُقتل أم لا ؟ وإن كان يعلم فلماذا ألقى بنفسه في التهلكة عامداً ؟ وإن لم يكن يعلم فكيف يظل إمام بدون علم بأمر مهمّ كهذا ، وهو ما لا يتفق مع علم الإمام ؟ وبغض النظر عن هذا كلّه ، ما الهدف الذي توخّاه الإمام الحسين من ذهابه إلى العراق ؟ أكان طلباً للرئاسة وتشكيل حكومة ؟ أم للنهي عن المنكر ، أو كما يقول العوام : ضحى بنفسه لأجل أن يشفع لمذنبي الأمّة .

والأمر الآخر : لماذا اصطحب معه النساء والأطفال ؟ لماذا يحمّل عائلته

مشقّات السفر إن كان يعلم أنّه سيُقتـل ؟ إنّ مصيبة ولـوعة فقـدان الرجـال كانت تكفيهم ، فلماذا أضاف إليها مرارة الأسر ؟ .

هذه وأمثالها من الأبحاث ماتزال لسنوات تُتناول على المنابر وينظم حولهـا الشعر والنثر في كتب المراثي والمقاتل ، وأخيراً أصبحت موضع تحليـل من قبل العلماء في كتب التحقيق ، وكل يبدي فيها رأيه حسب ما يرتأيه .

تعريف بالكتاب

يشتمل هذا الكتاب على عشر محـاضرات لآيـة الله عبد الحسين دستغيب ـ دامت بركاته ـ ألقيت في مجالس الغراء التي أقيمت في محرم سنة ١٣٧٥ هـ ، وقد طبعت قبل عدّة سنوات ، ونحن نقدمها اليوم للقرّاء الكرام مضافاً إليها عشـر محاضرات أخرى لسماحته ألقاها في عشرة أخرى من عاشوراء .

والكتـاب على صغر حجمـه مشتمل على معلومـات كثيرة نـافعة من بينهـا إجابات على الأسئلة الواردة آنفاً ، بلغة سهلة قابلة للفهم من قبل عامـة الناس ، ويمكن القول بجرأة أنّ مطالعته بدقّة تغني القارىء عن مطالعـة الكثير من الكتب التي تناولت هذه الأبحاث، كما أجيب فيه على أحسن وجه على الذين يعترضون على زيارة الحسين أو إقامة مراسم العزاء لأجله ، أو السجود على تربته ، وفضح مغالطات بعض الجهلة الـذين يرون في الـروايات الخـاصة بفضـل إقامـة العزاء وزيـارة قبر الحسين سبباً للغرور ، واعتبـر أنّ المتـوسـل الحسيني سيـزداد أمـلاً ورجـاءً ، وعندمـا يقرن ذلـك بالتـوبـة وطلب الشفـاعـة سيحصـل على النتيجـة المرجوة .

الهدف السامي لثورة الحسين

كذلك أوضح في هذا الكتاب أنّ الهدف السـامي للإمـام الحسين (ع) هو تعريف الإيمان وحقيقة العبودية ، وأوضح أنّ الإمام كان أسمى من طلب الرئاسة وتشكيـل الحكومـة ، حيث يثبت المؤلف في هذا الكتـاب أنّ الحسين كان يعلم

بـأنّه سيقتـل في سفره ذاك ، وعلى ذلـك رأى أنّ واجبه الخـطير هـو في التحرّك وحفظ القرآن بقتله ، وبتقديم حياته دون أن يرمي بنفسه إلى التهلكة ، بل إنّـه لو لم يذهب إلى كربلاء لحكم على أن يقتل نفسه بيده إلى الأبد .

أمّا اصطحابه النساء والأطفال ، فقد كان ضرورياً أيضاً ليجابه إعلام السوء الموجّه من قبل بني أميّة فيما بعد ولفضحهم ، وفي الحقيقة فإنّ أسر النساء كـان متمماً لثورة واستشهاد الحسين ، لكي يسقي البرعم الذي زرعه وينميه .

عشرات المواضيع الأخرى

كما ستُقدم لكم في هـذا الكتاب عـدّة مواضيـع جميلة مختصرة في نفس الوقت ، نشير إلى قسم منها : شرف نسب الحسين وعظمة شأنه ، غيرته وصبره وحلمه وحيائه وكرمه وصلته للرحم ، رحمة الله الواسعة ، بركات المحبة وظهـور كمـالات المحبوب في المحب ، التـوسل بـأبي عبد الله وآثـار البكاء عليـه عند المـوت وفي عالمي البـرزخ والقيامـة ، الـذنب يحجب المحبـة وإشعـاع النـور الحسيني .

باختصار فإنّ مطالعة إجمالية لفهرست الكتاب تظهر بوضوح أهميته لكـافة طبقات الناس ، فعـلاوة على زيادة معلومـاتهم الدينيـة فإنّـه يجيب على كثير من الإشكالات ويشجع القرّاء على التمسك بآل العصمة والطهارة .

محمد هاشم دستغيب

شيراز ١٣٥٧/٧/٢٢ الموافق ١١ ذو القعدة ١٣٩٨

يوم ميلاد الإمام الرضا

ـ ١ ـ

الحسن والحسين في مباهلة النبي

يقول الزمخشري ـ وهو أحد علماء العامة ـ في تفسير الكشاف ضمن آية المباهلة : عندما يتقابل الطرفان المتخاصمان ، فإنّ قانون المباهلة يقتضي أن يعطي أحدهما يده للآخر ويدعوا على بعضهما كي يعذّب الله ويهلك الطرف الذي ليس على الحق ، ولكن لم يشاهد في المباهلة أن يؤتى بالنساء والأطفال ويجعلوا في موضع الدعاء ، كيف حدث أن أمر الله تعالى بدعوة النساء والأطفال ؟ .

قال الزمخشري : قلت : ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه ، حيث استجرأ على تعريض أعزّته وأفلاذ كبده وأحبّ الناس إليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك الإستئصال إن تمّت المباهلة ، وخصَّ الأبناء والنساء لأنّهم أعزّ الأهل وألصقهم بالقلوب ، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ، ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق ، وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على ألطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنّهم مقدمون على الأنفس مفدون بها .

وفيه دليل لا شيء أقوى منه على أفضل أصحاب الكساء عليهم السلام ، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلّى الله عليه وسلم ، لأنّه لم يـروِ أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك .

قيمة الحسنين ، سبطا النبي

الأمر الثاني في بحثنا هو أنّ الله تعـالى أمر نبيّـه بأن يـأتي بأهـل بيته ليفهم الناس مقدار قيمة هؤلاء عند ربّ العالمين ، ولا أعرف برهاناً أقوى من المبـاهلة في إظهار وتبيان شـأن أصحاب الكسـاء ، فمع وجـود هذا العـدد من الأصحاب والأنصار والشيوخ اختار الله هذين الطفلين ، والله لا يفرّق بين كبير وصغير .

النقــطة الأخـرى التي تستــرعي الإنتبـاه في الآيــة الشـريفــة هي كلمـة « أبناءنا » ، فبالرغم من كون الحسن والحسين ولدي الزهراء (ع) إلاّ أنّ الله عبّر عنهما بأبناء النبي ، إنّه نص الآية الشريفة ، ولو لم يكن الأمر كذلك ، لما سمح المتعصبون لأحد أن يقول عن الحسنين أنّهما أبناء رسول الله .

جواب الامام الرضا للخليفة المأمون

سأل الخليفة المأمون الإمام علي بن موسى الرضا : لماذا يسمونكم أبنـاء النبي ؟ أجاب الإمام (ع) ألم تقـرأ آية المبـاهلة ؟ ثم لو أنّ النبي طلب إليـك أن يتزوج من ابنتك ، فهـل كنت توافق على تـزويجه ؟ قـال المأمـون : نعم وبكل فخر ، فردّ الإمام ولكنه لا يتزوج ابنتي .

وتبعـاً لذلـك أفتى الشريف المـرتضي بأنّ الخمس لا يتعلق فقط بمن هـو هاشمي من طرف الأب ، بل يصل إلى من أمه هاشمية أيضاً .

وعلى أي حـال ، فالهـدف من كلمة « أبنـاءنـا » من آيـة المبـاهلة هـو أنّ الحسن والحسين ابنا رسول الله .

الحسنان وسورة هل أتى

من السور القرآنية الشريفة الدالّة على جلالة قدر وعظمة شأن هذين السيدين : سورة « هل أتى » ، التي سمعتم باختصار سبب نزولها : بعد أن نذر الإمام علي والزهراء أن يصوما ثلاثة أيام إذا ما شفي الحسنان من المرض ، وفيا بنذرهما وصاما ، وقد اقتدىٰ الحسنان ـ على صغر سنهما ـ بوالديهما الكريمين وصاما أيضاً ، وفي الليلة الأولى عندما حلّ موعد الإفطار ، جاء مسكين فأعطوه جميع طعامهم ، وأفطروا بالماء ، وفي الليلة الثانية جاء يتيم فأعطوه طعامهم وأفطروا بالماء أيضاً ، وفي الثالثة جاء أسير وقال إنّه جائع فرحموه وأعطوه جميع طعامهم وأفطروا بالماء ، وفي اليوم الرابع شاهد أمير المؤمنين الحسنين وهما يرتجفان كالفراخ وكيف كان سيكون حال طفلين نهضا لتوّهما من فراش المرض وصاما ثلاثة أيام متتابعة ، أفطرا خلالها بالماء ، وقد تأثّر النبي كثيراً حينما رآهما على تلك الحال ورفع يديه بالدعاء ، فنزلت حينذاك سورة « هل أتىٰ » وفيها **﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيرا * ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾** الإنسان ٦ ـ ٩ .

ـ ٢ ـ

الحبيب مع المحبوب في الآخرة

« من أحب شيئاً حشره الله معه ، ولو كان حجراً »

إنّه حديث من الروايات المسلّم بها .

عالم المحبة عالم عجيب جداً « والهوى يأتي بكل غريبة » ، وجاذبية المحبة هذه هي التي ستجمع الحبيب بالمحبوب حتى لو كان المحبوب في درجات عالية ، والمحبّ في درجات واطئة جداً ، يقول الإمام الصادق (ع) : « هل الدين إلّا الحب والبغض ؟ » ، أي حبّ أهل البيت ومعاداة أعدائهم ، (باعتبارهما مظهر حبّ الله تعالى ونبيّه المصطفى صلّى الله عليه وآله ومظهر معاداة أعدائهما) .

فالولاية هي أساس الدين ، وعلى أيّ درجة من الصغر تكون ، نأمل أن يوصلنا حبّ هذا البيت إليها .

الذنوب تسبب البعد

من الواجب أن يتجنّب الإنسان العوامل التي تؤدي إلى زوال أو نقصان المحبة ، والابتعاد عن الذنوب بالدرجة الأولى والمكروهات بالدرجة الثانية ، علاوة على التوجّه إلى الأعمال الموجبة لزيادة المحبة ، فكلما أكثرتم من إظهار

المحبّة والمودة لأهل البيت ـ قدر المستطاع ـ كان خيراً لكم ، وكلما ازداد ذهابكم إلى المجالس الحسينية وسكبتم الدموع ، توطدت علاقتكم أكثر بالحسين .

وكما أنّ للتنفس في شهر رمضان ثواب التسبيح « أنفاسكم فيه تسبيح » فإنّ كلّ نفس تتنفسونه في مجلس عزاء الحسين أو أي وقت تحملون همّ الحسين فيه ، له ثواب التسبيح .

باب الحسين رحمة شاملة

للشيخ الشوشتري كلمات جميلة في باب الخطبة الشعبانية للنبي الأكرم حول شهر رمضان وتطبيق ذلك على المآتم الحسينية حيث يعلّق فيها على الجملة القائلة : « أيّها الناس إنّ أبواب الجنان مفتحة » يذكر أبواب الجنة قائلاً : إذا أغلقت هذه الأبواب بوجهك ، أي أنك لم تستطع الدخول بسبب ذنوبك ، فهناك باب لا يحرم أحد منها وطريقها سهل جداً ، وتشمله رحمة الله الواسعة ، وستشمل أي شخص في أي مكان وعلى أي حال كان ، ترى هل ترغب في معرفة هذه الباب وتدخل الجنة ؟ إنّها باب الحسين ، وطريقها التأثّر والحزن على أبي عبد الله الحسين .

ويقول الشيخ : إذا سُدّ عليك باب التوبة ، بسبب وجود شروط لا تستوفيها لقلّة العمل ، فهناك لطف عظيم لا يُردّ عنه أي أحد ، فلأنّه محبّ للحسين فلن يحرم منه ، حتى لو لم يكن تائباً(*) ، والدليل على ذلك هو الحديث الشريف الذي ذكره ـ إضافة إلى الشيعة ـ مجموعة من العلماء السنّة ، يحضرني الآن منهم : الإمام الفخر الرازي في تفسير آية المودّة ، والزمخشري والثعلبي في تفسيريهما ، وكذلك الواحدي وابن الجوزي وابن الصباغ المالكي وآخرون ، حيث ذكروا أنّ رسول الله (ص) قال : من مات على حبّ آل محمد

(*) لعلّ المراد أنّه ببركة الحسين (عليه السلام) لا بد وأن يوفق للتوبة حتى إذا لم يكن في بداية أمره تائباً .

مات شهيداً ، من مات على حبّ آل محمد مات مستكملاً الإيمان ، ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد بشّره ملك الموت بالجنّة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد وسّع الله في قبره وفُتح له بابان إلى الجنّة ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد حشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد تُزف له الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات على السنّة والجماعة .

قال السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه « الفصول المهمة » عن أهل البيت والردّ على أعدائهم : بعد مرور ثمانين عاماً من عمري ، أعلم أنّ لا شيء عندي للدار الآخرة ، إلاّ أنني أوصيت أولادي أن يكتبوا هذا الحديث على كفني ، فهو سيكون سبب طمأنينتي ورجائي .

- ٣ -

طريق الحسين طريق القلب

لكل شيء ربيع ، وربيع العزاء الحسيني هو عشرة عاشوراء ، إن اسم الحسين أو قبر الحسين موجب للإنكسار [انكسار القلب] كما أنّ هذه الأيّام المنسوبة لهذا الإمام هي سبب حزن القلب .

إنّ هدفي من هذا ـ ونحن في بداية عشرة عاشوراء ـ أن نسعى للإستفادة من هذه الرحمة الواسعة ، وأن نطلب الحاجات الأخروية الباقية ودرجات الكمال .

طريق الحسين طريق القلب بل هو طريق الله ، فإذا اتّجه أحد بقلبه إلى الحسين ، واستذكر المصائب والأمور التي مرّت به ـ خاصة في هذه الأيام ـ فسيكون قلبه كسيراً حتماً .

إنّ كل شيء عندما ينكسر تقلّ قيمته ، إلاّ القلب فإنّ قيمته تتضاعف كلما ازداد انكساراً ، بحيث يصبح قبراً للحسين « في قلوب مَن والاه قبره » ، أي أن يصبح المكان الذي يشع فيه نور الحسين ، فأي تأثير سيكون عندها لهذا القلب ؟ .

الذنب مانع لشعاع النور الحسيني

إنّ كل ذلك يكون بشرط عدم وضع الحواجز ، وقساوة القلب هي الحاجز الذي يقف أمام شعاع النور الحسيني ، فإذا لم يمتنع أحد عن موجبات قساوة القلب إلى الدرجة التي يصبح معها قلبه قاسياً فلن يكون هناك مكان لنور الحسين « فويل للقاسية قلوبهم » ، لأنّ نور الحسين يكون مع رقّة القلب .

وأكبر مورثات قساوة القلب : الذنب ، لأنّه لا يدع الإنسان يستفيد من إيمانه ومحبّته ، بل سيجره إلى الكفر والإلحاد إن كان عديم الحياء عنيداً لا سمح الله ﴿ **ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوء أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون** ﴾[٤] .

بعض المباحاة والمكروهات تجلب القساوة أيضاً ، كالضحك الكثير وخاصة القهقهة ، لذا ينبغي على الإنسان في عشرة عاشوراء هذه أن يكون صاحب عزاء ، ترى هل يقهقه من يشاهد مصيبة ، علينا إذن أن لا نضحك في هذه الأيام .

ظلمة القلب والغفلة

ورد في « أصول الكافي » رواية مضمونها أنّ القلب يكون أبيض في البداية ، وعندما يذنب الإنسان ذنباً ، فإنّ بقعة سوداء تظهر عليه ، فإن تاب تنمحي تلك البقعة ، وإلاّ فإنّها ستكون سبباً للكدر والظلام ، إلى الدرجة التي من الممكن أن يستولي الظلام معها على القلب بأسره ، ولن تستطيع الموعظة بعدها أن تؤثّر فيه ، فتصبح آيات القرآن بالنسبة له عبارة عن قصص ، ولا تؤثّر فيه المصائب التي حلّت بالحسين (ع) .

يجب علينا أن نهيء أنفسنا لعاشوراء ، ليكون بمقدورنا الاستفادة ، أي أن نتوب من ذنوبنا توبة حقيقية ـ اللهم اغفر لنا زلاّتنا بحق الحسين (ع) ـ .

---

(٤) الروم : ١٠ .

إذا تملكك الحزن منذ ظهور هلال محرم ، فأبشر بأنّك ممن تشملهم هذه الرواية « شيعتنا خُلقوا من فاضل طينتنا وعُجنوا بماء محبتنا ، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا » ، والشاهد على ذلك هو حزنكم أيّام حزن آل محمد (ص) ، كل إمام من أئمتنا لم يكن يضحك منذ رؤية هلال محرّم ، ويزداد حزنه يوماً بعد يوم حتى عاشوراء .

وبعون الله ، فالمقرر أن أبحث بعض المواضيع ، وأوّلها هو أن نعلم أنّ الواجب كان يحتّم على الإمام الحسين التحرّك نحو كربلاء .

الثورة وجبت على الحسين

يمكن أن ترد على الذهن بعض الشبهات ، أو تشاهد في كتب المعاندين انتقادات مثل التمسّك بالآية الشريفة ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ التي سيتضح جوابها تلقائياً ، ولتوضيح وجوب تحرّك أبي عبد الله نحو كربلاء وقتله ، يجب أن نذكر مقدمات تحركه لعدة أشهر سبقت ثورته .

وخلاصة ما رواه الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس والآخرون ، أنّ الشيعة في الأقاليم قد أعلنوا ولاءهم ـ بعد شهادة أخيه الحسن ـ عن طريق الرسل والرسائل يعلنون فيها عن بيعتهم له بشرط أن يقدم هو على الثورة ، لكن مستلزمات خروج الحسين لم تكن قد تهيأت بعد ، لأنّ معاوية لم يكن متجاهراً بالفسق كيزيد بل كان يتظاهر بمراعاة الإسلام إلى حدٍّ ما .

وصية معاوية ليزيد

أوصى معاوية قبل موته ولده يزيد : لقد هيأتُ كل شيء لحكمك وطوّعت كل المخالفين إلاّ ثلاثة لم يوافقوا على مبايعتك وهم : أبو عبد الله الحسين ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، أمّا ابن عمر فإنّه لو تركته وشأنه فإنّه سيعتزل ولن يضايقك بشيء ، وأمّا إذا وقع ابن الزبير في يدك فقطعه إرباً إرباً ، وأمّا الحسين فيجب أن لا تتعرض له .

والواقع أنّه لم يقل ذلك خوفاً على ابنه من عقاب الآخرة ، فهو الذي قتل الحسن (ع) وقضى على أعوانه وأصحابه بأبشع الصور ، لكنه كان قلقاً خائفاً على حكومة ابنه من أنّ يسبب مقتل الحسين زعزعة سلطة بني أميّة ، إلاّ أنّ البائس يزيد كتب ـ بعد موت أبيه مباشرة ـ رسالة إلى عامله على المدينة أمره فيها بإحضار هؤلاء الثلاثة وأخذ البيعة منهم ليزيد ، وأن يأتي برؤوسهم إن هم أبوا ذلك .

أمّا الوليد الحاكم فقد أطلع مروان بن الحكم على الرسالة واستشاره ، فأجاب مروان بأن ينتهي من ذلك العمل قبل انتشار خبر موت معاوية في المدينة ، ثم أرسلوا في طلب الحسين ، الذي طلب من ثلاثين من بني هاشم أن يتسلحوا ويأتوا معه وينتظروه في الخارج ، فإذا سمعوا صوتاً دخلوا .

فأخفوا أسلحتهم تحت ملابسهم ، ودخل الحسين ، وكان مروان يجلس إلى جانب الوليد ، فقام الوليد أولاً بإبلاغ خبر موت معاوية ، ثم طرح موضوع البيعة فأجاب الحسين : إنّ مثلي لا يعطي بيعته سرّاً ، دعها إلى الغد ، فوافق الحاكم ، إلاّ أنّ مروان توجّه إلى الوليد قائلاً : إذا خرج الحسين الآن فلن تحصل عليه بعد هذا ، اقطع رأسه حالاً وأرسله ليزيد ، فوثب الحسين وقال : ياابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو ؟ وفجأة دخل فتيان بني هاشم ، فخاف هذان البائسان إلى الحدّ الذي قالا فيه تفضل واذهب فالأمر إليك .

خرج عليه السلام وقضى الليلة حتى الصباح عند قبر جدّه وهو يدعو : اللهم إنّك تعلم أنّ الحسين لا يريد سوى رضاك ، فاختر لي ما فيه رضاك ، وقرب الصباح أغفى إغفاءة قصيرة فرأى في المنام جدّه النبي يقول : عزيزي حسين ، إنّ لك درجة عند الله لا تنالها إلاّ بالشهادة ، اذهب إلى العراق .

قال (ع) : يا جدّاه خذني معك ، كي لا أعود إلى الدنيا ، فقال (ص) : هكذا أراد الله .

وفي اليوم التالي التقى مروان بالحسين في الطريق فسلّم عليه قائلاً : إنّي

أنصحك بمبايعة يزيد فهو خير لك في الدارين ، فقال الحسين : وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد .

لقد كانت مبايعة الحسين تعني التوقيع والموافقة على كل أعمال يزيد ، وستكون نتيجة ذلك تضييع جهود ثلاث وعشرين سنة من جهود النبي ، ولذلك قال : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : حُرّمت الخلافة على آل سفيان .

وقد ذكرت بعض التفصيلات في التواريخ الإسلامية من بينها حديث جرى للوليد مع مروان عندما كان مروان يحرضه على قتل الحسين قبل أن يفلت من يده ، قال فيه الوليد : ويلك أتريدني ـ لأجل يزيد ـ أن أكون شريكاً في دم الحسين لأكون مسود الوجه أمام جدّه يوم القيامة ؟

وعلى أي حال ، قرر الحسين مغادرة المدينة ، وكان بنو هاشم يحيطون به ، ومن بينهم أخوه محمد بن الحنفية الذي قال له : أخي ، إنّك أحبّ الناس إليّ وأعزّهم عليّ ولست ادّخر النصيحة لأحد من الخلق إلاّ لك وأنت أحقّ بها ، سيدي أنت مولى جميع المسلمين ، فإن بقيت في المدينة فسيقتلونك ، فاذهب إلى مكان ليس ليزيد سلطة عليه ، واكتب من هناك رسائل إلى الأمصار ، فإن حصلت على أنصار ، فأعلن الثورة حينذاك ، فتساءل الحسين : أين أذهب ؟ أجابه أخوه إلى مكة التي جعلها الله وادياً آمناً ، وإذا تجرأوا وتبعوك ، فاترك مكة إلى اليمن ففيها شيعة ، وإن لم يكن ذلك بالإمكان فإلى الحبشة وإلاّ فإلى الصحراء ومن هناك اتّخذ طريقك من خلال القرى ، فقال الحسين : لقد نصحت وآثرت ، ابقَ أنت هنا نائباً عنّي ، وسأذهب إلى مكة ، وستوافيني أنتَ بأخبار المدينة ، وكتب وصية جاء فيها ـ بعد البسملة والشهادتين ـ إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي رسول الله (ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر .

ثم تحرك مع أهل بيته (أخواته وأخوته وأولاده) ليلاً ، وعندما خرجوا ، بلغ خبرهم الوليد ففرح لأنّه تخلّص من ذلك الأمر ، ودخل الحسين مكة في

اليوم الثالث وانتشر الخبر في أنحاء بلاد المسلمين ، فكان بعض الشيعة يأتي شخصياً بينما كان بعضهم يرسل الرسائل ، وكان أهل الكوفة أول من بعثوا برسائل قالوا فيها : بلغنا أنّك لم تبايع يزيد ، ونحن مستعدون لنصرتك ومبايعتك الخ . . .

وفي كل مجلس كانت تأتي الحسين من الكوفة رسائل حتى بلغ عددها في يوم واحد ستمئة رسالة ، ثم كانوا يرسلون الرسل ، واجتمع كذلك أهل البصرة وكتبوا رسالة هددوا في نهايتها قائلين : إن لم تأتِ فسنشكوك إلى جدّك غداً ، تعال إلى العراق فسيوفنا على عواتقنا ونحن جميعاً مستعدون لقتال أعدائك ، وهنا وجب على الحسين ـ حسب الظاهر ـ إتمام الحجة .

مسلم بن عقيل رسول الحسين

في الخامس عشر من رمضان أمر عليه السلام مسلمَ بن عقيل بالذهاب إلى الكوفة ليتأكد من صدق أهلها في دعوتهم إيّاه ويبلّغ الحسين بذلك ، وأرسل معه رسالة جاء فيها بعد الحمد والثناء على الله : « بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب لي بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمتْ عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله » .

وخرج مسلم برفقة اثنين من أهل مكة ، فضلوا طريقهم وقد أجهدهم الحرّ والعطش ، ثم أنّ الدليلين ماتا ، فتطيّر مسلم من ذلك ، فكتب رسالة إلى الحسين يخبره فيها بما وقع ، إلاّ أنّ الحسين أمره بالتوجّه إلى الكوفة ، فوصلها في الخامس من شوال ، وكان الناس يأتونه أفواجاً ، وكان في ذلك المجلس حبيب بن مظاهر الذي نهض قائلاً : إنّني مستعد لفداء الحسين حتى آخر نفس ، ثم نهض من كل قبيلة نائب أعلن ولاءه وولاء قبيلته ، ولم يمض وقت طويل حتى بايع الجميع مسلم بن عقيل ، ثم كتب عندها رسالة إلى الحسين قال فيها : « بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً » .

ترى هل بقي للحسين عذر بعدم الذهاب بعد وصول هـذه الرسـالة ؟ ولـو أعلن أهل الكوفة غداً عند القيامة بأننا كنّا مستعدين للتضحية بأرواحنا وأموالنا في سبيـل الحسين وفي سبيل دين الله والنهي عن المنكـر ، أرسلنـا الـرسـل وكتبنـا الرسائل وفعلنا ما فعلنا لكن الحسين لم يـأتِ ، هل كـان كافيـاً أن يقول الحسين بأنّه ـ وبعلم الإمامة ـ كـان يعلم بأنّهم لم يكـونوا أوفيـاء بعهودهم ؟ كـلاّ بطبيعـة الحـال ، ولذا أصبـح لزامـاً على الحسين لأجـل إتمـام الحجّـة (ولأجـل أمـور أخرى) أن يتّجه نحو الكوفة .

ـ ٤ ـ
الرحم والصلب الطاهران من الشرك والزنا

من ضرورات المذهب الجعفري الإيمان بأنّ الأئمة كانوا في أرحام مطهّرة وأصلاب طاهرة منذ بدء الخليقة حتى مجيئهم إلى الدنيا ، أمّا بالنسبة لإبراهيم الذي سمّي في القرآن بـ « ابن آزر » بائع الأصنام ، فلأنّه يطلق في لغة العرب على « العم » اسم « أب » أيضاً ، والدليل على ذلك هو أنّ المصطلح الموجود في القرآن الكريم بأنّ اسماعيل من آباء بني إسرائيل في الوقت الذي هو عمّهم .

الأمر المفروغ منه هو أنّ آباء وأمهات الأنبياء والأئمة طاهرون من كل رجس وشرك .

وكما هو معلوم فإنّ أرواح أهل البيت متصلة بالأرواح الطيبة ، وقد شاهد إبراهيم (ع) وجوههم النورانية في السماوات حيث رأى أربعة عشر نوراً طاهراً وحولها أنوار كالنجوم ، فأخبر أنّ هؤلاء هم شيعة علي بن أبي طالب (ع) .

الشيعي طيّب الأعراق

أمّا الأجسام الشريفة لأصحاب أهل البيت فهي شبيهة في الخلقة بأجسام سادتهم ، أي أنّ نفوسهم السامية لا تعود إلى نطفة فاسدة ، وكل أصحاب أهل

البيت طيّبو الأعراق ، وقد وردت عدّة روايات في هذا المجال ، منها على سبيل المثال رواية عن النبي (ص) أنّه قال : « ما من أحد من شيعة علي إلاّ وهو طاهر الوالدين تقي نقي مؤمن بالله ، فإذا أراد الله أحدهم أن يواقع أهله جاء ملك من الملائكة الذين بأيديهم أباريق ماء الجنة فيطرح ذلك الماء في الآنية التي يشرب منها فيشربه ، فبذاك الماء نبت الإيمان في قلبه »[٥] .

فليعلم كل من كان في قلبه حبّ هذا البيت بأنّه طيّب الأعراق وطينته مثل طينة أهل البيت ، والتعلّق بهذا البيت يؤدّي إلى أمور عجيبة ، تحضرني الآن رواية تصلح شاهداً على ذلك :

علي ومرض رميلة

روى المجلسي في بحار الأنوار بأنّ رميلة ـ وهي إحدى صحابة أمير المؤمنين ـ قالت : مرضت وأنا في الكوفة مرضاً منعني من حضور صلاة الجماعة خلف علي (ع) عدّة أيام ، حتى جاء يوم الجمعة ووجدتني أحسن حالاً فاغتسلت وذهبت إلى الصلاة ، وقبل بدء الصلاة وحينما كان علي يلقي خطبة الجمعة انتابتني مرة أخرى حالة من القشعريرة والحمى ، إلاّ أنني تحاملت على نفسي حتى أتممت الصلاة وخرجت من المسجد في أثر الإمام ، فلما وقعت عينه عليَّ قال : ما الذي دهاك أثناء خطبة الصلاة يا رميلة ؟ فشرحتُ حالي ، فقال لي ما من مؤمن يمرض إلاّ مرضنا بمرضه ، ولا يحزن إلاّ حزنّا بحزنه ولا يدعونا إلاّ أمّنا بدعائه .

فسألت رميلة أهذه البشارة تخصّ حاضري مجلسكم ؟ فقال (ع) : لا ، فإنّ شرق العالم وغربه سواسية عندنا .

وعلى العكس من ذلك فإنّ أعداء أهل البيت تكون أرواحهم من أحقر الأرواح وأرذلها ، لذا وجب أن تحلّ في أحقر الأجساد ، كل جسم تكون من

---

(٥) سفينة البحار .

الزنا أو الحيض مناسب وملائم بهم ، وليس من شك أنّ أعداء أهل البيت من أولاد الزنا أو الحيض .

زياد وابنه من أولاد الحرام

تذكروا على سبيل المثال زياد بن أبيه ، ذكروا أنّ أبا سفيان دخل دار أبي مريم الخمّار ، فقُدم له الخمر وهو يعربد ويطالب بزانية ، فجاءه هذا الخمّار الحقير بسميّة وهي زانية من ذوات الرايات (وهي التي تضع على دارها عَلَماً للدلالة على كونها من البغايا الرسميات) فزنى أبو سفيان بها وهو سكران ، فكان زياد نتيجة ذلك العمل غير الشرعي ، الذي تمّ في أسوأ الحالات ومن قبل أقذر الأشخاص ، وبهذه المناسبة فقد جاء معاوية ـ حينما أصبح خليفة ـ بشهود وادّعى أخوّته لزياد كي يستفيد من الذكاء السياسي لهذا الرجل الناتج عن عمل غير شرعي ، وقد استفاد منه فعلاً .

وقد وُلد ابنه عبيد الله بن زياد كذلك من مرجانة التي كانت أيضاً من ذوات الرايات ، وقد اختلف في نسبه إذ ادّعاه خمسة ، ولذا فقد بالغ بشكل قبيح في بغضه للإمام علي وكان يعذّب الشيعة بجريمة حبّهم لعلي (ع) .

بعد أن قُتل مسلم بن عقيل على أيد الملعون ابن زياد يوم عرفة ، أخرج هاني بن عروة من المجلس وأمر أن يؤخذ إلى سوق القصابين ويذبح في محل ذبح الخراف وأن يُسمل بدنه ثم يصلب .

ميثم التمار

وبعد ذلك ولأجل تهيأة الأرضية اللازمة لكربلاء ألقى القبض على وجوه الشيعة ومنهم ميثم التمار الذي كان من خاصة أصحاب أمير المؤمنين ، الذي يكفي لمعرفة مقامه في العلم أنّ ابن عباس (حبر الأمة) كان يروي عنه الروايات ، وكان صاحب علوم عجيبة تعلمها من أمير المؤمنين ، كان جالساً في سفينة عندما هبّت فجأة ريح ، فقال : الآن وصل معاوية إلى الدرك الأسفل من النار ، وهكذا كان .

وقد ذكر في كثرة عبادته أنّ جلده قد جفّ لكثـرة صيامـه ، كما كـان قارئـاً للقرآن مجاهداً في سبيل الله وكان مع علي في كل حروبه .

كان مع أمير المؤمنين يومـاً فقال لـه : إنّي أرى أنّك ستقتـل وتصلب على فـطرة الإسلام ، فقـال للإمـام وأنا من المسلمين ، فقـال عليه السـلام : نعم ، أتـريد أن أريـك الخشبـة التي تصلب عليهـا ، قـال نعم ، فخـرجـا معـاً خـارج الكوفة ، وأشـار (ع) إلى جذع نخلة ، وقـال ستعلق على هذه النخلة ، وسـوف يلجمون فمك ، وفي اليوم الثالث سيسيل الدم من عينك وأنفك ثم تموت .

وهكـذا كان حيث تمّ قتـل ميثم على يد الشقي ابن زيـاد ، وذلكم نمـوذج من جرائم أعداء آل البيت (ع) .

ـ ٥ ـ
ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة

من الخطأ أن يتصور أحد أنّ الحسين ـ وأثناء توجهه إلى كـربلاء ـ لم يكن على علم بأنّه سيقتل ، إذ إضافة إلى الأخبار التي حصـل عليها من أبيـه وجدّه ، فقد أخبر هو بنفسه عن قتله في مناسبات عـديدة ، أمّـا الشبهة التي وجـدت عن البعض ، واتخذت طريقها إلى العوام من أنّ الله تعالى قد قال في كتابه : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ ، وعليه ، كيف اتّجه الحسين إلى كربلاء مع علمه أنّه سيُقتل ؟

نقول : إنّ الآية ١٩٢ من سـورة البقرة هي : ﴿ **وانفقـوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنـوا إنّ الله يحبّ المحسنين** ﴾ فالآيـة واضحة في وجوب عدم إلقاء النفس في التهلكة .

ترك الجهاد تهلكة في الدنيا والآخرة

أي إذا لم تنفقـوا من أموالكم في سبيـل الله ، فقد حـرصتم عليهـا ، وإذا اقتضى الأمر أن تضحوا بأرواحكم وامتنعتم وبخلتم بها كان عملكم هذا سبباً في هلاككم ، ويوم القيـامة تكـون أموالكم نـاراً تكوى بهـا أجسادكم ﴿ **يـوم يحمى عليهـا في نار جهنم فتكـوى بها جبـاههم وجنـوبهم وظهـورهم هـذا مـا كنـزتم**

لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾[٦] .

إذا فررتم من الجهاد وتسلّط الكفار عليكم ، فاقبلوا بعزّة أن تبذلوا النفس في الشهادة في سبيل الله كي لا ترغموا على تحمّل ذلّ الأسر عند الكفار ، إذن فمعنى الآية ليس بالشكل الذي تناقلته الأفواه وانصرف إليه الذهن ، بل أن ترك الجهاد هو التهلكة في الدنيا والآخرة .

لقتلوا الحسين أيضاً

ترى لو أنّ الحسين بايع يزيداً هل كانت حياته آمنة ؟ هل حفظ ماء وجهه ؟ إذ بالرغم من مراعاة معاوية للمظاهر فقد كان يرسل خطيباً يسبّ علياً (ع) في المجلس وبحضور الحسن المجتبى (ع) الذي كان يسكت مرغماً إذ لا حيلة لديه ، أمّا الحسين فقد كانت الظروف المحيطة به تختلف عن ذلك ، فلو بايع يزيداً لوجب عليه أن يكون تابعاً له ، وهل كان يريد سيتركه حينذاك ؟ هل تركوا الحسن وشأنه ؟ لا ، فقد قتلوه في نهاية الأمر ، ولم يكن يزيد أكثر مراعاة من معاوية بل كان سرفاً في الوقاحة والخيانة .

هنا يتضح الجواب لأمثال ابن تيمية الذي تساءل في كتابه المنهاج : لماذا لم يتصالح الحسين مع يزيد ؟ .

فيا جناب الشيخ : ألم يتصالح الحسن مع معاوية ؟ ترى هل التزم معاوية بشروط الصلح ؟ هل ترك الفتنة والفساد ؟ هل انتهت المذابح المرتكبة بحق الشيعة والإغارة عليهم ؟ ألم يُقتل الحسن بسم الجفاء ؟ .

ما المتوقع من يزيد الوضيع ؟ ولنفرض أنّ الحسين بايعه وأخذ منه الأمان ، هل كان بالإمكان الاعتماد على عهده ؟ .

---

(٦) التوبة : ٣٥ .

صلح معاوية وقتل الشيعة

بلحاظ الحسابات الأخروية ، فإنّ الحسين كان سيرتكب ذنباً فظيعاً لو كان قد بايع يزيداً حيث حُرمت التقية عليه ، إذ بلغ الأمر حدّاً لو رضي معه الحسين بخلافة يزيد لانمحىٰ الدين ، وقد قال هو نفسه : « سمعت جدّي رسول الله يقول : « من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله » .

أي أنني إذا لم أظهر الخلاف على يزيد المتجاهر بشرب الخمر والزنا ولعب القمار ، فسأصبح أمام الله أنا ويزيد على حدّ سواء .

وقال أيضاً : لقد سمعت جدّي يقول : إنّ الخلافة حرام على آل أبي سفيان .

فلو كان بايع يزيداً لمحيت كل الجهود التي قام بها جدّه ، إذ أنّ يزيداً هو ذلك الذي أنكر الوحي بصورة صريحة عندما قال :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فلو لم ينتفض ضده فسوف يعمل على محو آثار الرسالة بالقوة .

عند الفيض الروحاني اذكروا الحسين

نقرأ في زيارة الجامعة ـ ونحن نخاطب الحسين ـ « اشهد أنّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر » ، ونجد في كتاب « حقيقة الأمر » أنّ الماء المعين الوارد في قوله تعالى : ﴿ قل إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ﴾[7] هو إشارة إلى الإمام ، وتأويل بالعلم والمعرفة والمحبة .

---

(٧) الملك : ٣٠ .

والشعر المنسوب للإمام الحسين :

شيعتي مهما شربتم   عذب ماء فاذكروني

معناه الظاهر هو : كلما شربتم الماء العذب اذكروا شفاه الحسين الظامئة ، ومعناه التأويلي : كلما استفدتم من علوم القرآن وأهل البيت فقولوا : صلّى الله عليك يا أبا عبد الله ، لأنّ هذه الفوائد الروحية إنّما وصلت إليكم ببركة الحسين ، ترى لو لم يكن الحسين ، أين كان المسجد والمنبر ؟ أين كان بنو أميّة ومروان سيضعونهما ؟ هل كان سيبقى دين ؟ كلا ، لأنّهم أعداء أهل الدين .

ألم يقل يزيد بوضوح عندما جيء برأس الحسين إلى مجلسه :

ليت أشياعي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً   ثم قالوا يا يزيد لا تُشل
قد قتلنا القوم من ساداتهم   وعدلناه ببدر فاعتدل

يتمنى لو أنّ أبا جهل وأبا سفيان وأشياعهم كانوا حاضرين ليروا بأعينهم كيف انتقم لهم من محمد (ص) ، لقالوا له سلمت يداك :

لست من خندف إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل

مكانة الحسين الفريدة

من أجل فهم أفضل لمكانة الحسين ، نراجع كتب التاريخ لنجد أنّ كل انتباه العالم الإسلامي آنذاك كان منصباً على الحسين ، حتى أنّ ابن الزبير مع ذلك النفوذ والأبّهة كان لا يؤبه له مع وجود الحسين ، وهو الذي قال للحسين عند الرحيل : سيدي أين تذهب وأنت المطاع وأنا المطيع ؟ .

فلو كان الحسين بايع يزيداً هل كان باستطاعة أحد أن يجرؤ على القول بنعم أو لا أمام يزيد ؟ .

لقد كان خائفاً من التأثير الروحي والحسب والنسب اللذين لا نظير لهما عند غير الحسين ، حتى أنّه أوصى واليه على المدينة أن يقتل الحسين إذا رفض البيعة ، وعندما اتّجه الحسين إلى مكة أثناء موسم الحج ـ حيث يجتمع الناس من كل أرجاء البلاد الإسلامية ـ كان متوجساً من أن يلتفوا حول الحسين ويحيق الخطر بسلطة يزيد ، لذا أمر واليه على مكة عمرو بن سعد بن العاص أن يأمر ثلاثين رجلاً بوضع سيوفهم تحت ملابس الإحرام وأن يقتلوا الحسين حيثما ثقفوه حتى لو كان في المسجد الحرام ، وقد لام ابن عباس يزيداً في رسالة كتبها بعد واقعة كربلاء بهذا الموضوع بقوله : وأنت الذي أمرت عمرو بن سعيد مع ثلاثين شخصاً بقتل الحسين مع أنّ الكعبة هي الحرم الإلهي الآمن .

الخطبة اللاهبة للحسين

أدرك الحسين أنّ بقاءه في مكة تهلكة ، أي أنّ أعداءه سيبيحون دمه دون أن يكون قد أتمّ الحجّة ، لذا وقف في اليوم الثامن خطيباً وهو يقول :

« بسم الله وبالله ، ما شاء الله ، خط الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ، وخِير لي مصرع أنا لاقيه ، لا محيص عن يوم خط بالقلم ، ولن تشذّ عن رسول الله لحمته ، وهي مجموعة له في حظيرة القدس وينجز بهم وعده ، من كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا فإنّني راحل مصبِحاً إن شاء الله » .

نحو كربلاء

في صباح اليوم التالي تحرك الحسين ، فأخبر جواسيس يزيد والي مكة بذلك ، فأرسل جيشاً بقيادة أخيه يحيى ليعترضوا طريق الحسين ويمنعوه من الخروج ، وقد لحقوا بالحسين بعد أن سار فرسخين وسألوه : لماذا خرجت من مكة ؟ فأجاب : خرجت حفظاً لحرمة مكة ، إذ لم أشأ أن يراق دمي فيها وتهتك حرمتها ، فأرادوا منع الحسين ، إلاّ أنّ بني هاشم تناولوا أسلحتهم وقذفوا الرعب

في قلوب أولئك البائسين بشكل أمر معه يحيى من معه أن ارجعوا ، فلو قاتلناهم ما بقي منّا أحد ، وقد ذكر ابن عبد ربّه أنّ الجيش قد عاد بأجمعه بقيادة يحيى إلى مكة ، بينما اتّخذ الحسين طريقه إلى كربلاء بغير عائق .

ـ ٦ ـ

لم يكن للحسين مجال للتقية

خلاصة البحث السابق : أنّ الحسين لو لمَ يذهب إلى كربلاء لألقى بنفسه في التهلكة حقّاً ، إذ كانوا سيهدرون دمه دون أن يكون قد أتمّ الحجـة ، وأمّا مـا سمعتموه من أنّ التقية واجبة لحفظ المال والنفس ، وذلك عندما يمكن حفظهما بالتقية (في ظـروف معينة) ، ففي حـالة الحسين لم تكن التقيـة واجبة ، إذ أنّـه سيقتل سواء اتّقى أم لم يتقِ ، وهو (ع) الذي قـال لو دخلت في حجـر هامـة من هذه الهوام لاستخرجوني وقتلوني ، فلو أيّد عمل يزيد لكان سبباً في محو رسالـة جدّه وجميع الأنبياء ، ثم أنّ بقاءه في مكة أصبح خطراً عليه حيث أرادوا قتله .

حديث الفرزدق مع الحسين

يقول الشاعر الفرزدق : كنت متوجهاً لحجّ بيت الله الحرام فشاهدت قافلة وهي تخرج ، فسألت عن رئيسها فقيل الحسين بن علي ، فـذهبت وسلّمت عليه فسـألني من أنت ؟ قلت رجل من العـراق فلم يسـأل عن اسمي ولم أخبـره ، ثم سألته إلى أين أنت ذاهب يا سيدي ؟ فأجاب : لو لم أعجل أُخـذت ، ثم قال : كيف وجدت الناس بالعراق ؟ قلت قلوبهم معك وسيوفهم عليـك والقضاء ينـزل من السمـاء والله يفعل مـا يشاء . (ولم يكن الفـرزدق هـو الـوحيـد الـذي أخبـر الحسين بذلك في الطريق) فقال الإمام (ع) : أجل القضاء والقدر بيد الله ، فلو

اتّفق قضاء الله وقدره مع ما نـريد شكـرنا الله ، وإن لم يتفق فلن يخسـر شيئاً من كانت نيته صادقة ، ولـو قُتلت فلن أخسر شيئـاً ، ومن كانت التقـوى سجيته فهـو موافق لمراده في جميع الأحوال ، لأنّ الله ينظر إلى نيّة الإنسان .

وفي أثناء الطريق التقى به أبو هريرة أيضاً وقال له : ألا تعرف أهـل العراق يـا سيـدي ؟ إلى أين أنت ذاهب ؟ فـأجـاب (ع) لقـد غصب بنـو أميّـة مـالي فصبرت ، وأهانوني فصبرت ، وهم الآن يريدون سفك دمي في مكة ، وكـان قد أخبر ابن عباس بأنّه لا يـريد لـدمه أن يسفـك في مكة فتنتهـك حرمتهـا ، والأمر الآخر هو أنّه أصبح لزاماً على الحسين أن يذهب إلى الكوفـة لأنّ وجوههـا طلبوا إليه المجيء ووعدوه بـالنصرة إذا قـدم عليهم ، كما وجب عليـه السفر إذ لم يبق أمامه طريق آخر ، إضـافة إلى رسـالة مسلم بن عقيـل التي وصلته وهي تقـول : العجل العجل .

المعجزة لأجل الحجة

الشبهـة الأخـرى التي تـرد على الـذهن هي أنّ الحسين كـان مستجـاب الـدعوة ، وكـان يكفي لهـلاك القـوم بـإشـارة منـه ، ولـو أراد تعـطيـل السيـوف لعطلت ، والجواب أنّ النبي أو الإمام يجب أن لا يأتي بالمعجز في تصرفاتـه إلاّ لأجل الإعجاز الـذي يؤدّي إلى إتمام الحجـة لإثبات النبـوّة أو الإمامـة ، أمّا في بقية أمور حياته فينبغي أن يحيا كما يحيا غيره من الناس ، إضافـة إلى أنّه لـو أراد في مجال الدفاع أن يستخدم قـوة الإمامـة لما كـان أتمّ الحجة على الخلق ، فلو أنّه عندما يكون في موضع الدفاع وفور إقبال العدو عليه يتوجّه إليـه ويهلكه فليس ذلك مقبولاً .

كـان إبراهيم الخليـل في أول الأمر كلمـا وقعت عينه على زانٍ دعـا عليـه فهلك ، ووقعت عينه على شارب خمر فدعا الله ، فسقط الرجـل ومات ، فجـاء النداء يا إبراهيم ما أرسلناك لتقتل الناس .

الملائكة والجن يقترحون العون

نقل حديث شريف عن الإمام الصادق (ع) : عندما توجّه جدّي الحسين من مكة إلى كربلاء ، جاءت أفواج الملائكة وفي أيديهم الحراب وقالوا نحن رهن أمرك فأمر بما تشاء وستجدنا طائعين ، فقال عليه السلام لا حاجة لي بكم ، وجاءت قبيلة من الجن وقالت مُرْنا نهلك أعداءك أينما كانوا ، أجاب عليه السلام : أنا أقدر منكم على العمل ، فأنا بإرادتي أستطيع أن أهلك كل من يعاديني ، ولكن حجة الله يجب أن تتم .

بذهاب الإمام الحسين إلى كربلاء اختبر الكثير من الناس أصحاب حرملة الذين كتبوا الرسائل إلى الحسين ودعوه ، فاسودت وجوههم وقتلوا طفل الحسين ، فلو لم يذهب الحسين إلى كربلاء فكيف كان سيظهر خبث حرملة وأمثاله ؟ هل كان بالإمكان محاسبتهم يوم القيامة بجرم أنّهم لم يكونوا صادقين في دعوتهم الحسين ؟ وعلى العكس منهم فقد أوصل بعضهم نفسه من هنا وهناك وتحملوا المشاق الكبيرة وطووا دروباً محفوفة بالمخاطر ونالوا السعادة الأبدية في طريق الحسين .

ـ ٧ ـ

صفات الله في النبي والإمام

يعني مقام النبوة ومقام الإمامة الخلافة من قبل الله ، فخليفة الله هو نائب الله في الأرض ، فمعنى الخليفة هو النائب ، فلو لم تكن فيه صفات صاحب الخلافة لأصبح إسماً بلا مسمى ، فمثلاً لو اتّخذ شخص لنفسه نائباً في عمله ، وجب أن يكون النائب مطلعاً على جزئيات ذلك العمل لكي يقال : هذا الشخص في مقام ذاك ، إذن فالنبي والأئمة يجب كي يستفيد الخلق من الوجود كثير الجود لهم ، أن يتطهروا بوجودهم المبارك ، وأن يحبّوا ربّهم بحبّهم لهؤلاء ، بعبارة أخرى نقول : إنّ النبي والأئمة يجب أن يمتلكوا الصفات الكمالية وأن يكونوا منزهين من كل الصفات القبيحة ليكونوا ميزان الله في خلقه ، وأن يوافق الناس أعمالهم معهم وطبقاً لها ، وإن ادّعى أحد النبوة أو الإمامة ، وكان هناك من هو خير وأعلى رتبة منه اتّضح أنّ ادعاءه باطل .

إنّ معرفة النبي والإمام لا تتم بطريق إعجازي فقط ، بل إنّ المعجزة هي مجموعة من أعمال القدرة الإلهية ، إضافة إلى شروط أخرى ينبغي توفرها في النبي والإمام .

فمن الناحية الروحية ينبغي أن يكون روحانياً محضاً ليس فيه ذرّة من الصفات الحيوانية ، وأن لا يكون ناقصاً من حيث الحلم والعلم ، ومن ناحية

البذل والعطاء ينبغي أن يكون بالشكل الذي يبذل فيه أي شيء حتى حياته إذا اقتضى الأمر ، ومن حيث العفو ينبغي أن يكون عفوّاً بحيث لو قتل أحد أباه ثم اعتذر إليه قبل عذره وسامحه ، كما يجب أن يتوفر فيه الإنصاف والمروءة والشجاعة والغيرة .

وعلى هذا الأساس ينظر أهل العقل أولاً في أعمال وصفات مدّعي الأمامة والنبوّة ، ثم إلى المعجزة ، لم يكن إيمان علي وخديجة وعدد كبير من المسلمين لرؤيتهم معجزة ، وإنّما لمشاهدتهم الصفات الكمالية للوجود المقدس للرسول (ص) ، وهنا نطبق هذه المسألة على الإمام الحسين .

الحسين امام لأنّه ...

إضافة للأدلة النقلية على إمامة سيدنا الحسين ، مثل مقولة جدّه رسول الله (ص) : « الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا » أي : إن كانت لهما سلطة أو حكومة أو لم تكن ، وإضافة إلى تصريحات ووصية أبيه أمير المؤمنين (ع) وأخيه الحسن المجتبى ، فقد ظهرت منه (ع) معجزات وكرامات لا تحصى منذ كان في رحم أمّه وحتى بعد وفاته ، بل حتى الآن وإلى يوم القيامة ، كتسبيحه وهو في بطن أمّه ، وظهور النور المقدس على وجه الزهراء (ع) حين كانت حاملة به .

جاء سلمان إلى حجرة الزهراء (ع) فوجدها وقد غلبها النوم من التعب ، بينما كانت الرحى التي تطحن بها تدور لوحدها ، ومهد الحسين كان يتحرك لوحده أيضاً ، فذهب مرعوباً إلى الرسول وسأله عن سرّ ذلك ، فأجابه (ص) إنّ الزهراء قد تعبت ، فجاء ميكائيل ليساعدها فكان يدير مقبض الرحى ، وجبرئيل يهزّ مهد الحسين .

مئتا معجزة للحسين

وفي حياته (ع) كثرت المعاجز مثل إحياء الموتى وشفاء الأمراض ، حتى

أنّ السيد البحراني قد ذكر منها في كتابه حوالي مئتي منها من ضمنها : جاء إلى الحسين يوماً شاب وهو يبكي قائلاً : لقد ماتت أمي دون أن تترك وصية ، وكانت ترغب في رؤيتك لها ، فقال الحسين سآتي حالاً ، وعندما حضر ورفع يده بالدعاء عادتْ إلحياة للمرأة ، فأوصت بثلث ما تملك للحسين وتركت الثلثين لأولادها ، ثم ماتت بعدها .

ومنها : ادّعى رجلان طفلاً ، وكان كل واحد منهما يقول إنّه طفلي ، فأشار الإمام (ع) إلى الطفل الرضيع قائلاً : قل بإذن الله ابن أيهما أنت ؟ فأجاب فوراً هذان كلاهما كاذبان ، فأنا ابن الراعي الفلاني .

أخرجت امرأة يدها من تحت إزارها أثناء الطواف وأمسكت بستارة الكعبة ، ولأنّها كانت ذات جمال فقد أعجب بها رجل ووضع يده على يدها - في ذلك الموضع الذي هو بيت الله وبيت العبادة - ، فالتصقت يده بيدها ، واجتمع الناس وافتضح أمرهما ، وكلما حاولوا فصل أيديهما لم يستطيعوا ذلك فقالوا ليس هناك حلّ إلاّ أن نقطع أيديهما ، ثم سألوا هل في مكة أحد من ذريّة النبي ؟ فقيل نعم ، الحسين في مكة ، فأرسلوا في طلبه ورجوه أن يتكرّم بالمجيء ، فأتى ووقف أمام الكعبة ورفع يديه بالدعاء ، ثم مدّ يده وفصل تلكم اليدين عن بعضهما ، « يا من سبقت رحمته غضبه » .

إضافة إلى تلك المجموعة من المعجزات ، فإنّ صفاته الكمالية ومقامه الروحاني الذي هو تعبير عن أسماء وصفات الله ، وأنا الآن حائر لا أدري عن أيّها أتحدث ، عن عفوه أم عن كرمه أم حلمه أم مروءته أم حيائه أم صبره أم غيرته أم رجولته ، من أيها أقطف عنقوداً ؟ .

إن لم يكن بالإمكان سحب ماء البحر فليكن الشرب على قدر الظمأ

إنّ من جملة الصفات الكمالية اللازمة لمنصب النبوة أو الإمامة، وهي في الأصل من صفات الله : الغيرة ، كما روي عن النبي (ص) « المؤمن غيور والله أكثر غيرة » ، لقد حرّم الله المنكرات لغيرته ، ولأنّه غيور فقد أنزل آية الحجاب وحرّم

الأعمال الفاجرة ، إذن وجب على النبي والأئمة أن يكونوا أكثر الناس غيرة ، وإلاّ فكيف سيكون بإمكانهم أن يمنعوا الناس مما يمكن أن يؤدّي بهم إلى جهنم ، فلو كان أي منهم قليل الغيرة ، لقال وما دخلي أنا ؟ وعلى هذا لا يكون روحانياً ، بينما الإمام يعتصر قلبه ألماً عند رؤيته لأصغر المنكرات .

الغيرة والنهي عن المنكر

المؤمنون أيضاً أصحاب غيرة ، وغيرتهم هي التي جعلت الحجاب يبقى إلى يومنا ، حتى أنّه عندما يريد أُحدهم الزواج أو أن يزوج ابنه أو أحد أقاربه ، فإنّه يوصي بأن تكون الفتاة محجبة ومن عائلة تلتزم بالحجاب ، وأن لا تكون متبرجة أمام الغرباء ، إنّ ذلك يملأ القلب سروراً ، وهو بحدّ ذاته نهي عن المنكر ، لأنّه لو كثر أمثال هؤلاء ، فإنّ المجتمع يحسب لهم ألف حساب ، إذ لا يجرؤ عندها أي أحمق أن يرسل ابنته إلى المدرسة بغير حجاب ـ ربما تكون هذه المسائل جانبية إلاّ أنّها تحزّ في القلب ، لذلك يجب أن تقال ـ .

الهدف هو غيرة الحسين (ع) ، ومواطن ظهورها كثيرة ، منها تلك التي رواها مؤرخو العامة مثل مؤلف « الإمامة والسياسة » وغيره وهي :

قصة أرينب ويزيد

قال ابن قتيبة أنّ يزيداً كان قبيح الوجه جداً ، ووجهه أسود كقلبه ، وكان ذا صوت عال يغني به ، وله ـ إضافة إلى ذلك ـ مجموعة من المغنين ، وكان مسرفاً في الفجور والأعمال الشهوانية ، وإذا أراد ندماؤه التملق له وكسب رضاه ذكروا له صفات النساء ، فيقولون له مثلاً : إنّ لدى فلاناً فتاة جميلة ، أو أنّ في البيت الفلاني امرأة فاتنة ، وكان من جملة من وصفوا له بالجمال أرينب ابنة اسحاق وهي من قبيلة قريش وكانت زوجاً لعبد الله بن سلام ، حتى قالوا في وصفها أنّه ليس في الحجاز امرأة أجمل منها ، فقال يزيد لقد عشقتها دون أن أراها ، لذا يجب أن تأتوني بها بأي شكل ، ثم ذهب إلى أبيه معاوية وطلب إليه

إحضـار تلك المرأة وإلاّ مـات همّاً ، وقـد فكّر معـاوية بحيلة فـأرسل أبـا هريـرة ليجلب عبد الله بن سلام إلى الشام ، وعند مجيئه استقبله معاوية وأحسن ضيافته وأكرمه ، وبعد أيام قال لأبي هريرة أريد أن يكون ابن سلام صهري ، فذهب أبو هريرة وسـأل ابن سلام عن رأيـه ، فأجـاب ذلك الغـافل بنعم ، فعـاد أبو هـريرة وأخبر معاوية بذلك ، فذهب معاوية إلى ابنته وطلب إليها أن تظهر الموافقة على الزواج منه شريطة أن يطلّق زوجته ، وهكذا كان ، حيث طلّق المسكين زوجه ، ثم أنّ معاوية أخذ يماطـل حتى تنقضي عدّة طـلاقها ولا يستـطيع زَوجهـا عندئـذ إرجـاعها ، وأرسـل أبا هـريرة إلى المـدينة وبيـده ورقة طـلاق زوج عبـد الله بن سلام ، وطلب إليه أن يعقدوا قرانها على يزيد .

وفي الطريق التقى أبو هـريرة بـالإمام الحسين فسـأله عن وجهتـه فذكـر له الحكاية ، فأراد (ع) أن يوقف هذا المتمرد الطاغي عند حـدّه كي لا يعتدي على أعراض الناس ، فـطلب من أبي هريـرة أن يبلّغ أرينب بأنّ الحسين يـرغب أيضاً في الزواج منها ، وعندما وصل أبو هريرة إلى المرأة أخبرها بأمر الطلاق فبكت ، فأخبرها أن لا تحزن ، وأنّ خاطبين اثنين قد تقـدما لهـا ، أحدهمـا يزيـد والآخر ريحانة رسول الله الذي لمس النبي بدنه مراراً ، وقبّل فمه تكراراً ، فقالت طوبى لي ، لقد اخترت الحسين .

قـام الحسين بإجـراءات عقد القـران وسلّم المهر نقـداً ، فبلغ الخبـر إلى يزيد ومعاوية ، والله يعلم كيف أصبح حاله ، إذ أنّ أرينب في بيت الحسين .

ومن جهة أخرى ، أُحرج عبد الله بن سلام ، إذ علاوة على أنّه لم يصاهـر معاوية لأنّه أُبلغ أنّ ابنة معاوية قالت : ان من طلّق امرأة مثل أرينب سيطلقني أنـا أيضاً ، فقد طُرد من الشام أيضاً وعاد إلى المدينة باكياً ، وجاء إلى الحسين وقال له : إنّ عندي كـلاماً مـع زوجك (أرينب) وذلـك أنني عندمـا غادرت المـدينة اودعت جميع أموالي عنـدها ، وأريـد الآن استعادتهـا ، فذهب الإمـام (ع) إلى أرينب وسـألها فقـالت إنّهـا ستسلمهـا للحسين ليعـطيهـا لـه ، فقـال (ع) دعيهـا عندك ، ثم قال لعبدالله ، لقد طلقتُ أرينب الآن ، واعلم أنّي لم أمسسها قط ،

فتزوجها أنت مجدداً ، وقد فعلت كل ذلك حفاظاً على زوجك ، فشكر الإثنان الحسين (ع) كثيراً ، وأرادت أرينب إعادة المهر للإمام الحسين ، فقال إنّا أهل بيت لا نأخذ ما أعطيناه .

- ٨ -
مخالفة ولاية عهد يزيد

تحدثنا آنفاً عن صفات الحسين وقلنا أنّ من أهم الصفات اللازمة لمقام النبوّة والإمامة الحمية والغيرة ، والغيرة هي حفظ كل شيء يبدو بحكم العقل واجباً : الدين بالدرجة الأولى ثم العِرض ثم الأولاد وغير ذلك ، وذو الغيرة لا يستطيع السكوت عندما يجد دينه في خطر ، وإذا شاهد إحدى شعائر دينه مهانة فإنّه يتألّم ، ترى كيف يصبح حال المسلم ـ أي مسلم ـ حين يرى أجنبياً أو طفلاً يمزّق مصحفاً (لا قدّر الله) ؟ إنّ الغيرة الدينية تغلي في عروقه آنذاك ، وكذلك الأمر عند مشاهدة محل لبيع الخمور ، أو عند رؤية امرأة عديمة الحياء تجوب الشوارعَ بغير حجاب ، إن ذلك يؤلم غيرتكم ، لأنّ الحجاب ضروري بحكم الإسلام ، إذن هكذا سيكون حالكم باعتباركم من أهل الإيمان ، والآن قارنوا أنفسكم بإمامكم الحسين ، حينذاك ستدركون كيف كان قلبه يتألم ، وعندما اختار معاوية يزيداً للخلافة لم يستطع الحسين الامتناع عن إظهار مخالفته لذلك الأمر ، إذ أعلن : يا معاوية إنّك تفضح المسلمين بعملك هذا ، كيف تسلّط على المسلمين من يرتكب المحرمات جهراً وله مجلس قمار وخمر ؟ .

إنّ غيرة الحسين هذه هي التي دعته إلى الثورة والتضحية بدمه « الموت أولى من ركوب العار » ، وتحضرني الآن واقعة جرت على عهد رسول الله (ص)

حيث أُهدر دم أحد المشركين ، وعندما أراد رسول الله أن يأمر بقتله ، نزل جبرئيل وقال إنّ الله يبلغك أن لا تقتله ، فإنّ فيه صفة من صفات الأنبياء وهي الغيرة ، وهكذا فقد كان موضع رحمة لأنّه غيور ، وقد اهتدى إلى الإسلام في نهاية المطاف .

غيرة ابراهيم الخليل

أمّا بالنسبة لغيرة الأنبياء : عندما اعترضوا هودج سارة زوج إبراهيم الخليل وأرادوا خلع حجابها عن وجهها لينظروا إليها ، فما أن مدّ المأمور يده لإزاحة برقعها حتى أغلى الدم في عروق إبراهيم فرفع يديه بالدعاء إلى الله قائلاً : اللهم امسكه أنت ، فشُلّت يده عن الحركة ، فلجأ إلى إبراهيم وتاب ، فدعا إبراهيم ربّه فعادت يده إلى حالها ، إلاّ أنّه حاول مرّة أخرى إساءة الأدب برفع النقاب عن وجه سارة ، فدعا عليه إبراهيم فشلّت يده ، وهكذا ثلاث مرّات ، وأخيراً قالوا له لا شأن لنا بزوجك دعها تذهب ، وعلى أي حال فكلما اقترب أحد من الله ازدادت غيرته .

صبر الحسين على الشامي

من الصفات الأخرى للإمام الحسين والتي هي من ضرورات مقامي النبوة والإمامة : الحلم ، فلو لم يتصف هؤلاء بالحلم فكيف يمكنهم تحمل الأذى ؟ وهنا أورد نموذجاً لحلم الحسين (ع) ، وهي قصة مشهورة في كتب التاريخ والمقاتل ، نعني بها قصة الشامي عصام بن المصطلق الذي روى قائلاً : عندما كنت في المدينة ذهبت إلى الحسين وسألته هل أنت ابن أبي تراب ؟ فقال ؟ فقال نعم ، فما أن عرفته حتى شرعت بشتمه بكل ما أحفظ من شتائم ، والإمام مصغ حتى أكملت شتمي ، فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين** ﴾[8] ـ انه أمر القرآن بالعفو عن

(٨) الأعراف : ١٩٩ .

المسيء ، فإذا تجادلت مع الجاهل فقد جلبت لنفسك المشاكل وقلّ خيركما أو زال تماماً ، وإذا تشاجرت مع أحد فإنّك لن تكون خالي البال عند الصلاة ، ويبقى ذهنك مشوشاً عدّة ساعات ـ .

وعلى أي حال ، فبعد أن تلا الحسين الآية الشريفة قال : هوِّن عليك يا رجل ، لا تجلب البلاء على نفسك ، إذ أنك عندما تشتم بهذا الشكل فستضرّ نفسك ، ثم طلب المغفرة من الله لنفسه ولي « اللهم اغفر لي ولهذا الرجل » ، ثم سألني : من أي البلاد أنت ؟ قلت من الشام ، قال لقد أصبح من عادة أهل الشام أن يتجاسروا على آل علي ، يا هذا ، إن كنت محتاجاً لشيء فأنا مستعد لمساعدتك ، إن أردت مالاً أعطيتك أو منزلاً هيأت لك أو إرشاداً هديتك و. . . و. . . و.

يقول الشامي : فتمنيت لو تبتلعني الأرض ، فتراجعت قليلاً قليلاً ، ثم تواريت بين الناس بحيث لا يراني الحسين وغادرته وهو أعزّ إنسان لي .

كان ذلكم نموذجاً من حلم الحسين .

من حياء الحسين وكرمه

جاء أعرابي إلى مسجد الكوفة وطلب أن يرشدوه إلى الإمام الحسين ، ولما رآه قال : إنّي مدين وقد سألت عن أكرم الناس فأرشدوني إليك ، ثم قرأ شعراً مضمونه أنّه ما خاب من توجّه إليك ، فعاد الحسين إلى داره برفقة الأعرابي ، وكان في الدار أربعة آلاف دينار ، ففرش العباءة ووضع جميع المال فيها وجمع أطرافها وأعطاها له من خلف الباب خشية أن يخجل الأعرابي إذا ما التقت عيناه بعيني الإمام ، فبكى الأعرابي فسأله الحسين : هل كان ما أعطيتك قليلاً ؟ قال الأعرابي : لا ، إنّما أبكي لهاتين اليدين الكريمتين كيف يضمهما التراب ؟ .

كان جوده وكرمه مشهورين في الجزيرة العربية ، إذ أنّه كلما طرأ عارض لأحد الناس توجّه إلى الحسين .

جاء أعرابي إليه وطلب ألف درهم ليسد دينه ، وعندما أخذ المال جلس يعدّه وهو يقول : حسن ، رديء ، حسن ، رديء ، فسأله خادم للحسين وهل كان لك دَين على الحسين لكي تفصل هذا بين الدراهم ؟ فقال : لقد ذهب ماء وجهي في طلب هذا المال ، فقال الحسين اعطوه ألفاً ليسدّ دينه وألفاً لماء وجهه ، وألفاً لأنّه توجّه إلينا ولم يطلب من غيرنا ، أنّ الله يحب أن يؤتى إليه وأن لا يُذهب إلى غيره ، والحسين الذي هو مظهر جميع الصفات الإلهية كان هكذا أيضاً .

رأفته بالكافر والحيوان

ومن صفات الإمام (ع) رقة القلب ، وهذه الصفة الكمالية على درجات ، فمرة يتألم الإنسان عندما يرى شخصاً مبتلى أو واقعاً في ورطة ، فيرقّ قلبه أو يتألم حتى يصل إلى الحدّ الذي لا يستطيع معه أن يحرّك قدميه لكي يقضي حاجته ، فإن استطاع قضاءها فبها ، وإن لم يستطع ، طلب المعونة من الآخرين حتى يتعدى ذلك أحياناً إلى أن لا يختص الأمر بالمسلمين ، إذ لا يستطيع أن يتحمل رؤية كافر أو حتى حيوان يتألّم .

لقد سمعتم أنّه في يوم عاشوراء وعندما تحامل الإمام الحسين على نفسه ـ وكان قد استبد به العطش ـ وذهب إلى ضفة نهر الفرات ، إلاّ أنّه عندما شاهد فرسه ظمآناً أيضاً حمل الماء بكفه ووضعه أمام فم الفرس ، لكنه ـ وكما ذكر المؤرخون ـ رُمي بسهم لم يستطع معه شرب الماء أو إعطاءه للفرس .

الحسين يسدد دين أسامة

ذهب الحسين (ع) لزيارة أسامة بن زيد في مرض موته ـ وأسامة من المسلمين المشهورين في صدر الإسلام ، وكان النبي (ص) قد عيّنه قائداً للجيش في غزوة تبوك ـ فبكى أسامة فجأة ، فسأله الحسين ما يبكيك ؟ والقلب يرق لرؤية المريض ، فكيف إذا علم أنّه مرض الموت وشوهد باكياً ؟ ، فقال

أسامة : أنـا مدين بستين ألف درهم ، قـال الحسين : إنَّ دَينك على عـاتقي وأنا أسدده ، إلَّا أنّ أسامة لم يهدأ ، فقال له الحسين ولم تبكي الآن ؟ قال أخشى أن أموت قبل أداء الدين ، فأمر الحسين بقضاء دينه قبل أن يغادر ذلك المجلس .

كـان على هذا القـدر من رقة القلب ، بحيث أنّـه لا يستطيـع رؤيـة عيني أسامة الدامعتين .

يقول الشيخ الشوشتري رحمه الله من عجائب الحسين أنّه كان يجمـع بين المتضادات ـ مع أنّ اجتماع الضدين محال ، فإنّه كان ممكنـاً في الحسين ـ ، إذ أنّه في الوقت الذي كان فيه قلبه رقيقاً إلى الدرجـة التي لم يطق فيهـا رؤية مسلم متألماً ، نجـد نفس هذا الإمـام في موقف عصيب حيث كـانت عيناه تـريان منـذ طلوع الشمس وحتى العصـر جثث شبابـه وأنصـاره ، وأذنـه تسمـع أنين النسـاء والأطفال في يوم عاشوراء ، ومع ذلك كان يتحمل بصبـر عظيم ، ويعتبـر الشيخ ذلـك دلالة على العـزم والثبـات والاطمئنـان « لقـد عجبت من صبـرك مـلائكـة السماء » .

ـ ٩ ـ

قتيل العبرات

مـع أنّ البكاء على الحسين لا يختص بـوقت معين ، إلاّ أنّ مـوسمـه هـو شهرا محرم وصفر ، وعلى الأخص العشرة الأولى من محرم ، فكلما اقتـربنا من يوم عاشوراء وجب الإكثار من البكـاء ، وهو مـا يظهـر من حال أهـل البيت ـ بناء على مـا ورد في الـروايـات ـ وسنتنـاول هنـا فضيلة البكـاء على الحسين والآثـار المترتبة عليه .

لُقّب الحسين بقتيل العبرة ، ورقة القلب هي سبب جريان الدموع ، وقلما وجد من قرأ عن حاله أو سمـع بحكايتـه ولم يحزن أو يتـألم مهما كـانت عقيدتـه ومذهبه ، وبطبيعة الحال فكلما كان قلبه أطهـر كان حـزنه أعمق وأكثـر ، وتظهـر الآثـار المترتبـة في البكاء على الحسين ـ ومن بينهـا ما سـأذكـره ـ في الشـدائـد والمواقف الصعبة التي يقع فيها الإنسان .

إجابة الحسين عند النزع

أول المواقف الصعبة هـو الإحتضار ، إذ عـلاوة على الأمراض الجسميـة التي تصيب أحياناً الجسم بكامله وتؤلمه وتضغط على الروح ، فإنّـه يتألم لعلمـه بمفارقة الدنيا وما له فيها من علائق وأن ينفصـل عن مالـه وأولاده ، إذن فأصعب

ساعات الحياة هي ساعات الاحتضار ، حيث يقول الإمام زين العابدين (ع) « أبكي لخروج نفسي » ، نعم لا يعلم أحد كيف سيسلم روحه ، هل سيكون متجهاً إلى الله ويذهب من الدنيا مؤمناً أم يكون متجهاً إلى مشاغل أخرى ؟ وعلى أي حال فهو أمر صعب يؤدّي إلى الاضطراب ، وحلّ هذه الصعوبة يكمن في البكاء على الحسين ، والروايات في هذا المجال كثيرة أكتفي بنموذج منها :

ذكر في كتاب نفس المهموم عن مسمع ـ وهو من أهالي العراق ـ أنّه قال ذهبت إلى الإمام الصادق (ع) في المدينة فقال : يا مسمع أنت من أهل العراق وقريب من كربلاء ، فهل تذهب لزيارة الحسين ؟ قلت يا سيدي أنا شخص معروف ومراقب من قبل الأعداء ، وأخاف أن يروني وتكون حياتي في خطر ، قال إذا كنت لا تستطيع الزيارة فهل تذكر مصيبته ؟ قلت : نعم ، قال : هل تبكي ؟ قلت : نعم ، وقد يصل الأمر بي أحياناً إلى أن تعاف نفسي الطعام والشراب لكثرة بكائي وأنيني وربما تقيأت ما أكلت ـ أي أنّه عندما يحصل على ماء بارد ويتذكر عطش الحسين لا يستطيع أن يشربه ـ .

عندها بشّره الإمام بعدة بشارات إذ قال له : مادمت هكذا فأنت ممن يفرحون لفرحنا نحن آل محمد ويحزنون لحزننا ، فاعلم أنّ عينك ستكون قريرة ساعة الاحتضار وذلك بحضور آبائي محمد وعلي وآله ، وستكون عندها بأشد الحاجة إلى عزرائيل ويكون ملك الموت أكثر إشفاقاً عليك من أمّك .

ثمرة البكاء على الحسين في القبر

المنزل الثاني هو القبر ، المكان الذي لم يألفه الإنسان من قبل ، فهو مخيف ومرعب جداً ، ولدينا في كتاب « من لا يحضره الفقيه » رواية تقول : عندما تريدون دفن ميت فلا تضعوه دفعةً واحدة في القبر ، إن كان رجلاً فمستحب أن يوضع على بعد ٧ أقدام من أسفل القبر ، وإن كانت امرأة فيستحب أن توضع على بعد ٧ أقدام من قبلة القبر ، ولترفع الجنازة وتوضع ثلاث مرّات « فإنّ للقبر أهوالاً » ، وصعوبة ذلك يشير إليها السجاد (ع) :

« أبكي لظلمة قبري ، أبكي لضيق لحدي ، أبكي لسؤال منكر ونكير إياي في قبري » .

وقد استنتج الشيخ الشوشتري من هذه الروايات ما مفاده : مَنْ سرَّ مؤمناً ، فإنّ وجهه النوارني سيصاحبه في القبر ، ويقول له : أنا ذلك السرور الذي أدخلتَه على قلب المؤمن الفلاني ، إذن فمن أدخل الفرح إلى قلب مؤمن كان ذلك سبباً لفرحه في القبر ، فكيف إذا سرَّ مؤمناً كامل الإيمان ، وكيف إذا كان نبيّاً أو إماماً ؟ .

ثم يقول : من بكى على الحسين فقد سرّ النبي والإمام علياً والزهراء البتول ، فهنيئاً لهذا الشخص في القبر .

الاغاثة في البرزخ لصاحب العزاء بالحسين

والمنزل الثالث هو البرزخ ، أي بين القبر والقيامة ، وذلك بعد أن تتعلق الروح بالبدن المثالي فإن كان من الصالحين فمحل ظهوره في وادي السلام بجوار أمير المؤمنين ، وإن كان من الأشقياء فظهوره في صحراء برهوت ، إن كان قد غادر الدنيا وهو طاهر تماماً فهو سعيد سعادة تامة في البرزخ من روح وريحان ولذة ، وإن كان ملوثاً بالذنوب وحقوق الناس فهو في ضيق كالمسمار الذي دق في حائط .

هل يستطيع أحد الإدعاء أنّه سيذهب طاهراً تماماً من هذه الدنيا وليس في عنقه حق لأحد ؟ ألم يُذهب ماء وجه أحد في حياته ؟ ألم يغتب أحداً ؟ وبالإجمال ما هو الحل إذن ؟ نجده في هذا الحديث الشريف للإمام الصادق « وان الموجِع قلبه فينا ليفرح فيه » ، أي أنّه لن يصيبه همّ أو غمّ في عالم البرزخ إلى يوم القيامة .

في ظل الحسين يوم القيامة

ويظهر في القيامة أيضاً الأثر العظيم للبكاء على الحسين ، فالكل يعلم

أي يوم هو يوم القيامة الذي تكرر ذكره في القرآن الكريم كما تعلمون ، وقد سماه تعالى بيوم الفزع الأكبر ، ويشمل الفزع والاضطراب ، وليس هناك من لا يكون مضطرباً « إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها »[9] .

وللحصول على الأمان يوم القيامة هناك حديث مروي عن الصادق (ع) يقول : « من ترك السعي في حوائجه يوم العاشوراء جعل الله يوم القيامة يوم سروره » .

والموقف الصعب الآخر هو موقف الحساب ، تصوروا عندما يقول الله : ﴿ **إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾[10] ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره** ﴾[11] ، أما كم يطول الموقف يوم الحساب فذلك يختلف بحسب الأشخاص ، فالبائس الذي يطول حسابه يكون معذباً جداً لا يدري ما هو مصيره ، أإلى جهنم أم إلى الجنّة ، إلاّ أنّ بعضهم ـ وكما تقول الروايات ـ يقضون مدّة حساب الناس تحت ظل العرش ، إنّهم شركاء الحسين في حزنه ، إنّهم في جوار الحسين وبينما بقية الناس في عذاب المحاسبة ، فهم ينعمون ـ بجوار الحسين ـ في النعيم الحقيقي .

أكل هذا لأجل دمعة واحدة ؟

ربما يعترض البعض قائلاً : كيف تترتب كلّ تلكم الآثار العظيمة على دمعة واحدة ؟ إنّ قطرة من ماء مالح ليس بتلك الأهمية . ومنشأ هذا الاشكال يكمن في أنّ هؤلاء يتصورون أنّ الثواب هو لهذه الدمعة ، غافلين عن أنّه أجر لدم الحسين ، وكلما أعطى منه أكثر فإنّه لا شيء قياساً إلى عمل الحسين .

---

(٩) الحج : ٢ .
(١٠) الإسراء : ١٤ .
(١١) الزلزلة : ٨ .

استضافة للسلطان في الصحراء

إنّها حكاية مشهورة وربما سمعتموها ، فقد ذهب أحد السلاطين في رحلة للصيد وبينما كان يطارد الصيد ، ابتعد عن الركب وأضاع الطريق ، وحلّ الظلام وهو وحيد وقد أخذ منه التعب مأخذه ، فوصل خيمة كان فيها امرأة ورجل ، فطلب إليهم أن يضيفوه ، فرحّبا به قائلين أنّ الضيف هدية الله ، ولم يكونا يملكان من مال الدنيا سوى معزى صغيرة ، فذبحاها وطبخاها للضيف ، ولما أصبح الصباح وعزم السلطان على الرحيل قال لهما : أنا ذاهب إلى المدينة فمتى شئتما فتعالا إليّ فأنا السلطان وسأعوضكما وأرد جميلكما ، ومرّت مدة من الزمن وضاقت بهما سبل العيش ، فذهب الرجل إلى السلطان ، وسأل السلطان جلسائه كيف ينبغي لي أن أتصرف معه ؟ وكلما أجاب أحدهم بشيء قال السلطان ذلك قليل ، وأخيراً قال السلطان لو أردت أن أتعامل معه بالمثل لوجب أن أعطيه كل ما أملك ، فقد وهبني كل ما يملك ، وأخيراً أعطاه ما كفاه وأغناه .

قال الشيخ الشوشتري وغيره : إنّ أبا عبد الله قد أعطى كل ما يملك في سبيل الله ، وفي مقابل هذا فإنّ كل ما يعطيه الله فهو قليل من رحمته الواسعة ، فببركة دم الحسين يرحم شيعته ويعلي درجات الحزانى لأجله ومحبّيه ، وكونوا واثقين أنّ العطايا التي هي من بركة الإمام ليس فقط مما يعجز عنه بيان اللسان بل يصعب تصورها أيضاً .

بأبي أنت وأمّي يا أبا عبد الله

يقول الشيخ لقد وضع الله أربع هدايا للحسين مقابل تحمله لمشقة العطش :

أوّلها : حوض الكوثر الذي سيرتوي منه المتوسلون بالحسين منذ وفاتهم حتى القيامة .

وثانيها : عين الحيوان (نبع الحياة) المخصصة للباكين على الحسين وماؤها ممزوج بدموع الحزانى عليه .

وثـالثها : دمـوع المؤمنين إلى يوم القيـامة ، وأنتم كم من الدموع تسكبون في هذه الأيام (عاشوراء) لأجل الحسين وهو ما يتكرر في كل عام ، إضافة إلى دمـوع ملائكـة السماء البـاكين عليه كمـا قـال الصـادق (ع) من أنّ المـلائكـة لا يهدأون من البكاء على الحسين .

الـرابع : أنّـه كلما شـرب المؤمنون مـاء عذبـاً تذكـروا عطش الحسين ، فالحسين جدير بأن يذكر وأن يُسلَّم عليه .

تلكم هي الأجـور التي تستطيـع عقـولنـا نحن أن نفهمهـا ممـا أعـطاه الله له (ع) في مقابل عطشه الذي تحمله .

صلّى الله عليك يا أبا عبد الله الحسين .

- ١٠ -

الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخـوف والجـوع ونقص من الأمـوال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[١٢] .

ظهور الصفات الكمالية للمحبوب في المحب

إنّ من عجائب عالم الحب : الاتحاد بين المحب والمحبوب ، فمن حيث المعنى لأنّ الكمال يجد له علاقة في الصداقة ، ولذا فإنّ كل صفة كمالية في المحبوب سيكون المحبّ متحلياً لها أيضاً لأنّه ارتبط بالمحبوب واتّحد به ، وبطبيعة الحال فإنّه بمقدار استعداد المحب وطاقته يكون ظهور الصفات الكمالية فيه .

والحسين العزيز مهما ملك من الصفات الكمالية فإنّها تظهر في محبيه كل حسب مقدار استعداده وبمقدار محبته ، وبمقدار ما يرتفع من الموانع ، إلاّ أنّ الأصل وهو وجود المحبة مسلّم به .

الصبر هو الكمال البارز للحسين

أهم صفات الحسين الكمالية التي أشار إليها جدّه وأثنى عليها الله

---

(١٢) البقرة : ١٥٢ ـ ١٥٣ .

وملائكته صفة الصبر عند الحسين حتى أنّ إمام العصر (عج) يقول في الزيارة المنسوبة له : « لقد عجبت من صبرك ملائكة السماء » .

إنّ الصبر هو الذي رفعهم ، وهو الصفة التي في الأئمة ، ويجب أن تكون فيهم .

لقد ذكر الله بالصبر في أكثر من سبعين موضعاً في القرآن الكريم ، وأنّ أجر الصابرين بغير حساب ﴿ **إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[١٣] ، والمقام الذي يعطى للصابرين يعلمه الله وأولياؤه ، والذي يفهم من القرآن الكريم أنّ المعية الخاصة واللطف الكبير هما لأهل الصبر ﴿ **إنّ الله مع الصابرين** ﴾[١٤] ، بل أن من لم يكن من أهل الصبر لا إيمان له ، وقد تكرر القول بأنّ منزلة « الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد » ، فكما أنّ الجسد بلا رأس عديم القيمة وميت وجماد ، فإنّ الذي لا صبر له ليس له إيمان حقيقي ولكنه يتصور نفسه مؤمناً .

نتيجة الصبر الكمال

يقول الإمام موسى بن جعفر : « الإيمان والصبر مثل كفتي ميزان متعادلتين ، كلما زادت إحداهما زادت الأخرى » ، فلا يبلغ الإنسان النجاة أو الدرجات بغير الصبر ، فدرجات الآخرة تقسم طبقاً للصبر ، فلنصمم إذن على أن نقضي بقية العمر في الصبر لتكون لنا خصلة من خصال الحسين ونستفيد منها ليكون لنا بعد الموت مكان بين الصابرين ، وبمعنى أوسع فإنّ إنسانية الإنسان تقاس بصبره ، إذا أنّ الحيوان لا علاقة له بالصبر حيث يتلخص إدراكه في شهواته ، فهو يسعى لما يشبع بطنه وفرجه ، أمّا الإنسان فهو على مفترق طريقين : الشهوة تجذبه نحو الدنيا ، والعقل يهديه إلى طريق الله ، فإن لم يصبر ولم يستقم فقد سلك طريق الحيوانات واختار شهوات الدنيا :

(١٣) الزمر : ١٠ .
(١٤) الأنفال : ٤٦ .

أكل ونوم وغضب وشهوة وشغب وجهل وظلام

الحيوان لا خبر لديه عن مقام الآدمية ، وعلى هذا فكل من كان همّه المال والشهوة والجاه ، فإنّه لا يختلف عن الحيوان في هذه الناحية ، الإنسان هو من استطاع أن يكبح جماح نفسه .

الصبر أمام الشهوات

إنّ بعض الحيوانات لا يمنع نفسه عندما يلتقي بأُنثاه ، أو إذا رأى الغذاء ، فإذا رميت بفريسة أمام كلب وجاء كلب آخر فإنّهما يقتتلان ، ومن كان كذلك فليس بإنسان ، فإذا أردت الدخول في أهل الإيمان فعليك بالصبر ﴿ **الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا** ﴾[15] ، وأنت يا من قلت إنّ الله ربّي يجب أن تثبت وتستقيم على صراط العبودية وأن لا تتخذ الشهوات إلهاً ﴿ **أرأيت من اتّخذ إلٰهه هواه** ﴾[16] وعندما يكون إلٰهك الله مرةً ، والشهوات مرة أخرى ، فهذا ليس بتوحيد بل هو شرك .

إذا مررت من أمام سينما وغرّتك الصور المهيجة للشهوة فدخلت ، فأنت لست من أهل الصبر ، إذ أنّ هناك المحل الذي يسرق فيه الدين والإيمان ويحول فيه الإنسان إلى حيوان ، صحيح أنّ الإنسان يميل إلى إشباع غرائزه الحيوانية ، ولكن ألأجل اللذّة البهيمية جئت إلى هنا ؟ ينبغي أن تكون رجلاً صابراً لتجد الإيمان ، وإلاّ فسيكون إيمانك منحصراً بالشهوات فقط ، وأنّ أعظم وأعلى درجات الصبر هو الصبر على ترك المحرّمات ، حيث أنّ النفس والشيطان يحبّبانها لك ، وتضغط الغرائز الحيوانية بهذا الاتجاه أيضاً ، لذا فإنّ الصبر عليها له أجر عظيم .

---

(١٥) الأحقاف : ١٣

(١٦) الفرقان : ٤٣ .

الاستخفاف بالصلاة والبكاء على الحسين

الدرجة التالية هي الصبر على الطاعة ، يجب أن لا يفوتك فرض واجب ، فصلاة الصبح مثلاً واجبة ، لذا يجب الصبر عليها مهما صعبت ﴿ **وإنّها لكبيرة إلّا على الخاشعين** ﴾[17] ، ففي الشتاء يكون الهواء بارداً في الخارج والفراش دافئاً وناعماً ، لكن يجب الصبر على ما يخالف هوى النفس ، فتنهض وتتوضأ وتصلّي ، وفي فصل الصيف يكون الليل قصيراً والنوم وقت الصباح لذيذاً ، لكن يجب عدم التهاون في أمر الصلاة ، ألا تريد أن تلحق بالصابرين ؟ لا تتصور أنّ البكاء على الحسين ينسجم والإستخفاف بالصلاة .

صحيح أنّ البكاء على الحسين يكشف لك الحجب ويرق القلب ويذكرك بالله ، لكن بشرط أن لا تدير ظهرك لله ، ذكر الحسين يوجب المغفرة والرحمة والشفاعة ، ولكن ألم تسمع ما قاله الإمام الصادق وهو « لا تنال شفاعتنا من استخفّ بصلاته » والمقصود ليس ذلك الذي لا يصلّي أبداً ، بل الذي إن أراد صلّى وإن أراد تركها وأهملها .

يجب أن تكون إنساناً ليشفعوا لك ، كيف تنال الشفاعة لحيوان ؟ أن من لا يستطيع قهر نفسه على الصلاة عندما يحين وقتها كي لا تفوته هو حيوان وليس إنساناً .

مثال آخر في الإنفاق الواجب : كيف يستطيع الوصول إلى الكمال المطلوب من يصعب عليه بذل المال ؟ يجب أن يصبر ويقاوم وعود الشيطان بالفقر ، ويهتم بوعد الله بالرحمة كي يشع في قلبه نور الإيمان ويزداد .

الصبر على الشدائد

الثالث : الصبر على المصائب ، لقد عقد الله بحكمته عالم الطبيعة بالمصاعب كي يتمرن البشر ويتطور وينمو ليستطيع بالتالي أن يفهم المعاني

---

(١٧) البقرة : ٤٥ .

الروحانية ، إنّ البلايا هي لتكميل النفس ، أيّها المريض لا تدع عنان الصبر يفلت من يدك أو تجزع ، اضبط نفسك وقل أنّ كل ما رآه الله خيراً فهو خير وصالح ، والحمد لله وله الشكر فقد رأى في المرض مصلحتي .

إذا ضاع مالك أو خسرت فلا تترك الصبر ، تذكر أنّك أتيت إلى هذه الدنيا حافياً وستغادرها حافياً ، فإن مات أحد أقربائك ، لا أقول لك لا تحزن عليه ، بل إنّ البكاء هو من متطلبات وجود العلاقة بينك وبينه ، لكن أقول : لا تكن مضطرب القلب كالذي لم يعد يملك شيئاً أبداً ، لا رباً ولا ثواباً ولا خيرات ، يجب أن يكون اطمئنان المؤمن بربّه ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾(١٨) ، وأن يكون معتمده ربّه « يا من عليه معوّلي » .

ما الذي نبغيه في الزيادة يا ربّنا
يكفينا من الملك أن نكون مع مؤنس الروح

أنت يا من تقول القيامة حق ، والآخرة هي المستقر ، وما الدنيا إلاّ ممرّ نجتازه سريعاً ، أنّ المسافر يرسل متاعه عادةً قبله كي يصل مرتاحاً خفيفاً ، ابنك الذي مات هل كان ملكك ؟ لقد كان وديعة الله فأعيدت إلى أصحابها ، فلا تغفل عن الله ، وضع ذلك في حسابه ، تعلم من الحسين .

قول الحسين بعد مقتل حبيب

كان حبيب بن مظاهر شيخاً من أصحاب الحسين المبجلين ، وكان الحسين يحبّه حبّاً جمّاً ، وقيل في الرواية المنقولة أنّ مقتله هزّ الحسين وصعبت عليه مصيبته فقال : « احتسبه وحماة أصحابي عند الله » .

إذا اتّفق وحدث لمحبّي الحسين حادث مثل ذلك فإنّ عليهم أن يحتسبوه عند الله .

---

(١٨) الرعد : ٢٨ .

العباس يبعث بأخوته الثلاثة إلى الميدان

قال العباس يوم عاشوراء وهو يقدم أخوته من أمّه (أم البنين) الثلاثة (عبد الله وعثمان وجعفر) إلى الميدان : « فديتكم عمري يا أخوتي ، تقدموا وانصروا سيدكم حتى تقتلوا دونه جميعاً » ، أي إنني أفضل أن تقتلوا قبلي وأرى مصيبتكم جميعاً كي يزداد أجري .

كل من اكتوى قلبه بفاجعة فإنّ له عند الله أجراً ، ومرهم اللطف هو للقلب المفجوع ، وإلاّ فما أهمية نصف ساعة أسرع أو أبطأ ؟ لقد أراد أبو الفضل أن يصل الدرجة التي يغبطه عليها جميع الشهداء ، كما قال زين العابدين « وإنّ لعمي العباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة » .

لقد منحه الله القدرة على حمل كل ما يسقط وأن يغيث كل من يتوسل به ، لذا اشتهر بباب الحوائج .

وأنتم يا محبّي الحسين ، اسلكوا الطريق الذي سلكه أصحابه ، وصمموا الآن على الصبر والتحمل عند كل واقعة ونازلة .

الطمأنينة والرحمة في الصبر

إنّ صلوات الله ورحمته تتنزل عليك إن أصبحت من أهل الصبر وصبرت في المراتب الثلاث التي أشرنا إليها وهي : عدم التهاون في العبادة ، وأن لا تلقي بنفسك في الذنوب ، وأن تظهر التحمل والصبر في النوائب ، فراحة الدنيا هي في الصبر حقاً .

- عرفت إذن أن ﴿ إنّا لله ﴾ تعني أنّا جميعاً ملك لله ، فما للعبد والاعتراض ؟ وكل ما يراه المولى صلاحاً فعلى المملوك والمخلوق أن يسلّم به .

إذا تلف مالك فقد كان يوماً ما أمانة لديك ، أمّا مالكه الحقيقي فهو الله ، وان مرضت فارضَ بما أراد لك ربّك .

إن صبرت واستقمت فأي تعامل سيعاملك الله في الدنيا والبرزخ والقيامة ؟ إنّ الله سيهبك ـ على سبيل المثال ـ الطمأنينة والاستقرار ، فلا تؤثر فيك سهام وساوس الشياطين والجن والإنس ، كل الناس في غفلة إلّا أنت ففي ذكر الله ، ولن يجد الشيطان إلى قلبك سبيلاً ﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين** ﴾[١٩] ، وببركة هذا الصبر والتحمل مع هذا الإيمان ، سيرحل وهو يسمع بشارة الملائكة في آخر لحظات حياته : ﴿ **الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا** ﴾[٢٠] .

ترى كيف عوض الربّ الشكور الحسين قبالة صبره ؟ أيّة عظمة وسموّ أعطى للحسين ؟ نذكر الآن جزءاً من ذلك :

سليمان الأعمش وزيارة الحسين

كان سليمان الأعمش[٢١] موثوقاً من الجميع، وربما سمعتم بالرواية التالية كثيراً إلّا أنني أوردها للتذكير : كان له جار منكر لزيارة الحسين ويعتبرها بدعة ، إلّا أنّه شوهد في إحدى ليالي الجمعة باكياً عند قبر الحسين ، وحين سأله الأعمش عن سبب هذا التحول ، قال رأيت في المنام أنّ القيامة قد قامت ، وفي زحمة تلك المصاعب الجمّة ، جاءت الزهراء (ع) في هودج لتشفع للناس ، وكانت تتناثر من هودجها أوراق كتب فيها أمان من النار لزوّار قبر الحسين ليلة الجمعة .

---

(١٩) الفتح : ٤ .

(٢٠) فصلت : ٣٠ .

(٢١) في الأعلام للزركلي ٣ : ١٣٥ « قال الذهبي : كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح وقال السخاوي : قيل : لم يُرَ السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدّة حاجته وفقره » توفي عام ١٤٨ هـ .

- ١١ -

الانسان عاشق الاحسان

عشرة عاشوراء أيام مباركة ينبغي الاستفادة منها في زيادة الإيمان والتولّي ، ولما كانت الولاية هي روح الدين فظهورها ورسوخها يكثر في هذه الأيام والليالي .

والمحبة ـ التي هي حقيقة الإيمان ـ ينبغي أن تزداد فيها ، ولتوضيح ذلك فيما يلي معنى الإيمان : كل إنسان عاقل مكلّف أن لا يكون سفيهاً ، وبقليل من التأمّل في نفسه وفيما يملك يحبّ ربّه ، فيرى أنّ الله قد منحه ما يحتاجه من الأعضاء والجوارح والمتطلبات الباطنية والظاهرية ، إذن فحبّ الله يستلزم هذه المعرفة ورؤية هذه النعمة ، لأنّ الله تعالى خلق الإنسان محبّاً للإحسان ، والمثل يقول : « الإنسان عبد الإحسان » ، شيء فطري : كل إنسان عاقل إذا أحسن إليه أحد فإنّه يكون محبّاً ومديناً له ، أي أنّ القلب يتعلّق به ، وهذا الأمر موجود حتى في الحيوانات ، فهو مشهود مثلاً في الكلب مثلاً ، وكلما ازداد الإحسان والإكرام ازداد التعلق بالمحسن .

فإذا عرفت الله الذي وهبك كلما تملك : من عين وأذن ولسان ويد ورجل وعقل ومتطلبات (زوجة وأولاد) ولوازم الحياة وأنواع اللباس والطعام والمسكن فستجد أنّ نعمه لا تحصى ﴿ **وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ .

اشكره لأنّه أعطاك عيناً

قيل أنّ مريضاً مصاباً بماء في عينـه ، فقد على أثـره البصر ، فـذهب إلى طبيب سحب ذلك الماء منها فشفي من مرضه ، فظلّ حتى آخر عمره محبّاً لذلك الطبيب ويمتدحه ويشكره لأنّه كان السبب في أن يـرى بعينه بعـد أن فقد الـرؤية بهـا ، إلاّ أنّه لم يكن يشكـر ـ ولا بكلمة واحـدة ـ الله الذي أعـطاه تلك العين ، فلماذا لا تذكر ذلك الذي أعطاك هذا الجهاز العظيم وبقية الأعضاء ؟

الايمان يعني الحب

إنّ التعلق بالمنعم ضروري لمعرفته ، أي الإيمـان به ، والعـلاقة والحب لله ينبغي أن تكـون بدرجـة أن يحبّ الإنسان ربّـه أكثـر من حبّـه لأي شيء آخـر **﴿ قـل إن كـان آبـاؤكم وأبنـاؤكم وأخـوانكم وأزواجكم وعشيـرتكم وأمـوال اقتـرفتموهـا وتجارة تخشـون كسادهـا ومسـاكن تـرضـونهـا أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصـوا حتى يأتي الله بـأمره ، والله لا يهـدي القوم الفاسقين ﴾**[٢٢] ، تلكم هي أولى مراتب الإيمـان ، ثم يرتقي حتى يصـل الحدّ الذي ليس له فيه حبيب إلاّ الله ، وكل شيء يحبّه فإنّما هو لله وفي سبيل الله .

ما المال ما الأولاد ، وما الشهرة وما الصيت ، بل وما الروح أمام الله ؟

إذا وجد العقل السليم عرف أنّ كل إحسان وكل نعمـة ، من أي أحد ومن أي شيء فـإنّهـا أيضـاً من الله **﴿ ومـا بكم من نعمـة فمن الله ﴾** الأمـر هكـذا : **﴿ آمنوا بالله ﴾** تعلقوا بربّكم .

أمّـا الآخرون من الغـافلين فيـدورون حـول أنفسهم ، ولا يـرون أنّ النعم والإحسـان من الله ، وليس لهم علاقـة قويـة بالله أيضـاً ، أمّـا أنت الـذي تقـول « رضيتُ بـالله ربّاً » و« اللهم مـا بنا من نعمـة فمنك » فيجب أن تكـون علاقتـك وإيمانك بالله وحده وحبّك لله وحده ، وكل قلبك متجه إلى المنعم .

---

(٢٢) التوبة : ٢٤ .

الواسطة الى النعمة غالية أيضاً

بعد أن يلتفت الإنسان إلى أنّه لوحده لا يستطيع معرفة الحق تعالى ، ومن أين جاء وإلى أين يذهب ؟ يجد أنّ تلك المعرفة إنّما كانت ببركة سفير الحق ، والواسطة الإلهية والوجود المقدس لخاتم الأنبياء محمد (ص) .

إنّ محمداً (ص) هو السيد الذي أرسله الخالق الكريم بلطفه وكرمه وجعله واسطة لهداية ومعرفة الناس ، فإن لم يكن قرآن محمد موجوداً ترى من كان يفهم ما الهدف من الخلق ؟ وكيف ينبغي أن نعبد الله ؟ إن كل أنواع الإرشادات التي ترتبط بها الحياة الحقيقية للبشر إنّما عرفت بواسطة نعمة وجود محمد (ص) .

فيجب أن تحب محمداً (ص) من كل قلبك وروحك أي أن ترتبط به ، بتعبير آخر أن تؤمن بمحمد ﴿ **آمنوا برسوله** ﴾ فليس كافياً أن تقول محمد على حق وقد صدّقنا به ، لأنّ كثيراً من المشركين والمنافقين يعلمون بحق أنّ محمداً على حق ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم** ﴾[٢٣] ، إلاّ أنّهم لا ارتباط لهم به ، وليسوا في النهاية ممن لديهم خشوع القلب والتسليم في العمل .

إنّ الغافلين والجهلة استحوذ على قلوبهم مال الدنيا ، إذن فإيمانهم هو بمال الدنيا ، وأمّا أنت الذي قلبك على بصيرة من الله ورسوله فيجب أن يكون تعلقك وارتباطك وإيمانك منحصراً أيضاً بالله ورسوله ، والإنسان يعرف بصورة إجمالية بأي شيء يجب أن يتعلق ، أي بأي شيء يؤمن ؟ ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره** ﴾[٢٤] .

حب الكمال فطري في الانسان

من الخصائص التي وضعها الله في الفطرة الإنسانية : حب الكمال ،

---

(٢٣) النمل : ١٤ .

(٢٤) الواقعة : ١٤ .

فحيثما رأى الإنسان العاقل الكمال فإنّه يحبّه ويتعلق به ، فمثلاً نحن لم نرَ حاتم الطائي وليس لنا به قرابة ، إلاّ أننا لعلمنا أنّه رجل كريم فإنّنا نحبّه .

وبهذا الميزان ، فإنّ أصل الكمال هو في محمد وآله ، إذن فهم محبوبون ، إذ العدل الحقيقي والجود والسخاء وكل الصفات الكمالية التي تخطر على البال موجودة في أهل البيت ، فكل من عرفهم ولم يحبّهم أصبح معلوماً أنّه لم يعرفهم أو أنّه رديء الطبع .

حب محمد مع آله

النقطة المهمة الأخرى هي أنّه لا يمكن لأحد أن يحب محمداً ولا يكون محبّاً لذرّيته وأهل بيته ، فـ :

أولاً : الأنوار الطيبة لآل محمد هي واحدة مع محمد (ص) كما جاء في الرواية : أوّلنا محمد،، وأوسطنا محمد ، آخرنا محمد ، كلنا محمد ، فكلهم وسيلة للهداية الإلهية وكلهم أصل الكمال وكل الكمال ، إذن فحبّ أحدهم لا ينفصل عن الآخر .

ثانياً : من ناحية الفريضة والوجوب الشرعي ، والمدهش هنا أنّ الروايات الواردة عن طريق أهل السنة كثيرة في هذا المجال ، حتى أنّ الرازي يقول : ضرورة دين الإسلام حبّ آل محمد وعترته ، أي من ينكرهم خارج عن الإسلام ، ويقول الشافعي وهو أعجب :

يا آل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنّكم   من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

إنّ هذا الأمر ليس بالشيء الذي يستطيع المسلم إنكاره ، وقد نقل المرحوم الأميني روايات متعددة في كتاب الغدير عن أئمة العامة ، اكتفى بذكر واحدة منها تبركاً :

قال الرسول (ص) : « والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد لله ، حتى أكون

أحبَّ إليه من ولد ووالده ، وتكون عترتي أحبَّ إليه من عترته »[٢٥] .

فما قيمة المال والأولاد والعشيرة إزاء محمد وآله إن لم يتخذ محمد وآله مكاناً في قلبه ؟ وأي إيمان هذا ؟ هل هو الإيمان بالدنيا والمال والجاه ، وعلى هذا فبم يكون التعلق والرغبة اللذان هما أصل الإيمان ؟

إذن يجب على المسلمين أن يعملوا على جعل قلوبهم متعلقة بمحمد وآله ، هذا هو الطريق الحقيقي للنجاة والإيمان وليس التصديق وحده ، يجب أن يتخذ الإيمان موقعاً في قلبك ، إذ كما اتّخذ المال موقعه فيه ينبغي أن يتّخذ الحسين له مكاناً فيه .

اسلكوا سبيل الله والآخرة ، واعلموا أنّ الولاية التي هي أهمّ الفرائض إنّما هي الإيمان الذي هو المحبة والتعلّق بالله وكل ما هو مرتبط به .

ألم يحن الوقت الذي تنتخب فيه أحد الطريقين : أن تحبَّ الله ووسائط نعمته محمداً وآله ، ألم يحن الوقت الذي ترغب فيه بالجنة بدلاً من اختيار الطريق الثاني : الرفاهية والنعيم ؟ أن يرضى الله عنك سواء أكانت دنياك عامرة أم خربة ، على خلاف أهل الغفلة الذين إن عمرت دنياهم فلا يهمهم بعدها إن أذنبوا أو تهاونوا بعبادتهم ، ولا يخافون لأنّ قلوبهم ليست متعلقة بالآخرة .

جواب واضح على اعتراض

نحن في حيرة من أمر البعض الذين بالرغم من كثرة الروايات المتوفرة لديهم والمتناقلة بينهم يعترضون على الشيعة لماذا تحزنون وتبكون وتضربون الصدور على الحسين عندما يحين المحرّم من كل عام ؟

يعترضون مع أنّهم ينقلون عن الرسول (ص) أنّه قال : « لا يؤمن عبد الله حتى تكون عترتي أحبَّ إليه من عترته » .

---

(٢٥) كتاب الغدير .

تـرى لو مـات ابنك ، كيف سيكـون حالـك عندمـا تمرّ الـذكرى السنـوية لوفاته ؟ إن كنت مؤمناً يجب أن يكون علي الأكبر أحبّ إلى قلبك من أولادك .

أنتم الـذين قلتم إنّ رسـول الله (ص) قـال : اللهم إنني بـاك لمـا ستفعله الأمّـة بالحسين ، وكـان يحتضن الحسين على المنبر ويبكي ويقبّـل كل بـدنه ، ويقـول لا أقبّـل إلاّ مـواضـع السيـوف والـرمـاح والحـراب والسهـام ، وعنـدمـا كان (ص) يسجد للصـلاة ويعتلي الحسين ظهره ، كـان يطيـل سجوده ويمسـك الحسين بيده برفق كي لا يسقط من على ظهره ، كم كان يظهر حبّه للحسين ؟ .

إنّ القرآن يأمرنا بـاتّباع سنّـة الرسـول ، والرسـول نفسه قـد أقام مجـالس متعددة للعزاء على الحسين .

النبي ومجلس عزاء الحسين

ورد عن طريق علماء السنّة ، أنّ النبي كان يقيم مجالس عزاء الحسين في بيت عائشة وفاطمة وأم سلمـة وفي المسجد وعنـد اجتماع الصحـابة ، وقـد نقل المرحوم الأميني في كتاب « سيرتنا وسنتنا » ما مضمونه أنّ الرسـول كان نـائماً في بيت أم سلمـة ، فجاء الحسين ، فمنعتـه أم سلمة من الـدخـول قـائلة إنّ جـدّك نائم ، فلم يمتنع الحسين واتّجـه إلى رسول الله وجلس على صـدره ، وبقيت أم سلمة تنتظر نهوض النبي وفجأة سمعت بكاء الرسول ، فظنت أنّ الرسول انـزعج لأنّ الحسين جـاء في غير وقتـه ، فاعتـذرت منه بقـولها : لقـد منعته إلاّ أنني لم أستطع ، فأجابها الرسول : يا أم سلمة ، أنـا لا أبكي لمجيء الحسين ، بل لأنّ جبرئيل أخبرني بما سيجري عليه ، وأراني كربلاء حسيني ، وجلب إليّ شيئاً من تـربة قبـره ، وها هي الآن في يـدي ، فاحتفـظي بها ، فـإذا رأيتها أصبحت دمـاً فاعلمي أنّ الحسين قد قتل .

ينبغي إذن أن يقتدي المسلمون ـ بحكم القـرآن ـ بنبيّهم ويقيموا مجـالس العزاء .

السجود على تربة الحسين

من المؤاخذات التي يؤاخذون بها الشيعة سجودهم على التربة الحسينية ، يقولون إنّه شرك وعبادة للأصنام ، ومغالاة في أهل البيت ، ونجيب على ذلك :

أولاً : أننا نشعر بالخجل لأنّ حبنا لهم (ع) لم يكن كما ينبغي (أي أننا مقصرون في حبهم) .

ثانياً : بدلاً من أن تحتجوا على العمل الصحيح للآخرين ، كان ينبغي أن تصححوا العيوب التي لديكم ، فأنتم تسجدون على السجادة في المسجد والبيت ، فهل لدينا رواية واحدة ـ ولو ضعيفة ـ بأنّ الرسول كان يسجد على السجادة ؟ ، وليس معلوماً بأنّه قد أذن لأحد أن يسجد على السجاد ، لقد ابتدعتم أنتم ذلك ولسنا نحن الذين نسجد على التراب بمبتدعين .

روايات السجود من الصحاح الستة

قسم المرحوم الأميني في كتاب سيرتنا وسنتنا الروايات التي وردت في الصحاح الستة في باب السجود إلى ثلاثة مجاميع :

مجموعة مضمون رواياتها أنّ رسول الله من أول بعثته حتى آخر عمره كان يسجد على الحصى والتراب عندما يكون الجو معتدلاً .

المجموعة الثانية : عندما يكون الجو حاراً ، كان المسلمون يمسكون بأيديهم بحصى أرض المسجد الذي كان ساخناً لكي يبرد قليلاً فيسجدون عليه ، وكانوا يفرشون أحياناً حصيراً من سعف النخل مرشوشاً بالماء ليسجدوا عليه .

المجموعة الثالثة : الرواية التي تقول أنّه عندما اتّفق مرّة أنّ محل سجود النبي كان ساخناً جداً ، بحيث كان جبينه سيكوى به ، فرش رداءه على الحصى ثم سجد عليه .

ومن هنا يستنتج أنّ المسلمين كانوا يسجدون على الحصى والتراب إلاّ إذا اقتضت الضرورة .

وعلى هذا فإنّ السجود على السجاد الصوفي أو القطني هو البدعة وليس على التراب ، لأنّ الأصل هو أن نسجد عليه .

لماذا يصنّعون تراب الحسين للسجود ؟

ومن أهم المؤاخذات التي يؤاخذونها قولهم : لماذا تصنّعون تراب كربلاء بالذات دون سواه لتضعوا عليه جباهكم ؟

إنّ المكلف بأداء الصلوات الخمس مكلّف أيضاً أن يكون محلّ سجوده نظيفاً ، وهو في البيت سيسجد على الفراش ، لكن كيف سيكون حاله في السفر ؟ وهو في كل الحالات ينبغي له أن يسجد على شيء طاهر ، وأي شيء أكثر طهارة من التراب النظيف الذي يحمله معه بهيئة قطعة محددة ؟

أمّا مؤاخذتهم لماذا من تراب كربلاء ؟ فنذكّر هنا برواية جاءت من أخبار العامّة وهي قول رسول الله (ص) لأمّ سلمة إنّ جبرئيل قد أهداني شيئاً من تراب كربلاء ، فلما قبّلته شممت فيه رائحة الجنّة .

إنّ لهذه القطعة من التراب ارتباطاً بداعي الله ، ومحبّه وعبده المخلص له : الحسين ، وقد عرف شرفها من النبي الذي بلغها لنا قولاً وعملاً .

كربلاء قطعة من الجنة

قال رسول الله (ص) : « يا جابر زر قبر الحسين بكربلاء ، فإنّ كربلاء قطعة من الجنة » ، وقد أطال الله في عمر جابر بن عبد الله الأنصاري فوفّق لزيارة قبر الحسين ، ولقد سمعتم بالخبر المشهور من أنّ جابراً قد زار الحسين يوم أربعينه (ع) ، لقد كان ينبغي لمن له بصيرة مفتوحة أن يكتحل بتراب كربلاء الذي تبرك به رسول الله .

تربة الحسين مع جنازة

وقد ورد إذن في أحد التوقيعات المباركة للحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه أيضاً لواحد من الشيعة الذين كتبوا إليه في زمن الغيبة الصغرى بواسطة أحد نوّابه (ع) هل يجوز لنا وضع تربة الحسين مع الميت في القبر أو أن نكتب بتراب الحسين على الكفن ؟

أجابه عليه السلام : إنّ كلا الإثنين جائز مع وجوب مراعاة احترام التربة .

إنّ تراب قبر الحسين عندما يوضع أمام وجه الميت أو تحت رأسه يجعل ببركته قبر الميت آمناً من أي بلاء أو آفة أو عذاب ، فأي فضل عظيم سيكون له لو دفن في نفس تراب كربلاء ؟ .

ـ ١٢ ـ

حب ال محمد ضرورة للاسلام

قلنا إنّ تولّي وحب أهل بيت النبي (ص) من ضروريـات الإسلام ، ولقـد اتّفقت جميع الفرق الإسـلامية منـذ الصدر الأول حتى الآن بـأنّ مودّة آل محمـد واجبـة وضرورة للدين ، وعلى الـرغم من الأيـدي الأثيمـة للحكـومتين الأمـويـة والعباسية اللتين منعتـا الناس من التمسّـك بهذه الضـرورة ، إلاّ أنّهم أخفقوا في ذلك فلم يؤيدهم إلاّ قلة معدودة من النواصب أعداء أهل البيت .

إنّ النصّ القـرآني القائـل : ﴿ **قل لا أسـألكم عليـه أجـراً إلاّ المـودة في القربى** ﴾[٢٦] صريح بوجوب محبّتهم .

قال زعيم المذهب الشافعي :

إن كان رفضاً حبّ آل محمد   فليشهد الثقلان أنّي رافضي

لا يكون مسلماً من آمن بوجوب المودة والولاية ولا يحبّ آل محمد ، نجد في اليائية الشهيرة لعمر بن الفارض المصري وهو من مشاهير عرفاء العرب وأهل السنـة ، والمعروف لـديهم بأنّـه صاحب كـرامات ومقـام شامـخ ، نجـد هـذين البيتين :

---

(٢٦) الشورى : ٤٢ .

ذهب العمر ضياعا وانقضى باطلاً إن لم أفز منك بشي
غير ما أوتيت من عهدي الولا عترة المبعوث من آل قصي

أمّا حبر وربّاني الأمّة ابن عباس وهو المقبول لدى جميع الفرق الإسلامية فعندما أدركته المنية بعد أن نيف على التسعين ، رفع رأسه وهو في حال الاحتضار : « اللهم إنّي أتقرّب إليك بحبّ الشيخ علي بن أبي طالب (ع) » .

والشواهد على هذه المسألة ـ حب أهل البيت ـ كثيرة عن طريق أهل العامة ، وهي من المسلّمات ، حتى أنّ صاحب « ينابيع المودة » الذي كان سنّياً حنفياً قد ألّف كتابه هذا في محبّة أهل البيت ، كما ألّف كتاب « تذكرة الأمّة في فضائل ومعجزات الأئمة الاثني عشر » من علي (ع) حتى الحجة بن الحسن ، وألّف محمد بن طلحة الشافعي كتاباً كاملاً أسماه مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ، في فضل أهل البيت ، وكذلك ألّف ابن الصباغ المالكي كتابه « الفصول المهمة في أحوال الأئمة » .

إنّ كل تلك الكتب المعتبرة لدى العامة نماذج في هذا الباب ، بل إنّ قسماً منها كان خاصاً بالإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن ككتاب « أخبار البيان في مناقب صاحب الزمان » .

علام النزاع اذن ؟

من الممكن أن يسأل سائل ترى إن كان حبّ آل البيت ضرورة للدين واتّفق على ذلك عموم المسلمين ، إذن علام النزاع ؟ علام الشتم وسفك الدماء ؟ .

الجواب : لم يكن الشيعي خصماً للسني في أي وقت . إذ ليس لدينا إذن من أئمتنا بمعاداتهم ، بل على العكس من ذلك ، فإنّ صلاة الجماعة في بعض الموارد يجب أن تقام معهم وهي صحيحة ، وأرواحهم وأعراضهم وأموالهم مصونة لدى الشيعة ، إلاّ أنّه وللأسف الشديد فإنّ بعضهم يعتبروننا سيئين ويبيحون دماءنا ، فالخطأ والنزاع من أولئك وليس منّا ، قلّبوا صفحات

التاريخ فلن تجدوا الشيعة ارتكبوا مذابح بحق أهل السنة ، إلا أن البعض من السنّة قد ارتكب المذابح بحق الشيعة .

مذابح معاوية وأتباعه بحقّ الشيعة

إنّ أول من ابتدع قتل الشيعة كان معاوية بن أبي سفيان ، فهو الذي قتل محمد بن أبي بكر بجرم كونه من شيعة علي ووضع جثته في جوف حمار وأحرقه ، دون أن يأخذ بعين الاعتبار أنّ أباه هو الخليفة الأول ، الذي كان معاوية يدّعي أنّه من أتباعه ، كما لم يراع حرمة أخته عائشة أم المؤمنين التي اشتركت مع معاوية في عدائها لعلي ، كل ذلك لم يأخذه بعين الاعتبار لأنّ محمداً بن أبي بكر كان من شيعة علي .

إنّ معاوية بعد تسلطه على البلاد الإسلامية سوّد صفحات التاريخ بجرائمه ، لقد سمعتم عن قتله الشيعة أمثال حجر بن عدي ورشيد الهجري ، وقد قتل بعده في شتّى الأزمان كثير من الشيعة مظلومين ، فالشهيد الأول فقيه أهل البيت قتل في الشام بفتوى من علماء أهل السنّة ، لأنّه عالم شيعي ، وكذلك الشهيد الثاني ، والقاضي نور الله الشوشتري ، وعدد آخر من العلماء العظام ، كلّهم قتلوا بجرم كونهم شيعة .

خلاصة القول : لم يكن للشيعة نزاع معهم حتى وقتنا الحاضر ، إلاّ بعضهم كانوا وما يزالون يؤذون الشيعة ، على الرغم من اعتقادنا بإسلامهم وطهارتهم ولا نفرّق بيننا وبينهم في النكاح والمواريث .

جذور الخلاف في حقيقة الحب

نشأ الخلاف بين الطرفين من قول الشيعة لأخوانهم المسلمين تعالوا لإدراك الحقيقة ، فإذا كنتم تقولون أنّ الإيمان بالله ورسوله هو حبّ آل محمد ، وأصل الدين هو الإيمان بالله ـ وقد ذكرنا ذلك فيما مضى ـ فإنّ ذلك يتحقق عندما تتركون هوى النفس والرغبات الشخصية ، وترتبطون بسفيره وممثله حبيب

الله وواسطة الفيض أي محمد (ص) ، وعندما تؤمنون أنّ محمداً أعزّ لديكم من أنفسكم ، فإن حصل ذلك فستكون تابعاً لمحمد وآله شئت أم أبيت ، بشكل يكون معه المال والنفس والأولاد أشياء لا قيمة لها اتّجاه الولاء له ، ولا تتخلف عنه لأجلها ، أنت يا من تقول لا إله إلاّ الله ، يجدر بك أن تتنازل عن حبّ الذات والشهوات والأنانية ، فإن كنت محبّاً لله حقّاً فيجب أن تتبع محمداً وآله كما نصّ القرآن الكريم ﴿ **قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله** ﴾[٢٧] .

بعد أن وصلنا إلى النتيجة القائلة بأنّ المحبة إن كانت حقيقية فمن المحتّم أن تكون التبعية لمحمد ، والآن لنرَ ماذا قال الرسول (ص) ، لقد سمعتم مراراً حديث الثقلين وتعلمون حقّ العلم أنّ الرسول قال : « إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي » فمن الذي عيّنه رسول الله لكم ؟ وعندما تتبعون أحمد بن حنبل أو الشافعي أو أبا حنيفة أو مالكاً وتتنحون عن طريق آل محمد (ص) فكيف تدعون الحب ؟ أمن المحبة أن تتركوا جعفر بن محمد وتذهبون خلف أبا حنيفة ؟ بأي دليل تتبعونه ؟ أهو غير التقليد الأعمى للأسلاف لأنّهم اتّبعوا الشافعي لألف سنة ، فنحن أيضاً نتبع ، إنّ تبعيتنا لمحمد (ص) هي في التبعية لجعفر الصادق ، وليس لأبي حنيفة وغيره ، ومن حيث التبعية لا يختلف الأمر بين اتّباع عمرو أو أبي حنيفة أو غيرها من عامة الناس ، أكان خليفة أم رئيساً أم لم يكن .

كيف نضع بيننا وبين الله واسطة ؟

إنّ عمل الشيعة صحيح وليس مرتبطاً بالتقليد والهوى ، فأنتم تقولون أنّ الخلفاء العباسيين قد عيّنوا الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ومالك وابن حنبل والشافعي ، ليقلّد الناس واحداً من أولئك الفقهاء الأربعة ، فيجب أن يبقى الناس مقلّدين لهم حتى يوم القيامة ، إلاّ أننا نقول أنّ القرآن يقول : ﴿ **وإنّ هذا**

---

(٢٧) آل عمران : ٣١ .

صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾[٢٨] وأن كل الفرق الإسلامية متفقة أن الرسول (ص) قال : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق » .

فهل أنّ من ترك سفينة أهل البيت وركب زورقاً منخرقاً لهذا وذاك يمكن أن يغوص بك لدى أول موجة إلى قعر البحر ، هل يستطيع أن يقول بلسانه أنني محبّ لأهل البيت وتابع لمحمد ؟ .

الحبّ يقتضي معاداة العدو

لو أنّ أحد المجرمين المحترفين قام بقتل ابن أحد الناس ظلماً وقطّعه إرباً أمام عيني والده ، فهل أنّ ذلك الوالد يكون راضياً عن ذلك القاتل ؟ إنّه سيظل يكرر حتّى آخر عمره : إنّ هذا هو قاتل ابني .

وسيكون الأمر كذلك لو كان قاتلاً لأبيه ، حتى أنّ لدينا مثلاً شهيراً يقول : إنّ بيننا وبين فلان « قتل أب » كناية عن منتهى العداء الذي لا يمكن أن ينتهي يوماً إلى صداقة .

وأنتم يا من تدعون معاوية بـ « خال المؤمنين » المساكين ، وتقولون عنه « رضي الله عنه » ، تقولون ذلك عن هذا الذي قتل السبط الأكبر لرسول الله الحسن المجتبى بالسمّ إلى الحدّ الذي تقيّأ فيه كبده قطعة قطعة ، تقولون أنّكم تحبون علياً في الوقت الذي تحبّون فيه معاوية أيضاً ، وتقولون أنّ معاوية كان مجتهداً ، فلماذا لا تقولون أنّ معاوية لا إيمان له ولم يكن يحبّ أهل بيت وعترة النبي لأنّه حارب علياً وقتل الحسن المجتبى والآلاف من شيعة علي ونهب أموالهم وسوّد بجرائمه صفحات التاريخ ولطخها بالعار ؟ ومع ذلك يؤاخذنا بعض المتعصبين بقوله : لماذا تسبّون معاوية وتتكلمون ضده ؟ .

---

(٢٨) الأنعام : ١٥٣ .

آل أمية هم الشجرة الملعونة

نحن صادقون في حبّنا لآل محمد ، نحبّ علياً حقّاً ، والدليل على ذلك معاداتنا لمعاوية ، ولكنكم تكذبون حين تدعون حبّكم لعلي لأنّكم تحبّون عدوه وتمتدحونه ، إنّ من ضرورات المحبّة في الولاية هو معاداة العدو .

إنّ الله لعنهم في القرآن الكريم حين قال : ﴿ **إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً** ﴾[٢٩] .

ألم يؤذ النبي من يقتل ابن النبي ؟ لقد كان النبي في آخر لحظات حياته ينظر إلى الحسين باكياً ويقول : ما لي ويزيد ، ماذا فعلت بيزيد ؟ أنّ الرسول متألم من معاوية ويزيد ، وطبقاً لهذه الآية ﴿ **إنّ الذين يؤذون الله ورسوله . . .** ﴾ فإنّ لعنة الله تقع على معاوية ويزيد ، فلماذا لا نلعنهم نحن ؟

لقد لعن رسولُ الله بني أمية في مواطن متعددة وخاصة معاوية ، ويجب على الأمّة أن تتبع سنّة نبيّها ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾[٣٠] وإضافة إلى ذلك فإنّ القرآن سمّاهم الشجرة الملعونة ، وقد روى السنّة والشيعة أنّ الشجرة الملعونة في القرآن هم آل أمية الخبيث ، ونقلوا الرؤيا التي عُزيت إلى خاتم الأنبياء بهذا الشكل :

قال (ص) : « رأيت القردة ينزون على منبري » وقد فسّر (ص) ذلك بأنّهم بنو أمية (ملعونو الله) ، لذا فإنّ من واجبنا الحبيّ والإيماني أن نلعن بني أمية ، اللهم العن بني أمية قاطبة .

حب أعداء النبي لا يتلاءم مع الايمان

وكذلك قال عزّ وجلّ في القرآن الكريم : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله**

---

(٢٩) الأحزاب : ٥٧ .

(٣٠) الأحزاب : ٢٢ .

واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴾[٣١] .

إنّ ذلك يوضح بشكل صريح أنّ حب أعداء محمد لا يتناسب مع الإيمان ، فيزيد ومعاوية وبنو أمية . . . أعداء لدودون لمحمد ، ونحن نقول ذلك استناداً إلى أدلّة وبراهين قاطعة ، فمن شاء فلينكر ، وهل تستطيعون إنكار عاشوراء الحسين ؟ لقد أنكرتم إحراق بيت النبي (ص) فهل تستطيعون إنكار إحراق خيام الحسين ؟ .

يقولون إنّ جميع أصحاب النبي كانوا طيبين.، لكن الله تعالى يقول في القرآن بأنّهم ليسوا جميعاً طيبين ، إلاّ أنّهم يصرّون على خلاف القرآن وأنّهم جميعاً طيبون ، القرآن يقول بعض أهل المدينة منافقون **﴿ ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾**[٣٢] .

ترى بحق من نزلت سورة المنافقين والآيات العديدة التي اختصت بالمنافقين والمذنبين من أصحاب النبي ؟

التقرّب الى الله بلعن أعداء أهل البيت

يرى الشيعة أنّ محبة أهل البيت ينبغي أن تكون حقيقيّة ، حبّهم يكون واقعياً عندما نكون معادين لأعدائهم ، ترى هل يمكن حبّ من أباح دم أهل البيت وادعاء الإيمان بعد ذلك ؟ .

وطبقاً للدلائل المتوفرة فإنّ الأنبياء السابقين كانوا يؤمرون بلعن قاتلي الحسين خصوصاً وأعداء أهل البيت عموماً ليبلغوا تلك الدرجة من القرب التي تحصل ببركة لعن هؤلاء ، فإن لم يعتبروا عدو الصديق عدواً لهم فهم غير مكتملي العلاقة والمحبة ، فكيف بمن يتّخذ عدو صديقه صديقاً ؟ لذا فإنّ

---

(٣١) المجادلة : ٢٢ .

(٣٢) التوبة : ١٠١ .

الأنبياء السالفين ولكي يكتمل تعلقهم بالأنوار الطيبة لأهل البيت ، فقد كان يوحى إليهم أن يلعنوا أو يعادوا ويتبرأوا من أعداء أهل البيت .

لعن قتلة الحسين على لساني آدم ونوح

عندما أُريد قبول توبة آدم عليه السلام تمسّك بالخمسة الطيبة ﴿ **فتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه** ﴾[٣٣] وقد لعن أعداءهم عندما تلا عليه جبرائيل شيئاً من مصيبة الحسين .

وعندما أراد نوح ركوب السفينة تمسّك بأهل البيت والخمسة الطيبة ولعن أعداءهم ، وكذلك الأمر بالنسبة لإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء ، كما تروي بعض الروايات وفي جميع الأحوال أنّ التولّي والتبرّي كانا مع بعضهما .

---

(٣٣) البقرة : ٣٧ .

ـ ١٣ ـ

أهمية مجالس العزاء الحسيني

إنّ إقامة مجالس العزاء في أيام عاشوراء هو أداء لواجب المحبة ، حيث أنّ أكبر الواجبات الإلهية وجوهر وحقيقة الإيمان هو الولاية لمحمد وآله ، وبناء على ذلك فإنّ إقامة المجالس والتجمع وذكر الحسين والحزن عليه هو أداء لتلك الفريضة ، ونأمل أن يبدي محبّو أهل البيت اهتماماً أكبر لهذه المهمة .

ومن ضروريات هذه المحبة الحزن والأسى في هذه الأيام اللذان يظهران جليين في إقامة العزاء ، كما يجب الحرص على أن لا يدخل عنصرا النفس والهوى في العمل ، فحينئذٍ لا يتم أداء حقّ الولاية بل ستكون معاملة مع النفس .

إنّ مجلس العزاء يقام تقرباً لأهل البيت ، أمّا إذا كان الهدف هو الهوى النفساني ـ لا سمح الله ـ كما لو أقام مجلساً باسمه ليكون سبباً للشهرة ، وبذلك لا تكون المحبة هي حافزه الأصلي ، بل حبّ الظهور ، وإلاّ فإن كان حبّ الحسين هو الدافع فليس في المقام « أنا » و« أنت » وإن كان غير هذا فلا قيمة له ، بل أنّه من الكبائر التي تسجل في صفحة السيئات .

وفي هذه الليالي حيث المجلس مزدان بذكر أبي عبد الله الحسين فإنّ الحديث يدور حول الولاية التي هي أكبر الفرائض الإلهية ومن ضروريات

الإسـلام ، وقد قلنـا أنّ السنّة والشيعـة أوردوا روايات متـواترة فيمـا يتعلق بهـذا الموضوع ، وسنذكر هذه المرة حديثاً آخر من صحيح الترمذي ـ وهـو من الكتب الموثوقة لدى العامة هذا الحديث ذكره آخرون ومن ضمنهم (اليعقوبي في تاريخ بغداد)(*) .

حب الله ومحمد والعترة

قال الرسـول (ص) : « أحبّوا الله لمـا يغذوكم وأحبّـوني بحبّ الله وأحبّوا عترتي بحبّي » .

فواجب كل مسلم مؤمن بالله أن يكون ـ عقـلاً ـ محبّاً لله على مـائدة الله ، لبـاسه وفـراشه والأرض التي تحت قـدميه والسمـاء التي فوقـه كلهـا من الله ومن نعمه ، وكنّا قلنا أنّ كل بشـر عاقـل يكون محبّـاً للمنعم عليه ، فـأنت الذي تعلم وعلى قناعة تامّة أنّ كل ما لديك من الله لا من غيـره ، إذن يجب عليك أن تحبّ الله وحده وما يتعلق به ، وعندما تقول يا ربّ ، يا الله ، فإنّ الوجـد يستولي على قلبك ويغمرك الفرح والسرور ، وتدعو الله بكامل الشوق كما كنت تسـرّ بندائـك أمّك وأباك عندما كنت طفلاً ، والآن عندما كبرت وعقلت فإنّك تدرك أنّ ما كنت عليه ينبغي أن تكون على ما هو أشـدّ منه مـع خالقـك ، يقول القـرآن الكريم : ﴿ فـاذكروا الله كـذكـركم آبـاءكم أو أشـدّ ذكـراً ﴾(٣٤) ، ومن دعـاء أبي حمـزة الثمـالي : « سيدي بـذكرك عـاش قلبي »(٣٥) فيجب أن تحبّوا الله لأنّـه يـرزقكم وينزّل عليكم مطر رحمته الذي لو انقطع فترةً لرأيتم كيف يرتفع الأنين والتوسّل ، وقـد روي عن أمير المؤمنين أنّـه كان في بعض الأحيـان يكشف عن رأسه ويقف تحت المطر ويمسح على رأسه ويحمد الله .

(*) المعروف أنّ تاريخ بغداد هو للخطيب البغـدادي ، ولليعقوبي تـاريخ بـاسمه وأرجـح أنّ الحديث في تاريخ بغداد للخطيب .

(٣٤) البقرة : ٢٠٠ .

(٣٥) الغدير .

وفي كل مكان توجد رحمة الله ونعمه ، ولو تأمّلت في نفسك المتجبرة فستجدها نفساً جاحدة وغير عارفة بقدر النعمة ، لا تؤمن إلاّ بذاتها .

يقول الرسول (ص) أحبّوا الله لأنّه ولي نعمتكم ، ولأنّ الله يحبّ محمد أ ، فأحبّوا أنتم محمداً « وأحبّوني بحبّ الله » ، فإن أحببتم الله وجب عليكم أن تحبّوا عترتي لأجلي ، ولذا فإنّ من يحب محمداً لا يمكن أن يكره علياً الذي هو نفس محمد يجب أن يحب فاطمة وأولادها ، فحبّ العترة ضرورة لحبّ النبي ، فإنّك لو أظهرت الودّ لأحد وضربت ابنه وآلمته أو أظهرت له العداوة فلا يستطيع أي عاقل أن يصدق أنّك صادق في ودّك لأبيه ، لأنّ الودّ له علامات تدلّ عليه .

حب علي محك الايمان

محبة أهل البيت أصل الإيمان وذلك استناداً إلى الروايات التي نقلها السنّة والشيعة عن الرسول (ص) أنّه قال : « يا علي حبّك إيمان وبغضك كفر » وكذلك قوله : « لولا أنت لم يعرف المؤمنون بعدي »[٣٦] بعبارة أخرى أنت محكّ لمعرفة المؤمنين ، فمن أدّى الإيمان فاختبره أهو صادق أم لا ، اختبره بحبّ علي فإن كان محبّاً له فهو صادق في إيمانه ، وإن لم يكن كذلك فهو كاذب .

وهناك رواية طريفة أخرى في « ينابيع المودة » نقلها من صحاح العامة وهي قول رسول الله (ص) : « لو عاش أحد بقدر عمر نوح وقضى عمره بالعبادة وأنفق بمقدار جبل أحد ذهباً في سبيل الله ولم يكن محبّاً لعلي لم يشمّ ريح الجنّة » .

لماذا لا يوجد الايمان بدون حبّ علي ؟

ما المقصود بهذا الكلام ؟ لماذا لا يصحّ الإيمان بدون محبّة أهل البيت وتكون العبادات صورية ؟ حقيقة الأمر هي أنّه بعد أن سمع أنّ محمداً (ص)

---

(٣٦) الغدير .

أوصى كثيـرا بأهـل البيت وعلم أنهم أحبّاء الله ولـم يحببهم ثبت أنّـه لا يحبّ الله وأنّه عابد ذاته لا الله ، يصوم ويصلّي ويحج لكن الدافع لـه هو هـواه النفساني ، إذ لو أحبّ الله وهو الإيمان فلماذا يعادي حبيب الله عليّاً ؟ .

العبادة النفسانية لا قيمة لها

وهذه العبادة لو كانت من حيث الظاهر من أكبر وأصعب العبادات إلاّ أنّهـا في حقيقتها نابعة من حبّ الذات ، فليس لها قيمة على الإطلاق ، لأنّه لم يؤدّها تواضعاً وخضوعاً لخالقه ، أنّ من يتكبّر على علي ولا يطِيعه قد تكبّـر على الله ، وهو ضد الإيمان مهما كرر بلسانـه قول « لا إلـه إلاّ الله » ، فعبادة الله لا تجتمـع مع عبادة النفس ، والظاهر لا يكفي دليلاً فربما أنفق ألف تومان لأجل الشهـرة ، وصام وصلّى ولكنه ـ وطبقاً للروايات التي بين أيـدينا ـ عنـدما لا يكـون قد أرفق ذلـك بمحبـة أهـل البيت هـذه المحبـة التي هي الإيمـان فـإنّـه سيُلقى بـه في النار[٣٧] .

ممن التقصـير ؟

إنّ من يعادي محمداً وآله ويتكبّر عن طـاعتهم ولا يريـد إطاعـة الحق فإنّ حقّه أن يحترق بنار جهنم ، وهناك الكثيـر من علماء العـامة كـانوا ومـازالوا على يقين بأنّ علياً وآلـه مع الحق ، إلاّ أنّهم لا يـرضخون للحق ولا يتـركون تعصبهم وتقليدهم لأسلافهم ، وإلاّ فمـا هذا سـوى الأنانيـة وحبّ الذات وعبـادتها وليس عبادة الله .

الإيمـان ـ وهـو حبّ علي ـ يعني التخلي عن هــوى النفس وحبّ النفس ووضع كل ما يتعلق بالله محلّه .

خلاصة المـوضوع أنّ من المستحيـل أن يكون شخص خـاضعاً للحق ولا يكون خاضعـاً لعلي ، وبعبارة أخـرى أنّ الإيمان بـالحق إذا حصل فـإنّ الإيمان

---

(٣٧) أصول الكافي .

بعلي أيضاً حاصل ، والإيمان هو الولاية والحب الحقيقي ، وكل من تـواضع لله فهو متواضع لعلي ، وعلى العكس فكل متكبر مطيع لهواه ليس له ما يـربطه بـالله فهو خصم لعلي .

ليس هناك طريق ثالث

لا يمكن أن يكون شخص ما غير مطيع لله وكذلك غير مطيع لهوى نفسه ، إذ ليس هناك من طريق ثالث ، فإنّه إذا أصبح مطيعاً لله فلا بدّ أن يكون غير مطيع لهـواه ، وإن أصبح أسيـر رغباتـه فلن يكـون عبـداً لله ، وأنّ مـا قيـل عن الحب الحقيقي أي الولاية لهـو عين الحق والحقيقة وليس بمبـالغة ، فـإن لم يكن حبّ علي في القلب فإنّ الخيال الواهي والهوى النفسـاني وغيرهـا ستحلّ محله ، ولا يمكن أن يظل القلب خالياً من علي ومن غيره ، لا يمكـن لهذا أن يحصل .

الإيمان وهو معرفة الله يستلزم الخشوع للحق وهذا يجب البحث عنه لدى شيعة علي ، لذلك قال في وصفهم : أذلّاء خاشعون خاضعون هينون لينون .

إنّ القساوة والغلظة وحدّة المزاج صفات مضادة للإيمان(٣٨) ولا تتلاءم مع المحبـة ، لأنّ المحبة تكـون مصحوبـة بالخضـوع والخشـوع والتـواضـع للحق والمحبوب .

إذا جاء الإيمان فلن يكون هناك مكان لـ « أنا » إلّا في الخضوع والخشوع الذي هو من مستلزمات الإيمان فيعرف الإنسان نفسه بالعجز والحاجة ، وأنّ كل ما لديـه ملك لله ، ملك للمحبوب ، لـذا فهو مستسلم للحق وليس هنـاك مجال للتكبّر انظروا لمن تـربطه بشخص مـا علاقـة مفرطـة ، كيف لا يرى لنفسـه شيئاً مقابل محبوبه ، وكيف أنّه يخضع له بكامل وجوده ؟ .

---

(٣٨) لمزيد من الاطلاع على الإيمان ومستلزمـاته والأشيـاء المضادة لـه ، انظر القسم الأول من كتاب « القلب السليم » .

الايمان أثناء ارتكاب الذنب

إنّ من يؤمن بالله يجب أن يكون وضعه أسمى من وضع الشخص العـادي مقابل محبوبه ، فكما يحاول العاشق أن لا يأتي بعمل يغيظ معشوقه وينحصر كل همّه في جلب رضاه ، فـإن كنت مؤمناً حقّاً وعاشقـاً لله وتخاطب آل محمـد في « الزيارة الجامعة » بقـولك « بـأبي أنتم وأمّي ونفسي » ، هل في ذلـك شيء من الحقيقـة أمّ أنّه مجـرد كلام على اللسـان ، أتريـد أن تفهم ؟ لاحظ نفسـك حين ارتكـاب المعاصي ، فـإن راعيت رضا الله ورسـوله وتـركت المعصيـة ، أصبـح معلوماً أنّك صادق وأنّ قلبك دخله الإيمان ، قلنا إنّ الصفات الكمالية للمحبوب تتجلى في القلب ، فـإن أحببت الحسين ـ محبة حقيقيـة وليس نزوة عـابرة ـ أي تخلّيت عن الهـوى النفساني وتـركت الأنانيـة وحبّ الـذات اتّخـذ حب الحسين مكـانـاً لـه في قلبـك وظفـرت من الصفـات الكمـاليـة للحسين لقلبـك بمقـدار استيعابه ، ومن المناسب هنا أن أورد مثالاً :

ابراهيم الخليل نموذج لمحبّي الله

كلكم سمعتم أنّ إبراهيم الخليل قد امتحن ، شيخ في التسعين من عمـره أُمر أن يضحّي بولـده اسماعيـل ذي الثلاثـة عشر عـاماً ذي الكمـال والجمال في سبيل الله ، ذلك الولد الذي كان يكن له في قلبه حبّاً عميقاً ، حبّاً إلهياً لأنّ ولـده كان نعمة من الله ، لذلك أحبّه ، ولم يحبّه حباً نفسياً .

وقـد خرج اسمـاعيل من هـذا الامتحان فـائـزاً ، ولكن كيف كـان إيمـان الصبي ؟ الصبي الذي أبدى استعداده لأن يقتل وهـو في عنفوان شبـابه ، لـذلك فـإنّ الروايـة تقول أنّ المـلائكة كـانت في حيرة من أفضليـة الأب على الابن أم العكس ، هـل كان عمـل الأب أعظم حين رضي بـالتضحية بـولده الشـاب ؟ أم عمل الشاب الذي رضي بالقتل طاعةً لأمر الله ، وكان في كامـل السرور والـرضا وهو يطلب إلى أبيه أن يقيد يديه ورجليه ؟ .

هنا يتضح معنى الإيمان فليس هناك « أنا » أو في الأمر ، إنّ ربّي هـو ولي

نعمتي ، والمنعم عليَّ هو الله ولا غير ، وكل ما يرتضيه لا تقف إرادة أو رغبة في وجه إرادته ورغبته ، ولقد سمعتم أنّه بعد أن السكّين لم تـذبح ولـده ألقاهـا على الأرض ظل في حيرة حتى أوحى الله إليه ﴿ **قد صدقت الرؤيا** ﴾ أي أنّك نجحت في الامتحان .

وغـرق إبراهيم في التفكيـر : لو كنت قتلت ابني لكسبت من الأجـر لتـألّم قلبي أكثر من هذا ، ولأظهرت حبّي أكثر ، كان يناجي ربّه بذلك ، فنزل جبرئيل فقال : يا إبراهيم أتعرف محمـداً ؟ ولأنّه كـان قد اطّلع على مقـام خاتم الأنبياء لذلك كان يعرف أنّ محمـداً محبوب الله ـ وكـان إبراهيم أيضـاً محبّاً لله ، وحبّ محبـوب الله هـو حب الله ، إذن وجب على إبـراهيم أن يحبّ محمـداً ـ أجـاب إبـراهيم نعم أعرفـه وأحبّه ، فقـال جبرئيـل : أتحبّ نفسـك أكثـر أم محمـداً ؟ فأجاب : محمداً .

أمعنـوا النظر في هـذه المحادثـة ، فما لم تُـزلْ الأنانيـة وحبّ الذات فـلا يصلح شـأن الإنسان ، فكم أصبحت الـوحدانيـة والصدق في المحبـة بحيث لم يكن في الأمر « أنا » ؟ .

فسأله جبرئيل : هل اسماعيـل أم ابن محمد أعـزّ لديـك ؟ فأجـاب : ابن محمد ، وكان صـادقاً فيمـا يقول لأنّـه لا يستطيـع أن يخدع الله ، فقـد كان نبيّـاً معصوماً .

قـال جبرئيـل : اعلم أنّ جماعـة من أمّة هـذا النبي سيجتمعون في أرض تدعى كربلاء ويمنعون الماء عن ابنه ويقتلونـه مع أولاده عـطاشى ، ثم قرأ شيئـاً من مصيبة الحسين بحيث جعل قلبه يتألّم على الحسين أكثـر من تألّمـه على قتل ولده اسماعيل ، إذ لو كان ذبح ابنه لما كـان تألّم بهـذا الشكل ﴿ **وفـديناه بـذبح عظيم** ﴾ عرضوا عليه كبشاً كبيراً ليطفيء لهيب قلبه المتأجج على قتل ولده .

المؤمن الحقيقي يجب أن يكون كإبراهيم الذي كـان يرغب بـابن نبي آخر الزمان أكثر من ابنه هو .

الآثار العجيبة للمحبة

أمعنوا النظر في حالات العشق المألوف ، كم يكون العاشق ذليلاً للمعشوق ، يتمنى لو يأمره معشوقه بأمر ، حتى أنّه مستعد لأن يفديه بروحه كي يجلب رضاه .

أيها الحسينيون ألا تتمنون أن ينظر إليكم الحسين بمحبته ؟ .

هل يمنّ علينا بنظرة خاطفة
أولئك الذين يحولون التراب بالنظر ذهباً

ليس باللسان وحده بل قلباً وروحاً عندما تقول : « أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم » ، سلم لكم أي مسلّم لكم تسليماً كاملاً لأنّكم أولياء الرحمن ومحبوبو الله ، أولياء المنعم عليّ ، أنا لست متكبراً عليكم أنا خاضع ومسلّم لكم .

إنّ المحبة الموجودة الآن ربما تحتل واحداً في المئة من القلب فاعملوا على أن يقلّ حب الدنيا والشهوات ، بل أنّ يزول تدريجياً ولا يبقى سوى حبّ الحسين ، أي أن يشمل الإيمان القلب كله :

اللهم اجعل قلبي حزيناً بغم الحسين
وضاعف في صدري محبته
فلا يكون فيه إلاّ محبة الحسين
وليخرج دمي من محاجر عيوني

خير العبد ومعرفة الحسين

روي أنّه إذا أرادّ الله بعبد خيراً جعل لحب الحسين مكاناً في قلبه ، وفي دعاء أبي حمزة الثمالي « اللهم أخرج حبّ الدنيا من قلبي » ، « اللهم ارزقني

حبّـك وحبّ من يحبّـك وحبّ كـل عمـل يـوصلني إلى قـربــك »[39] ، أن من الأعمـال التي يحبّها الله في الليلة الـرابعة من عـاشـوراء البكـاء على الحسين ، فاغتنموا الفرصة .

صلّى الله عليك يا أبا عبد الله .

---

(39) مناجاة المحبين، وهي من المناجاة الخمسة عشر لزين العابدين عليه السلام .

- ١٤ -

ولا تنابزوا بالألقاب

إنّ النقاش في خلاف البعض معنا هو في حقيقة المحبة والولاية ، والمأخذ الرئيسي عليهم هو : لماذا يفصلون شيعة أهل البيت عن الإسلام ويسيئون الظن بهم ويدعونهم بألقاب قبيحة مثل رافضي أو مشرك ، في حين أنّ القرآن الكريم نهى عن سوء الظن واعتبره من الذنوب والآثام ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إنّ بعض الظن إثم** ﴾[٤٠] كما منع عز وجل التنابز بالألقاب ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾[٤١] .

إذن لماذا إساءة الظن بأهل القرآن ودعوتهم بالألقاب القبيحة ؟ .

إنّ أيدي الخيانة الأموية والعباسية والحكومات المتجبرة في السنين الماضية قد أججوا نار التفرقة حتى عبروا عن التشيع بأنّه بعيد عن الإسلام وفصلوه عن جميع الفرق الإسلامية .

---

(٤٠) الحجرات : ١٢ .

(٤١) الحجرات : ١١ .

وهل يصلّي الشيعة ؟

عندما تشرفت بالحج لأول مرّة كان طريق السيارات قد أُحدث لتوه ، وكان بين الحجاج عشرة من الإيرانيين ، وأثناء الطريق قال لي أحد المرافقين : عندما كنت تتوضأ سألني أحد السنّة النجديين من هـذا ؟ فقلت أنّه عـالم شيعي ، فقال ومن هم الشيعـة ؟ قلت جعفريـو المذهب ، قـال : وهل يصلّي الجعفريـون ؟ فـأجبت نحن ذاهبون إلى مكـة لأداء فريضـة الحج ، ألسنـا بمسلمين ؟ فتعجّب النجدي .

إنّها عمليات التلقين التي بـدأت في عهد معـاوية واستمـرت حتى الآن ، بينما نحن جميعاً ننطق الشهادتين ، وقرآننا واحـد وقبلتنا واحـدة ، نؤمن بالقيـامة كمـا بينها القـرآن ونؤمن بجميع أحكـام وواجبات الإسـلام الأساسيـة من صلاة وصيام وحجّ وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ونحرّم كل المحـرمات كـالشرك والقمـار والزنـا وشرب الخمـر وعقوق الـوالدين وغيـرها ، إذن لمـاذا يقـال أننـا منفصلون عن بقية الفرق الإسلامية ؟ .

الولاية حقيقة الايمان

إنّ ما يقوله الشيعة هو : تعالوا لإدراك حقيقة الـدين ، وكلنا نؤمن بـالمعاد والله والنبي وكل الأحكام الضرورية للدين ، إلاّ أنّ ذلك الإدراك يجب أن يتحقق بواسطة الإيمان ، وحقيقة الإيمان هي الرغبـة والارتباط وليس التصـديق لوحـده ولا حتى المعرفة لوحدها ، إنّ اليقين الذي ينفـع بعد المـوت هو الإيمـان وليس مجـرد معرفـة الله والرسـول ، وإلاّ فأتبـاع أبي جهل وأبي سفيـان كانـوا يعرفـون محمـداً جيداً ، وصـدق الله عزّ وجـل عندمـا قال : ﴿ **وجحـدوا بها واستيقنتهـا أنفسهـم** ﴾[٤٢] ، ويهـود المدينـة ـ كما عبّـر القرآن الكـريم ـ كانـوا يعـرفـون أنّ محمداً هو رسول الله الحق كما كـانوا يعـرفون أبنـاءهم ، وكذلـك الشيطان فهـو

---

(٤٢) النمل : ١٤

يعرف الله جيداً أكثر من كثير من البشر ، ولكن هذا ليس إيماناً ، فالإيمان الحق هو ميل القلب والمحبة فيستفيد من الفرصة ليتقرّب إلى المحبوب ويتحرّك بإرادته ورغبته ويتخلّى عن رغباته النفسانية .

الايمان غير العصمة

إن كنت صادقاً في قولك أنّك تحبّ الذي أنعم عليك ، فلماذا لا تستمع إلى أوامره ؟ لماذا لا تكسب رضا ربّك ؟ إذ لا يمكن لأحد أن يحبّ شخصاً منتهى الحب ثم يتصرف ضد رغبته .

إنّ من يذنب معانداً لله لا يحب ربّه أي لا إيمان له ، وبطبيعة الحال لا نقول أنّ الإنسان يجب أن يكون معصوماً ، بل نقول أن لا يعص الله عناداً ، فليس هناك تناقض بين الإيمان وبين أن يصدر من الإنسان أحياناً إثم بسبب غلبة هوى نفسه ، ثم يخجل ويندم بعدها .

الخشوع محبة مصحوبة بالذلّ

يقول الشيعة : أيّها المسلمون تعالوا نخشع لله ، والخشوع محبة مع التذلل ، وقد ذكر المحققون في التفاسير : أنّ المحبة تدعى خشوعاً عندما تكون مصحوبة بإذلال النفس وتعظيم المحبوب ، فإذا وجد الخشوع فذلك يعني وجود الإيمان ، وأنّ القلب الذي يخشع لخالقه ويتضاءل أمام ربّه ، اتّخذ الإيمان فيه مكاناً ، أمّا العناد فهو ضد الإيمان ، فإن كان الإيمان كانت التبعية ، أي الإطاعة « المؤمنون هينون لينون » فما أن يسمعوا أنّ محمداً (ص) أمر بهذا حتى يقولوا سمعنا وأطعنا ، وإذا بدر من أحدهم سوء ندم وخجل وسارع إلى التوبة .

حب محمد لا ينفصل عن حب علي

وبعد الخشوع لمحمد (ص) فمن المستحيل أن يحبّ أحد محمداً ولا يحبّ علياً ، وكما روي عن النبي (ص) ـ وبطرق العامة أيضاً ـ أنّه قال : «كذب والله من قال أحبّك ولم يحبّ علياً » ، كيف يمكن الجمع بين حبّ محمد وعداء

علي ؟ بل أنّ حبّ محمد إذا دخل القلب فكونوا على ثقة بأنّ حبّ فاطمة وعلي وأولادهما سيدخل قلبك وإلاّ فليس بحب هذا الذي تدعيه .

ذكر ابن الصباغ المالكي « أنّ النبي (ص) أصعد الحسن والحسين إلى المنبر وقال اللهم إنّي أحبهما » ، والآن هل يمكن لمن يحبّ محمداً أن لا يحبّ الحسنين محبوبي محمد ؟ .

تهديم البقيع

يقولون نحن أيضاً نحبّ أهل البيت ، فقلنا إنّ لازمة الحب التبعية ، أنتم تتبعون الجميع إلاّ آل محمد ، وبغضّ النظر عن ذلك ، فإنّنا نتساءل أين إظهاركم الحب من الحزن على الحسين الذي تعتبرونه بدعة وتدينونه ، أمّا زيارة قبور أهل البيت فيعتبره البعض غير جائز أيضاً ، فأين هي الدلالات على محبّتكم ؟ هل أنّ هدم قبور الأئمة في البقيع دلالة المحبة لهؤلاء ، أم هو اغتصاب لحق آل محمد ؟ أنّهم سيُسألون بلا شك يوم القيامة عن الولاية التي وردت أخبارها في كتب الفريقين مروية عن رسول الله (ص) .

يُسأل عن أربعة

لا يخطو الإنسان خطوة واحدة يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم قضاه ، وشبابه فيم أفناه ، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن أهل البيت كيف تعامل معهم وهم وديعة رسول الله .

إن كانت لديك محبة لهم ، فيجب أن تكون محزوناً في أيام حزن أهل البيت ، إذ أننا نشاهد في باقي البلدان أنّ أيام عاشوراء لا تختلف عن سواها من الأيام في سائر السنة .

نعترف بتقصيرنا

يمكن أن يردّوا علينا بأنّكم يا أيّها الشيعة أيضاً مقصّرون في متابعة ومحبّة

أهل البيت ، والصحيح ، نحن نعترف بتقصيرنـا ، لأننا لا نمتلك الليـاقة التّـامة لإظهار محبتهم ومتابعتهم ، ولكن ليس لدينا عداوة لهم ، نحن نبذل جهـدنا في طـريق محبتهم ، إلاّ أننا لسنـا مغرورين ، لأننـا قلنا أنّ الحب يكـون مصحـوبـاً بالتذلل لا بالتكبّر .

سلمان على رأس شيعة علي

لنأخذ مثلاً على المحبة التي يتابع صاحبُها المحبـوبَ ، فعلى رأس شيعة آل محمـد نجد سلمـان الفارسي ، بـل سلمان المحمـدي ، الذي كتب الإمـام الرضا عليه السلام في مكتـوب الشرائـع الإسلاميـة : أنّ حبّ مثل حب سلمـان الفـارسي واجب حب أولياء وأصحـاب آل محمـد مثـل سلمـان وأبي ذرّ ومقـداد وعمّار وميثم ، وكان سلمان صاحب كـرامات وعـالماً بعلم البـلايا والمنـايا وقـد أكمل الدرجة الأخيرة (العاشرة) من الإيمان .

ذكر في كتاب « عدة الداعي » أنّ الخليفة عمر بن الخطاب قد أمّر سلمان الفارسي ـ وكان قد تولى حكومة المدائن للخليفة عمر بعد أن أخذ إذناً من علي ـ قد أمره بمراجعة أعمال الوالي السابق للمدائن وهو حذيفة ويدقق فيهـا وأن يخبر الخليفة إذا اكتشف خيانة لكي يعاقبه ، فكتب إليه سلمان جوابـاً جاء فيـه : إنّي أتبع الله ولا أتبعك ، وقد قال تعالى في القرآن الكـريم « ولا تجسسوا » انّ إراقـة ماء وجه المسلم حـرام ، واعلم أنني لا أتبعك في أي شيء من أمـور حكومتـك التي تقبلتُها ، وأحمل ـ بحكم الإسلام ـ عمل حذيفة على محمل الصحة .

هكذا كان ثابتاً في تبعيته وولائه لمحمد وعلي .

خطبة سلمان عند الموت

بعد أن علم باقتراب أجله وذلك في أيـام تولّيـه للمدائن بكى وتـأوّه وأعلم الآخرين بنبأ موته ، فقيـل له : لمـاذا أنت متألم وأعمـالك صحيحـة ؟ أجاب : أخشى أن أمـوت الآن وأكون خجـلاً عند الـرسول لأنني لم أعمـل كما أمـرنـا ،

فسألوه وكيف ؟ فأجاب لقد أوصانا الرسول في حجة الوداع قائلاً « ليكن زاد أحدكم كزاد الراكب » ، فالمسافر كلما خفّ حمله سهل انتقاله ، لا تأنسوا بإقامتكم فإنّ من نوى على الرحيل يجب أن لا يستقر ، وتكون الحصيلة : الحسد والحقد وقد تصل الأمور إلى الغيبة والافتراء وإراقة ماء الوجه والضرب والقتل ، كل ذلك نتيجة عدم إطاعة النبي ، وإلاّ فإنّ من يعيش كالمسافر كيف يتسنى له أن يتفرغ لكل تلك الأعمال ؟ فقالوا يا سلمان ، أنت أيضاً عشت هكذا ، فقال كلا أنا لديّ أثاث : بساط وكوز للماء وقعب ، بهذا القدر كان سيء الظن بنفسه يخاف أن لا يكون قد أطاع الرسول .

هكذا كان كبار الشيعة يتابعون ساداتهم ، وإن لم تكن لدينا متابعة حقيقية دقيقة لسادتنا أهل البيت ، لكن ليس لدينا عصيان وطغيان بحمد الله ولا نؤيد معاوية .

إنّ محاسبة الشيعي على حب الدنيا وطلب الجاه والرئاسة منفصل ، ولكن هدفه متابعة حقيقة الدين والإيمان الذي هو الولاية .

سعيد ، فدائي الحسين الوفي

لم يصل أحد من أصحاب آل محمد الدرجة التي وصلها أصحاب الحسين (ع) ، وكما نسب إلى الحسين أنّه قال : « فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل ولا أفضل من أهل بيتي »[٤٣] .

كان أصحاب الحسين نموذجاً للمحبة والوفاء ، وقد وفقهم الله لإظهار محبتهم القلبية .

وفي ظهيرة يوم عاشوراء عندما وقف الحسين يصلّي كان سعيد بن عبيد الله الحنفي يقف متلقياً السهام التي تستهدف الحسين ببدنه ، فمرة يتصدى

---

(٤٣) نفس المهموم .

لها برأسه وأخرى بصدره أو بيده حتى أصابه ثلاثة عشر سهماً وسقط عندما كان الإمام يسلّم منهياً صلاته .

انتبهوا إلى معنى وحقيقة المحبة ، فبالرغم من تلك التضحية وبذل النفس في سبيل الله ، كان خجلاً أمام الحسين فيسأله هل وفيت ؟ ولم يكن يرى نفسه أو عمله كبيراً ، أو يغترّ به .

نحن حقّاً خجلون في محبتنا وتبعيتنا من جميع الجهات ، لكن ذلك لا يعني أننا هاربون من آل محمد ، مع أننا لسنا متصلين تماماً ، إلاّ أننا نأمل أن لا ننفصل تماماً ، فإن ارتكبنا إثماً ندمنا وتبنا .

العودة بعد اللهو

عندما يرافق طفل أباه ويجد في الطريق ما يشغله فإنّه يترك أباه وينشغل بما يلهيه ، إلاّ أنّه عندما ينتبه إلى أنّه تخلّف عن أبيه ، يركض باحثاً عنه ويحاول جلب انتباهه إليه ببكائه ونحيبه .

يا من تركتم أباكم الروحي علياً (ع) بانشغالكم بلهو الدنيا ، انتبهوا إلى أنفسكم واستجلبوا عطفه بأنينكم وتوبتكم عسى أن تعود المياه إلى مجاريها .

« إلهي ، لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولا لوعيدك متهاون ، ولكن خطيئة عرضت ، وسولت لي نفسي »[٤٤] .

اللهم أنّا نعتذر إليك عن كل ما يخالف المتابعة والمحبة لمحمد وآله .

المحبة الكامنة في قلب المؤمن

قال الرسول (ص) : « إنّ للحسين محبة كامنة في قلوب المؤمنين ، أي أنّ كل قلب مؤمن فيه حب الحسين أيضاً .

إنّ كلّ القلوب تميل نحو كربلاء ومصائبها ، فأيّ سرّ في ذلك المكان ؟

(٤٤) دعاء أبي حمزة الثمالي .

- ١٥ -
ثورة الحسين وما استخلص منها

قام أحد الشيعة الجهلة ومعوجي التفكير والخيال المحدود بجمع ما اعتقده غلطاً من قضايا حول الثورة الحسينية والعمل العظيم للإمام الحسين (ع) ، وطبع ذلك في كتاب نشره بين الناس ، قال فيه إنّ الحسين لتنفيذ خطته إلاّ أنّه لم يكن يعلم أنّه سيُقتل ، أي أنّ جزءاً من خطته لم ينجح ولم يعط ثماره المرجوّة لذلك قتل ، ان هذا من أوهام الكاتب ، الذي لما كان صغيراً لم يدرك عظمة الإمام ، فهو يقيسه بنفسه أو بشخص عادي آخر ، وبالأهداف المحدودة والشخصية والمنافع المادية .

وكان جاهل آخر قد ادّعى شبهةً أخرى ونظمها شعراً في كتابه مفادها أنّ الحسين قتل لأجل الشفاعة لأمّة جدّه ، بأي دليل يا ترى تقول هذا الكلام ؟ تعطي رأسك لتشتري الشفاعة ؟! .

إنّه كلام شبيه بكلام النصارى الذين يقولون إنّ عيسى قد صلب على الخشبة وقتل ودخل في جهنم وبقي فيها ثلاثة أيام لكي يفتدي أتباعه من الذهاب إلى جهنم ، وعليه فإنّ كل المسيحيين لن يروا عذاب جهنم لأنّهم اتّحدوا مع المسيح بدرجةٍ ما ، ولذلك فهم أيضاً أبناء الله وأحبّاؤه ﴿ **وقالت اليهود**

والنصارى نحن أبناء الله وأحبّاؤه ﴾[٤٥] ، ومن يقول مثل هذا الكلام عن الحسين فإنّما يقوله جهلاً حين يدّعي أنّ الحسين قتل لكي لا يذهب المسلمون إلى جهنم .

علم الامام نموذج من علم الله

كيف أمكن التصور بأنّ الحسين لم يكن يعلم بمقتله وأنّه كان يخطط لإقامة حكومة ، ولم يكن يعلم ماذا سيحدث ، ثم أنّ ما تمناه لم يحدث ؟ .

إنّ هذا الكلام مؤلم ، فنور الحسين هو نفس نور محمد وهو روح الله التامة والمحيطة بكل عالم الوجود ، وكان هدفه (ع) أسمى من جميع تلك التصورات ، وجاء إلى كربلاء وهو عالم بأنّه سيُقتل ، أيمكن أن يكون شيعته وأتباعه المخلصون على علم بما سيحدث لهم ولغيرهم ولا يكون الحسين عالماً بذلك ؟ .

حديث ميثم مع حبيب وعمرو

جاء حبيب بن مظاهر إلى ميثم التمار وقال : إنّي أرى رجلاً بائع تمر ـ يعني ميثماً ـ يصلب على خشبة في هذه الكوفة ويلجمونه (يقطعون لسانه) وهو مصلوب (أعطاه خبراً عن موته) .

أجابه ميثم : وأنا أرى شيخاً أحمر الشعر ـ يحملون رأسه على الرمح ويطوفون به في أزقة الكوفة ، ولا يستفيد قاتله من قتله شيئاً[٤٦] (أخبر عن مصير حبيب) .

وكانت توجد نخلة قرب دار عمرو بن حريث الكوفي وكان ميثم التمار يأتي إلى هناك ويصلّي ركعتين فقيل له : يبدو أنّك تحبّ هذه النخلة ، فأجاب نعم لأنّها مشنقتي .

---

(٤٥) المائدة : ١٨

(٤٦) نفس المهموم ص ٦٦ .

وهكذا وقع ، فقد شاهد النخلة يوما وهي ساقطة فقال : قد قرب الموعد ، وعندما أراد ابن زياد صلبه ، أُقيمت النخلة وعلقوه عليها(٤٧) .

إنّ حبيب بن مظاهر وميثم التمار اللذين كانا من شيعة علي يرون مصيرهم ومصير غيرهم ، فهل يمكن للحسين أن لا يرى مصيره ؟ .

كيف يسوغ للشيعي إنكار علم الامام ؟

إنّ إنكار علم الإمام يتطلب جرأة وجسارة ، فلو تحدث بذلك من لا يعرف عن الإمامة شيئاً فيمكن أن نتساهل معه لأنّه لا يفهم ولا يعتقد بالإمامة وليس عارفاً بالإمام ، أمّا أن يعتبر شخص نفسه شيعياً وعارفاً بالإمام ، ولا يعرف العلم والعصمة في الإمام ، إذن أي امتياز للإمام على غيره ؟ وما هي أفضلية هذا الإمام الذي يعتقد به مثل هذا الشيعي الجاهل .

وعلى فرض أنّه لم تكن هناك رواية عن هذا الموضوع فنحن نعتقد أن الحسين كان يعلم ماذا سيحدث ، علماً بأنّه قد وردت أخبار عديدة منذ ولادة الحسين وحتى وفاة النبي (ص) بأنّ الحسين العزيز سيستشهد في العراق ، وعند وفاة الحسن المجتبى وبينما كان الحسين يبكي قال له الحسن : « لكن لا يوم كيومك »(٤٨) ، بل أنّ الحسين نفسه أبلغ عن مقتله في مناسبات عديدة ، وحسبما جاء في كتاب الخرائج والجرائح للراوندي فإنّ الحسين عندما أراد توديع أم سلمة في المدينة قالت له : يا بني انصرف عن الذهاب إلى العراق ، فقد سمعت بنفسي جدّك يقول بأنّك ستقتل في أرض كربلاء ، وقد جاءه جبرئيل بتراب كربلاء ، وأعطاني جدّك إيّاه قائلاً : إذا رأيتِ التراب صار دماً فاعلمي أنّ الحسين قد قُتل ، فقال الحسين : وهل تظنين أنّ ذلك مستور عنّي يا أمّاه ؟

(٤٧) نفس المهموم ص ٦٦ .

(٤٨) نفس المهموم ص ٣٠ .

أتريدين أن أريك قبري ؟ قالت نعم ، فأشار بيده فانقشعت الحجب أمام عيني أمّ سلمة فأراها الحسين مشيراً : هذا المنخفض محلّ قتلي ، ثم مدّ يده وحمل مقداراً من التراب وقال لأمّ سلمة ضعي هذا جنب هذا التراب الذي أعطاك إيّاه جدّي ، فإن صار دماً فاعلمي بأنّي قد قتلت(٤٩) .

الحسين أبلغ عن مقتله

ورد في الخبر أنّه بينما كان في طريقه إلى كربلاء ، وقبل التقائه بجيش الحرّ بن يزيد الرياحي ، أن شوهد شخصان في الطريق فأحضرا عند الإمام وأخبراه بأن لا يذهب إلى الكوفة لأنّ أهلها ارتدّوا وأنّ هانياً ومسلماً قد قتلا ، فقرأ عليه السلام ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر** ﴾(٥٠) .

وفي خبر آخر أنّ الحسين أغفى أثناء الطريق واستيقظ باكياً ، فسأله ابنه علي الأكبر عمّا حدث فقال : سمعت منادياً ينادي : القافلة تسير والمنايا تسير معهم ، فسأل الأكبر والده : ألسنا على حق ؟ قال نعم ، قال إذن لا نخشى الموت .

إن كان يعلم فلماذا ذهب

إنّ أصل الموضوع مسلّم به ، أي أنّه ما من شك في أنّ الحسين (ع) كان على علم بما سيجري ، وهنا يسأل السائلون إن كان يعلم فلماذا ذهب ؟ والسؤال الآخر : لماذا اصطحب معه النساء والأطفال والأقارب ولم يذهب لوحده ؟ .

نجيب على تلكم الأسئلة إجمالاً وتفصيلاً :

نحن نعتقد أنّ الحسين معصوم ، وعلى يقين بأنّ أئمتنا « المطيعين لله القوامين لأمر الله » يعملون بما تقتضي المصلحة الإلهية وبأمر من الله ، وكما

---

(٤٩) نفس المهموم ص ٢٥ .

(٥٠) الأحزاب : ٢٣ .

يروى فإنّ جبرئيل جاء الرسول باثنتي عشرة صحيفة وقال له : إنّ عمل كل وصي من أوصيائك موجود في هذه الصحف ، وحين فتح صحيفة الحسين وجد فيها : أخرج إلى العراق فقاتِل حتى تقتل .

إذن ، فما فعله الحسين لم يكن بمحضّ إرادته ، بل أنّه تصرّف طوع أمر ربّ العالمين .

الجمع بين التكليف الظاهري والواقعي

أمّا الجواب التفصيلي فهو : يستشف من الروايات وما قاله الشيخ جعفر الشوشتري رحمه الله أيضاً إنّ من خصائص الحسين جمعه بين التكليفين الظاهري والواقعي أي الوجوبين الظاهري والواقعي هما اللذان أديا بالحسين إلى أن يذهب إلى العراق على وجه التحديد .

أمّا من الناحية الواقعية فإنّ الشيخ رحمه الله يذكر نقطتين أو ثلاثاً ، أولها : أنّ أبا سفيان كان يقف ضد الرسول (ص) ، ومعاوية ضد الإمام علي (ع) ، ويزيداً ضد الإمام الحسين ، وهي مقابلة الكفر للإيمان ، لقد ظلّ أبو سفيان حتى أواخر حياة النبي كافراً أيضاً حتى في الظاهر ، وعند فتح مكة أعلن الإسلام بلسانه ، ولم يجد الإيمان طريقاً إلى قلبه ، وتوجد شواهد متعددة في التاريخ ولدينا دلائل ووثائق عامة بأنّه خرج من الدنيا كافراً .

أمّا معاوية ويزيد فإنّهما كانا يتظاهران بالإسلام ، ولكنهما في الحقيقة كانا يريدان القضاء على معنى الإسلام ، أي الإيمان ولو كان بالإمكان لدولتهم أن تتوسع وتزدهر بدون الإسلام ، فكونوا على ثقة بأنّهم ما كانوا سيتركون حتى اسم الإسلام حيّاً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

ذكر النبي ومعاوية

روى الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال :

« دخلت مع أبي على معاوية ، فكان أبي يـأتيه فيتحـدث معه ثم ينصـرف إليَّ فيذكر معاوية وعقله ، ويعجب بما يرى منـه ، إذ جاء ذات ليلة فـأمسك عن العشاء ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة ، وظننتُ أنّه لأمرٍ حدث فينا ، فقلت : ما لي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ فقال يا بني ، جئت من أكفـر الناس وأخبثهم ، قلت ومـا ذاك ؟ قـال : قلت له (لمعـاوية) وقـد خلوت به : إنّـك قد بلغت سنّـاً يـا أميـر المؤمنين، فلو أظهـرت عدلاً وبسـطت خيراً فـإنّك قـد كبرت ، ولـو نـظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليـوم شيء تخافـه ، وأن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه .

فقال : هيهات هيهات ! أي ذكر أرجو بقاءه ؟ ملك أخـو تيم فعدل وفعـل ما فعل ، فما عدا أن هلك ، حتى هلك ذكره إلاّ أن يقول قـائل : أبـو بكر ، ثم ملك أخـو عدي ، فـاجتهـد وشمّـر عشـر سنين ، فمـا عـدا أن هلك حتى هلك ذكره ، إلاّ أن يقول قائل : عمر .

وان ابن أبي كبشـة ليُصاح بـه كل يـوم خمس مـرات (أشهـد أنّ محمـداً رسول الله) ، فأي عمل يبقى ، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك ؟ لا والله ، إلاّ دفناً دفناً »[٥١] .

لقـد كان يتمنى أن يمحـو اسم محمـد ، ولـو كـان ذلـك لا يلحق الضـرر بسلطنته لفعل ذلك أيضاً ، ولكن الله لم يشأ ذلك ولن يشاء ، لقد رفـع ذكر نبيّـه ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾[٥٢] .

الأئمة مسؤولون عن حفظ الدين

تحمل الرسول كثيراً من المصاعب في مجابهة أتباع أبي سفيان وحفظ دين

---

(٥١) لخّص المؤلف (رض) هـذه القصـة إلاّ أننـا ارتـأينـا أن ننقلهـا كـاملة من كتـاب « الموفقيات » للزبير بن بكار المطبوع ببغداد بتحقيق الدكتور سامي العاني ، ص ٥٧٥ ـ ٥٧٦ ، وقوله : « إلاّ دفناً دفناً » أي أنّه لا بدّ له من دفن ذكر محمد (ص) .

(٥٢) الانشراح : ٤ .

الله ، والـدين بحاجـة إلى من يحمل رايتـه ، القـرآن شيء مكتـوب يحتـاج إلى حـامل رايـة لينشره ويـوضحه ويـدعو البشـر إليه ، أي أنّـه يستلزم حجـة نـاطقـة « أوضح بك الكتاب » ، فهو بحاجة إلى من يحفـظه ويوصله إلى النـاس ، ومثل هؤلاء الأشخاص يجب أن يثبتوا في سبيل هذا الهدف ويضحوا بدمائهم إلى آخر قطرة إن استلزم الأمر .

وأنتم على اطّـلاع بما واجـه الرسـول من مشكلات ومصـاعب طيلة ثلاث وعشـرين سنـة من بعثتـه ، تحمـل المشـاق الجسميـة والنفسيـة من الكفـار والمنافقين ، وقاوم كما أمره الله ﴿ **فـاستقم كما أُمـرت** ﴾[٥٣] ، وبطبيعـة الحال فـإنّ الله يختـار مثـل هـذا الشـخص المـقـاوم ﴿ **والله أعلم حيث يـجعـل رسالته** ﴾[٥٤] .

وجوب مقاومة يزيد

كـان خطّ الحسين يتمثّل في العـدالة والإيمـان والتقوى في مقـابل الكفـر والظلم وانعدام التقوى لدى مثل يزيد ، كان واجباً أن ينشر الحق ، كان الحسين يدعو إلى الله والآخرة ، وكان يزيد يـدعو النـاس ويجرّهم نحـو الشهوات ونحـوه هو ، لذا اقتضى الواجب أن يقوم الحسين في وجه كل ذلك بنشر الحق وتوضيح القرآن قولاً وعملاً ، لأنّه كان من الهداة إلى الله والـدعاة إليـه ، كان واجبـاً على الحسين أن يقاوم لأجل حفظ الـدين وليس لأجل استـلام السلطة ، وإلاّ ما قيمـة الحياة الدنيا ورئاستها كي يضحي الحسين لأجلها بحياته ؟

التطور الذهني للناس وظهور صاحب الزمان

يقتضي انتظام الحياة الـدنيا أن يشملهـا العدل من أقصـاها إلى أقصـاها ، ولم يحدث أن حصل ذلك ولن يحصل مادام صاحب الزمام عجّـل الله فرجـه لم

(٥٣) هود : ١١٢ .

(٥٤) الأنعام : ١٢٤ .

وتنقص أحيان أخرى ، إلى أن يقترب ظهور المهدي الموعود حيث تُملأ الأرض ظلماً وجوراً ، وهنا يقول البعض : حسناً ، ألم تمتلأ الأرض ظلماً إذ لم يبق مكان إلاّ وفيه ظلم ، فلماذا لا يظهر صاحب الزمان ؟ والجواب أنّه ربما أصبح الوضع أسوأ من هذا ، وكما نتذكر نحن الآن الوضع قبل خمسين أو ستين إذ نجد الظلم والإجحاف قد أصبحا أضعاف ما كانا عليه آنذاك ، وأخشى أن يُذكر عصرنا هذا الذي نعيشه فيما بعد على هذه الوتيرة .

وحقيقة الأمر أنّ ظهور صاحب الزمان يتطلب من الناس نمواً عقلياً واسعاً كي يستقبلوا حكومة العدل بصدور رحبة ، ومادام الناس غير مستعدين لذلك ، فإنّ مقتضى وجود حكومة العدل لا يتحقق ، لأنّه لا يمكن حكم الناس بالعدل عن طريق القوة .

حفظ الدين الى آخر نفس

لقد وضع الحسين حياته رهن دينه ، كما كان أصحابه وأقاربه يتبعون ذلك الهدف وليس السلطة الدنيوية ، وقد سمعتم أنّ أبا الفضل العباس عندما فقد يده اليمنى في الحرب ، كان يرتجز :

والله لو قطعتمُ يميني   إنّي أحامي أبداً عن ديني

كان يدافع عن دينه ، وإلاّ فما قيمة الدنيا ، انها أحقر من أن يضحّي الإنسان من أجلها بحياته ، أيستحق اللهو واللعب أن يُفدى بالنفس ؟ فكيف بنفس الحسين وأخوته وأصحابه .

السعي إلى حياة أفضل

نسمع أحياناً من بعض الشباب قولهم : يجب أن يسعى الإنسان إلى حياة أفضل ، فما المقصود بالحياة الأفضل ؟ هل المقصود هو المأكل والمشرب أم اللباس والمسكن ؟ أم المنصب والمقام والجاه والشهرة الأكثر والأفضل ؟ انه

خطأ كبير ترى هل تزداد راحة الإنسان بازدياد ماله ؟ إنّ المشاكل والمصاعب يزدادان أيضاً مع ارتفاع الدرجة والمقام ، فظاهره يدل على أنّه سعيد ومنعّم ، إلاّ أنّ الباطن لا يحتوي إلاّ على زيادة في المشاكل .

نعم ، لو كان يقول إنّ السعي لزيادة العقل ونور العلم والإيمان والتقوى لكان صادقاً ، فهي جديرة بالسعي لزيادتها إذ أنّه يأخذها معه إلى العالم الآخر .

الحياة الباقية الأفضل تعني في الحقيقة الحياة الأفضل بعد الموت من حيث الكمية والكيفية ، وعلى هذا فالسعي لمثل تلك الحياة يكون هدف الحياة في الدنيا وليس السعي لكسب المال والسلطة والشهرة .

عمل الحسين كان للآخرة وليس للدنيا

كان عمل الحسين عظيماً ، تبليغاً ودعماً لدعوة جدّه رسول الله (ص) وتوجيهاً لأفكار الناس نحو الآخرة عن طريق منعهم من عبادة المال والشهرة والأنانية ، كان فعل الحسين تعريفاً للناس بأنّ اسم الإسلام ليس هو الهدف الذي يُقتنع به ، بل انّ الهدف هو الإيمان والتقوى اللذان وصّى بهما الله تعالى في كتابه ﴿ **ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن اتّقوا الله وإن تكفروا فإنّ لله ما في السمٰوات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً** ﴾[٥٥] وأمر بها مرّات عديدة ، وكذلك كان أبوه وجدّه يؤكدان عليهما دائماً في الخطب والرسائل .

وجوب تحرك الحسين من حيث الظاهر

ومن حيث الظاهر أيضاً وجبت الثورة على الحسين ، يقول الشيخ الشوشتري رحمه الله : إنّ معاوية ـ شيطان زمانه ـ حكم أربعين سنة كان كل همه فيها أن يقلب المقاييس بأن يظهر علياً بمظهر الكفر ويظهر نفسه بمظهر الإيمان ، وقد عمل كل ما بوسعه لما تمناه وهو أن يمحو اسم محمد (ص) لكنه

(٥٥) النساء : ١٣١ .

لم يستطع ، لأنّه كان يريد أن يحكم باسم الإسلام لذلك دخل النزاع مع علي الذي هو عين الإيمان ونفس محمد ، في الوقت الذي كان فيه المال والقوة يلعبان دوراً مهماً في عالم المادة ، فيظهران الحق باطلاً والباطل حقاً .

والآن وبعد مرور ألف وثلاثمئة سنة على موت معاوية فإنّ البعض ما يزال يسمونه « خال المؤمنين » ويقولون عنه « رضي الله عنه » ويضربون المثل بحلمه ، عندما كانت السياسة تقتضي أن يجلس أمام شيخ كبير أو امرأة عجوز فتحادثه أو حتى تشتمه وكان هو يضحك ويعطيهما شيئاً من المال ، لكنه قتل مالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر وحجر بن عدي ورشيد الهجري ، فهل كان قتل شيعة علي دليلاً على حلم معاوية ؟ .

ويقول الشيخ الشوشتري : وأمام هذا الإعلام الذي استمر أربعين سنة ما الذي كان يردع معاوية ويوقفه عند حدّه غير ثورة الحسين ؟ من الذي كان باستطاعته فضح يزيد ومعاوية والذين جاؤوا ببني أمية إلى الحكم ، ويفهم الناس بأنّ ما في بني أمية ليس تديناً ولا إيماناً بل أنّهم كفرة ، فلو كانوا يؤمنون بالنبي لما فعلوا ما فعلوا بأولاده وبالحسين خصوصاً وهو الذي أوصى به النبي كثيراً .

سبي النساء مكمل لثورة الحسين

جاء أبو عبد الله الحسين بعياله معه ، والمهم في هذا الأمر ، أنّه لو لم تكن زينب وبقية النساء والأطفال حاضرين بكربلاء ، لمحى بنو أمية آثار جريمتهم بكربلاء ولظلّ الأمر طيّ الكتمان في بقية الأماكن ، مع ما كانت عليه وسائل الإعلام آنذاك من بطء في نشر الأخبار ، ووجود مخبرين معادين لأهل البيت مستعدين لنشر أخبار واقعة كربلاء بشكل يخالف الواقع تماماً .

أمّا زينب ، الشريكة العظيمة للحسين فلم تدع جرائم بني أمية تمرّ ، انّ أسر أهل البيت له حكمة عظيمة كان الله قد قدرها « شاء الله أن يراهنّ سبايا » ، فقد فضحت السلطات الحاكمة بخطبها الملتهبة في مجلس ابن زياد ويزيد وفي سوق الكوفة وفي أماكن متعددة أخرى ، وأثناء الطريق إلى الشام ، حيث لم

يكن مألوفاً في الإسلام أن تؤخذ امرأةٌ مسلمةٌ أسيرةً ، فكيف إذا كانت بنت النبي (ص) ، وحيث لم يرحموا حتى الطفل الرضيع ؟ .

الحسين بين طريقين

كان وضع الحسين مختلفاً عن وضع باقي الأئمة ، من حيث الواجب الذي كلّف به ، فقد حصل ذلك في برهة من الزمان لم يكن يملك فيها طريقاً غير أن يثور ويُقتل ليحفظ دينه ، بعبارة أخرى فإنّ الحسين كان مخيّراً بين طريقين : طريق الإيمان وطريق الكفر ، إذ لو سكت وبايع لكان بذلك قد أمضى كفر يزيد بسكوته وبيعته ، وعلاوة على ذلك فإنّهم لم يتركوا الحسين وشأنه ليتنحّى جانباً ويسكت ، بل كانوا يريدون منه أن يبايع يزيداً ، فأمّا أن تقول أنّ يزيداً وكل أعماله من شرب الخمر والقمار والزنا وغيرها صحيحة وأصادق على بيعته ، وأمّا أن تختار الله والإيمان والتقوى والعدالة والفضيلة فتقتل ، فلو كان الحسين ـ معاذ الله ـ طالب دنيا لوفّروا له أحسن الوسائل شريطة أن يقرّ بأنّ يزيداً هو خليفة النبي ، أمّا إذا لم يخضع فسيضيع ماله ويهيم على وجهه في الصحراء ثم يقتل .

هنا موضع التوحيد في العبودية والثبات في سبيل الله والوحدانية والتخلي عن الهوى والرغبات النفسية وما سوى الله .

كان يتبع هدفه فقط

إنّ الحسين كجدّه (ص) الذي كان هدفه منذ أول بعثته وحتى آخر لحظات حياته كسب رضا الله وإعلاء كلمته ومقاومة كل ما يتنافى وهذا الهدف .

وطبقاً للرواية التي ذكرها المجلسي في « حياة القلوب » وذكرها غيره كذلك ، فإنّ مشركي مكة قالوا لأبي طالب قل لابن أخيك إن كان طالباً للمال فنحن نجمع له من بيننا من المال بحيث يغدو أغنى شخص في جزيرة العرب ، وإن كان طالباً للرئاسة فنحن على استعداد لتنصيبه رئيساً ، وإن رغب في الزواج فنزوّجه أجمل الفتيات من أشرف القبائل بشرط أن يترك هذه الدعوة وشتم الأصنام .

أبلغ أبو طالب هذا النبأ للنبي (ص) فقال له : « والله ، لو وضعوا الشمس عن يميني والقمر عن يساري على أن أترك هذه الدعوة ما فعلت » ، إشارة إلى أنّ المال والجاه والثروة والمرأة أشياء سهلة المنال ، فحتى لو وضعوا المستحيل في يدي ما تركت هدفي .

أوضح القرآن عمليا

إننا نقرأ ضمن زيارة أبي عبد الله « أوضح بك الكتاب » ، ويقول القرآن الكريم ﴿ **وذر الذين اتّخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا** ﴾[٥٦] ، أن من لا يهتم للقيامة يتصور أنّ كل ما في الوجود هو هذه الدنيا وما فيها من مباهج ومغريات ، ويقول القرآن في مكان آخر ﴿ **إنّ هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً** ﴾[٥٧] ، همهم الوحيد هو التسلّط والرئاسة والطعام والشراب وإرضاء الشهوات في حين أنّ الله يقول : ﴿ **والآخرة خير وأبقى** ﴾[٥٨] .

وما من شك في أنّ اليزيديين مصداق واقعي على أمثال هؤلاء الأفراد الذين يشكّون بالقيامة ولا يهدفون إلاّ إلى التمتع بالدنيا ، وكانت خطة الحسين تقضي أن يستمر في الدعوة التي بدأها جدّه ، فكما حارب النبي (ص) آباء يزيد حروباً عديدة ليحقّ الحق ويظهر ، وجب على الحسين أن يجاهد ويكافح عملياً لتوضيح القرآن الذي ذكرنا نماذج من آياته ، وتفهيمه لمن لا يعرفون شيئاً عنه ، وكان هؤلاء يشكلون الأغلبية في ذلك الوقت ، « وأوضح بك الكتاب » .

وفي مقابل أشخاص كهؤلاء ، كان المؤمنون بالله المحبّون للحق الذين يجب أن لا يبخلوا في سبيل الله بالمال والنفس حيث ﴿ **انّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا**

---

(٥٦) الأنعام : ٧٠ .

(٥٧) الإنسان : ٢٧ .

(٥٨) الأعلى : ١٧ .

ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾[٥٩] .

الحسين رئيس المؤمنين أوضح هذه الآية عملياً حيث يجب على المؤمن أن يغضّ النظر ويتنازل عن كل شيء ، إذ علاوة على ماله الذي أنفقه ، وقد أنفقه عدّة مرات وسجل في كتب التاريخ حتى يوم عاشوراء حين ضحّى بكل ما هو حبيب إلى نفسه .

يطلق سراح الأسير

في ليلة عاشوراء اتّجه رسول إلى خيام الحسين وكان يريد محمد بن بشر ليخبره بأنّ ابنه قد وقع في الأسر ويطلب إليه أن يهيء مالاً ليدفع فدية إطلاق سراحه ، فقال محمد بن بشر : كيف أترك الحسين وآتي لأجلس على الطريق أنتظر من يأتيني بخبر عن سيدي الحسين وعندها لن يهدأ لي بال ، فليبق ابني أسيراً فلن أترك الحسين .

لم يكن الحسين يملك مالاً بل كانت لديه قطع من القماش فأعطاها لمحمد بن بشر وقال أرسلها إلى السوق وبعها حتى تدفع فدية إطلاق سراح ابنك « لقد أصلح سيدنا عمل دنياه أيضاً » .

إنّ أهم العبادات ـ كما ينصّ القرآن ـ تتلخص في الإخلاص ﴿ **وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾**[٦٠] ، وأنا لا أعرف أحداً من الأولين والآخرين أوضح الإخلاص في العبادة هكذا كالحسين ، لذلك فإنّ الله ـ وكما ورد في روايات عديدة ـ قد بيّن أثر هذه الدعوة وأثبت سيادة الحسين بينما لو لم يكن العمل في سبيل الله لحدث معه الذي حدث مع ابن الزبير .

ثورة الحسين وثورة ابن الزبير

نبّه بعض العلماء إلى نقطة مهمة وهي : أنّ الحسين وابن الزبير قد امتنع

---

(٥٩) التوبة : ١١٣ .

(٦٠) البينة : ٥ .

كلاهما عن مبايعة يزيد وثارا عليه ، أمّا الحسين فقد جاء إلى العراق وقتل ، وأمّا ابن الزبير فقد خرج في مكة بعد مقتل الحسين بحجة المطالبة بثأره ، وقاتل يزيداً سنتين ، وكان جيش يزيد يرمي بالحجارة والنار من جبل أبي قبيس على المسجد الحرام الذي لجأ إليه ابن الزبير ، فهدموا الكعبة ، ولكن وقبل أن يلقى القبض عليه جاء خبر موت يزيد ، لذا عاد جيشه إلى الشام ، وازدهر عمل ابن الزبير وسيطر على الحجاز والعراق بأكمله ، إلاّ أنّه قتل على يد الحجاج بن يوسف الثقفي في زمن خلافة عبد الملك بن مروان ، إذن فقد ثارا كلاهما وقتلا كلاهما أيضاً ، لكن ابن الزبير كان يدعو إلى نفسه ، بينما الحسين يدعو إلى ربّه .

لقد ثار ابن الزبير قائلاً إن حكومة يزيد باطلة وأنني أحق بالخلافة والحكومة ، ليرتفع هو وينزل قدر يزيد ، ان من يطلب الجاه والسلطة هو فدائي للشيطان ، وعندما قتل كان قتيل الهوى النفساني وفدائي طريق الشيطان .

أمّا الحسين فلم يكن طالب دنيا قط ، طفوليون أولئك الذين يهتمون للرئاسة ، ومن يفكر بالتفاهات فإنّه يفهم الدنيا لهواً ولعباً ومحضَ وهم ، مصحوبة بآلاف المشاكل والمصاعب ، الحسين أسمى وأجلّ من أن يكون عبداً لهوى نفسه انّه الداعي إلى الله .

ثورة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عندما أراد الخروج من مكة في اليوم الثامن خطب بصراحة : خرجت لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، لم أخرج أشراً ولا بطراً ، كان منهج الحسين كمنهج جدّه وأبيه ، وهو دعوة المسلمين للتقوى وأن لا يطلبوا علوّاً في الأرض **﴿ تلك الدار الآخرة نجلعها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾**[٦١] ، لئلا تغريهم مغريات حكومة يزيد ويصبحوا عباداً

(٦١) القصص : ١٨٣ .

للبشر ، بل يجب أن يكونوا عباداً لله ، فالدنيا زائلة لا محـالة فلم يكـون الإنسان حريصاً بهذا الشكل وغافلاً ؟ كم يريد أن يبقى في هذه الدنيا ؟ .

أشهد أنّك قد أقمت الصلاة

لم يكن أمـر الحسين بالمعـروف بالقـول فقط ، بـل بـالعمـل ، وأي أمـر بالمعروف أفضل من الصلاة ؟ لقد سمعتم أنّ أبا ثمـامة الصـائدي قـال للحسين ظهر عاشوراء يا أبا عبد الله ، لم يبقَ من أعمارنا شيء وقـد اقترب الجيش منّـا ، وقد حان وقت زوال الشمس ، وكلنا نتمنى أن نصلّي معك صلاة أخرى ، فنـظر الحسين إلى السماء وتيقن من الزوال ثم دعا له بقوله « ذكّرتنا بالصلاة جعلك الله من المصلّين » ، وقد صلّى وهو في تلك الحال ، وبذلك دعى إليها عملياً .

- ١٦ -

التكامل الروحي مختص بالإنسان

تحدثنا فيما مضى عن معنى « أوضح بك الكتاب » حيث اتّضح - بواسطة الحسين - ما هو القرآن ، وما هو الدين ؟ ولأهمية الموضوع نذكر له شرحاً آخر :

ما من شك في أنّ خلق الإنسان في هذه الأرض بهذه الدقة والعظمة والتكامل إنّما كان لأنّه يختلف عن باقي المخلوقات حيث أنّ بقية المخلوقات تأتي من التراب وتذهب إلى التراب ، وليس فيها جانب روحي أو حياة أخروية مكمّلة ، إلاّ أنّ الإنسان علاوة على اشتراكه مع الحيوانات في الجوانب المادية فإنّه يملك روحاً إنسانية يجب أن تصل إلى درجة الكمال في الدنيا لتكون السعادة نصيبه بعد الموت ، وتبعاً لذلك ستكون حياته الدنيوية أيضاً مقرونة بالأمن والسعادة النسبية .

الكمال الانساني وعبادة الله

يكمن كمال الإنسان في التدين ، ويجب البحث عن هذا في القرآن الكريم ، إذ عندما يصبح الإنسان عبداً لربّ العالمين ، يكون قد تخلّص من ذلّ النفس والهوى ، وتلك بداية عزّته ، إنّ التكامل منحصر بالتوحيد في العبودية ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أنّه لكم عدو مبين ، وأن**

اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾[٦٢] ، كما يجب الابتعاد عن حب المال والرئاسة والشهوات ﴿ أرأيت من اتّخذ إلهه هواه ﴾[٦٣] وأن لا يشرك بعبادة الله شيئاً ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ وهذا الأمر لا يتعلق باللسان بل أنّ حال ووضع الإنسان هو الميزان ، فمن يعبد غير الله لا يصل أبداً إلى درجة الكمال ، ولهنا تكون حياته سقيمة ، وعلى أيّ حال فكل من أعرض عن الله وعبادته سيبتلى بحياة صعبة ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ﴾[٦٤] .

نموذج من اختلال الحياة المادية

تنتشر العصابات المختلفة وأنواع السرقات ومن جملتها سرقة الأطفال في أمريكا ، فنحن نقرأ في الصحف أنّ البنين والبنات في سن ١٤ ـ ١٥ يسرقون ويؤخذون إلى فنادق خاصة ويجبرون على ممارسة الدعارة وما يحصلون عليه من نقود تأخذه العصابات إلاّ جزءاً قليلاً منه ، وقد ذكرت إحدى الفتيات المختطفات أنّها حصلت على مئة ألف دولار من عملها ولم تستلم منه سوى ٨٠٠ دولار ، وذكر أيضاً أنّه عثر على حوالي ثلاثة آلاف من الفتيان والفتيات المفقودين في دور الدعارة هذه .

هذا نموذج مصغر عن وضع العالم المادي الغافل عن الله ، ولذلك تنخفض الراحة النفسية في هذه المجتمعات ، وهذه الانتحارات تدلّ على الضيق النفسي ، أنّها صعوبة الحياة الروحية وليس المادية التي تدفع حتى بنجوم السينما الأثرياء والفنانين ـ كما يدعونهم ـ إلى الانتحار .

الرغبات المادية ليس لها نهاية

كل من تمرّد على أمر الله وانقاد إلى رغباته النفسية التي لا تنتهي احترق

---

(٦٢) يس : ٦٠ ـ ٦١ .

(٦٣) الفرقان : ٤٣ .

(٦٤) طه : ١٢٤

في جهنم اليأس والرجاء ، ولم يبلغ كل ما أراد أيضاً ، ومهما نال من رغباته فإنّ ما لا يناله سيزداد ، انّ كمال الإنسان يكمن في أن تكون رغبته أسمى الرغبات ، ومعبوده أسمى المعبودين ، وان يكون عبداً لواحد فقط ، وليس عبداً لبشر مثله أو عبداً لهوى نفسه وللمادة ، فما لم يدع هذه الماديات لن يستطيع أن يتصل بالله قلبياً ، يجب أن يرى الدنيا بوصفها محل عبور وليس مقر بقاء ، يجب أن لا يستقر أو يستوطن فيها وينشغل بملذّاته ﴿ **أخلد إلى الأرض واتّبع هواه** ﴾[٦٥] ، لقد أوعد الله عبدة الذهب والفضة بالعذاب الأليم ﴿ **الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾[٦٦] .

فالقرآن إذ يعتبر سعادة البشر في الإخلاص في العبودية لله وحده ، إنّها الحقائق الإلهية التي بلغها الرسول إلى البشر طيلة فترة بعثته وآمن بها الكثير منهم .

نسيان أصل الدين بعد النبي

بعد رحيل خاتم الأنبياء ، أُهمل أصل الدين الذي هو الإخلاص في العبودية ، وانشغل الناس باتباع الهوى وطلب الرئاسة وتركوا جانباً التوحيد في العبادة ، وأحلّوا محلّه الأنانية وعبادة الهوى ، لذلك تردّوا في الفساد مع أنّهم كانوا يحاولون حفظ ظاهرهم الإسلامي إلاّ أنّهم لم يتمكنوا من إخفاء الحسد والحقد .

فالخليفة الثالث الذي كان قد أولع بجمع المال وطالما أفرط في ذلك ، بينما ظلّ الأمر الوحيد الذي لم يُهتَمَّ به هو الإخلاص في العبودية لله ، وقد تردّى

---

(٦٥) الأعراف : ١٧٦ .

(٦٦) التوبة : ٣٥ .

المسلمون في طريق الشيطنة ، كانوا يصلّون ويجاهدون ولكنهم يتحركون طبقاً لميولهم الشخصية .

المؤمنون يُعرفون بعلي

سمعتم ما قاله الرسول (ص) لعلي (ع) : « لولاك لم يعرف المؤمنون بعدي » ، قال ذلك للرجل الشجاع الذي ثبت على إسلامه من جميع النواحي ، كان علي وأصحابه المعدودون لا يعبأون بالدنيا وأهواء النفس ، كانوا يضعون أمام أعينهم الله وحده .

عندما سألته الزهراء (ع) : كم تتحمل ؟ لقد غصبوا حقي و. . . ، أجابها مازال هذا السيف وهذا الذراع الذي أضرب به ، ولكن إن أردتِ أن يبقى اسم أبيك ، أي أن يظل دين الإسلام في الناس فيجب أن أسكت وأصبر ، ولو كان علي يتبع هواه لما سكت في حال كهذه ، إلاّ أنّه كان يطلب رضا الله لا الرئاسة لنفسه ، كان يرى رضا الله في الصبر ، لذلك صبر خمسة وعشرين عاماً ، وأنّ الرواية التي نقلها حتى علماء أهل السنة أيضاً هي أنّ المقصود بـ « الصراط المستقيم » هو علي وولايته لأنّه طريق الله وليس أي طريق آخر .

نهج علي في مواجهة معاوية

بدأ علي بالتربية وأدّى بأفراد من المسلمين إلى تزكية النفوس ، ان دين الإسلام في جوهره دين التزكية التي هي التعليم والتربية ، الإسلام يعني الدين الذي يزيل الحسد والحقد والبخل والقسوة وحبّ الدنيا ، حيث هدى إلى الصراط المستقيم وإلى ولايته عدداً كبيراً من الناس وذلك بالتبليغ العملي والقولي للإسلام الحقيقي .

ترى أين هو معاوية الذي وقف بوجه علي ودعا الناس إلى عبادة المال وطلب الجاه ، لقد حاول هذا الشيطان أن يخدع كل من استطاع من شيعة علي بماله وجعله مثله عابداً للمال ، أمّا من لم يستطع خداعه فقد كان يقتله حيث

قتل مالك الأشتر الذي دسّ إليه السم ورشيد الهجري وغيرهما ممن قضى عليهم .

اشترى دينه بالمال

جاء إلى الشام أحد وجوه الكوفة من محبّي علي فاستقبله معاوية واحترمه وأحسن وفادته ، وحين أراد الإنصراف أعطاه معاوية مئة ألف درهم ، فأخذها هذا البائس وشكره ، عندها اعترض أحد الشاميين وكان معاوية قد أعطاه خمسين ألف درهم بقوله : أتعطينا نحن الذين في بلاطك نصف ما تعطي أصحاب علي ؟ أجابه معاوية : لقد اشتريتُ دينه بالمال ، فقال الشامي : إذن اشترِ ديني أنا أيضاً ، فردّ عليه معاوية : ليس لك دين فأشتريه ، ومع ذلك ولأجل أن لا يجرح مشاعره أعطاه خمسين ألف درهم أخرى .

يدمرون الدين مع حفظ الظاهر

كان معاوية يصلّي ويراعي المظاهر الإسلامية إلى حدّ ما ، لكنه كان يضيع حقيقة وروح الدين التي تنحصر العبادة فيها لله ، وهي تزكية النفس والولاية ، كان أس المواجهة ضد الحق ، وداعي الشيطان أمام داعي الرحمن ، ترى كم كان يعاني أهل البيت وهم يرونه يقلب الحقائق ويضيع ويدمّر جهود ثلاثة وعشرين عاماً من المشاق التي تحملها الرسول (ص) في دعوته .

يزيد يكمل الفضيحة

جاء يزيد بعد معاوية وكان أسوأ من أبيه ، إذ بينما كان معاوية يستتر ويغطي قبائحه ، لم يكن يردع هذا المراهق المغرور رادع ، لقد قتل أبوه الإمام الحسن خفيةً ، أمّا هذا الأحمق فقد كتب إلى واليه على المدينة : أدعُ الحسين إلى المبايعة ، فإن أبى فأرسل إليّ برأسه ، ومع كل ذلك يكتب أحد المتعصبين : أن من يعتبر يزيداً مسلماً إنّما يدلل على عدم تدينه هو ، وقال مجاهد : لعن الله من لم يلعن يزيداً ، أي من لم يقل بجواز لعنه .

الحسين أوضح حقيقة

« أوضح بك الكتاب » ، لقد أوضح الحسين حقيقة القرآن التي هي عبادة الله ، ولم يقرّ عبادة يزيد للمال ، لم يتخلّ عن دينه لأجل المال ، وأفهم الناس عملياً أنّ الدين غير الهوى النفساني ، وقد سمعتم ما قاله (ع) : أنا مستعد لأن أهيم في الصحراء وأصرف النظر عن كل الملذات لأنّي عبد الله .

كثرة الثواب ببركة الحسين

« وأجزل بك الثواب » ، أيها الحسين العزيز لقد زاد الله الثواب ببركتك ، حقّاً أنّ الحسين هو بركة الإسلام والمسلمين ، كل متدين مدين لجميل الحسين ، وكثيرة هي الفوائد التي يحصلون عليها من فيض الحسين ، صلاتهم وصيامهم تقبل ببركة الحسين ويضاعف أجرهم ويزكون زكاة حسينية ، وأفضل شاهد على ما أقول حديث معاوية بن وهب :

دعاء الامام الصادق في السجود

يقول معاوية بن وهب : ذهبت إلى منزل الإمام الصادق وكان ساجداً يدعو حتى وصل إلى قوله : اللهم ارحم الوجوه التي غيرت الشمس لونها لكي تصل إلى قبر الحسين ، اللهم ارحم الدموع التي أريقت في مأتم الحسين ، اللهم ارحم الآهات والزفرات والتنهدات التي ترتفع في مصيبة الحسين ، اللهم انني أوكلهم إليك حتى يردوا إلينا على حوض الكوثر ـ أي ألحقهم بنا ـ ، يقول معاوية عندما رفع الإمام الصادق رأسه من السجود سألته : لم كنت تدعو ؟ فأجاب لزوّار ومعزي قبر جدّي الحسين ، أتزور كربلاء ؟ أتعرف فضيلتها ؟ قلت : لم أكن أعلم ذلك ، فإنّ هذه الأدعية التي دعوتَ بها لو دعي بها لكافر لشملته رحمة الله ، ومن الآن فصاعداً سأحاول أن أصل إلى قبر الحسين وأزوره حتماً .

مصيبة الحسين أعظم المصائب

« وأعظم بك المصاب » ، عيّن الله لكل من أصابته مصيبة ثواباً معيناً ، والأجر على قدر المصيبة ، فكلما كانت المصيبة أكبر وأصعب كان أجرها أكبر ، فمرة يكون بجرح في الجسم ، وأخرى بتلف المال ، وثالثة بموت أحد الأهل حتى تصل إلى موت شاب في ريعان شبابه ، وكلما ارتفعت درجة المصيبة ازداد ثوابها ، وآخر المراتب التي هي موت شاب ، إذ تجب له الجنة صبر أو لم يصبر .

والمصائب التي تصيب الإنسان محدودة ومؤقتة فمثلاً قد يصاب الإنسان في رأسه ليوم ثم يشفى وينسى ذلك الجرح ويبقى أجره ، أمّا مصيبة الحسين فليست بمنسية ، لذا فإنّ الرحمات التي شملت الناس أيام عاشوراء في العام الماضي هي الآن موجودة أيضاً ، فثواب أنصار الحسين غير محدود ، « وأجزل بك الثواب » ، كما أنّ مصابه غير محدود « أعظم بك المصاب » ، فإننا لا نعرف في العالم مصيبة كمصيبة الحسين ، تلك المصيبة التي أحدثت ضجة في السماوات والأرض « جلّت وعظمت مصيبتك في السماوات . . . وعظمت الرزية وجلّت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض . . . مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها .[٦٧] .

أم معبد والشجرة الملكوتية

روي في بحار الأنوار : عندما هاجر النبي (ص) مع اثنين من الصحابة من مكة إلى المدينة وصل أثناء الطريق إلى خيمة أم معبد ، ولما لم يكن عندهم متاع للطريق سأل أم معبد أعندك طعام ؟ فأبدت خجلها قائلة : لدينا عدّة خراف أخذها زوجي إلى المرعى ولم يبق سوى نعجة مريضة لم يأخذها معه إلى المرعى لمرضها ، فقال الرسول أتأذنين لي بحلبها ؟ أجابت : الأمر إليك إلاّ أنّه لا يخرج منها شيء ، وما أن مسح بيده المباركة على النعجة حتى شفيت وتجمع

---

(٦٧) الفقرات أعلاه مأخوذة من زيارة الحسين (ع) .

الحليب في ثديها فجاء (ص) بإناء وملأه وشرب الجميع ثم شرب هو وبعد ذلك ملأ أواني أم معبد ، ثم نام القيلولة ، وبعد أن استيقظ طلب ماء للوضوء فتوضأ وصلّى ، وكان قرب الخيمة شجرة عوسج فتمضمض واستنشق ثلاث مرّات ورمى الماء من فمه تحت تلك العوسجة وقال : لهذه العوسجة شأن .

يقول ابن أخت أم معبد : لم نكن قد رأينا حتى ذلك اليوم وضوءاً أو صلاة ، ذهب الرسول وأصحابه ، وفي الغد كبرت الشجرة واخضرت ونما لها أغصان وأوراق وأنتجت محصولاً يشبه البطاطا إلاّ أنّه أحلى من العسل وأكثر عطراً من المسك ، ومن خصائصه أنّه ما أكل منه حيوان مريض إلاّ شفي ، أو كان قليل اللبن إلاّ ازداد لبنه ، وكان بعض قبائل العرب يأخذون من ورقها للاستشفاء عند مرورهم عليها ، ومن بركتها أيضاً أنّ الأحوال المادية لأم معبد قد تحسنت .

ومرّت عشر سنوات فشاهدنا الشجرة يوماً وقد تغيرت إذ سقط ثمرها وذبلت أوراقها ، وبعد أيام جاءنا الخبر بوفاة رسول الله ، وقد بقيت الشجرة تعطي ثمارها إلاّ أنّه لم يكن كثمرها السابق من حيث الحجم والطعم .

ومرّت السنون ، وفي أحد الأيام شاهدنا الشجرة وقد خلت من الثمر والأوراق ، وبعد أيام جاء من الكوفة خبر قتل علي .

ومضت عشرون سنة ، وكان الناس يستشفون بخشبها ، وفي أحد الأيام رأينا الدم يسيل من أغصانها كما يسيل من اللحم ، فتحيرنا في أمرنا إلى أن حلّ الظلام فسمعنا أصوات تأوهٍ وتألّم ترتفع حول الشجرة : يا ابن النبي ، يا ابن الوصي ، لقد كان الجن يقيمون العزاء على ابن النبي ، ولم يمض وقت طويل حتى جاء خبر قتل الحسين بكربلاء ، بعدها جفت الشجرة فلم يبق منها ساق أو جذر واختفت نهائياً .

الجن يقيمون مأتما للحسين

روى المجلسي في الجزء العاشر من البحار أنّ خمسة أشخاص تحركوا من الكوفة بقصد نصرة الحسين ، وكانوا متجهين إلى كربلاء تحت جنح الظلام ، حيث كانوا يختبئون نهاراً ، إلى أن وصلوا قرية الساهية ليلة الحادي عشر ، فدخلوا كوخاً كان هناك ليستريحوا على أن يواصلوا السير نحو كربلاء ، وفجأة دخل الكوخ شخصان عليهما الهيبة والوقار ، أحدهما كبير السن والآخر شاب ، ففزع هؤلاء الخمسة ، فقال لهم الشيخ لا تفزعوا ، أنا من المؤمنين من جنّ نصيبين ، وهذا الشاب هو ابن أخي ، سمعنا أنّ الحسين المظلوم قد وقعت له مشكلة فجئنا لنصرته ، ثم قال الأفضل أن تظلّوا هنا ، سأذهب أنا لأستطلع الأمر وأعود إليكم بالخبر ثم ذهب ، ولم يطل غيابه حيث عاد ولم يدخل الكوخ إلّا أنّه كان يقرأ شعراً خارج الكوخ ونحن نسمعه وهو :

والله ما جئتكم حتى بصرتُ به ... بالطف منعفر الخدين منحورا
وحوله فتية تدمى نحورهمُ ... مثل المصابيح يغشون الدجى نورا[٦٨]

يقول الشيخ الشوشتري رحمه الله : بما أنّ الحسين كان جثة بلا رأس ، فكيف عرف هذا الجنّي أنّ وجه الحسين كان معفّراً بالتراب ؟ .

---

(٦٨) نفس المهموم ص ٢٦٩ .

- ١٧ -

اشكالان حول واقعة كربلاء

هناك سؤالان كانا ومايزالان مطروحين ، وقد أُجيب عنهما ، لكن بما أنّ البعض يسأل ويمكن أن يردا على الخاطر ، ارتأينا أن نذكرهما مع الإجابة :

الأول : قيل عمّا جرى في كربلاء أنّه كان من التقدير الإلهي الحتمي ، وقد قُدِّر قبل خلق العالم ، وأُخبر به جميع الأنبياء ، حتى أنّ النبي (ص) قال للحسين : « شاء الله أن يراك قتيلاً » ، وبناء على هذا فإنّ الحسين لم يذهب إلى كربلاء بإرادته بل كان مجبراً على ذلك ، وأنّ العمل الذي يؤدّى جبراً لا يُثاب الإنسان عليه ، كما أنّ جيش يزيد لا يستحق العقاب لأنّه كان مجبوراً ولم يكن ما قام به باختياره .

الثاني : هل كان أبو عبد الله يعلم مسبقاً أنّه سيُقتل أم لا ؟ إن قلنا : لا ، مناف لعلم الإمامة إضافة إلى أنّ الدليل على علمه هو ما أبلغ عن وقوعه مسبقاً ، والتراب الذي أعطاه لأمّ سلمة وما قاله لها ـ وقد ذكرناه آنفاً ـ كما أخبر عن مقتله في خطبته الأخيرة قبل سفره من مكة المكرمة حيث قال : خِير لي مصرع أنا لاقيه ، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم[٦٩] ، فكلامه هذا يدلّ على علمه

---

(٦٩) نفس المهموم ص ٨٧ .

بمقتله ، فلماذا ذهب إلى الكوفة ؟ ألم يقل تعالى : **﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾**[٧٠] ؟ .

سنذكر جواب السؤالين بشكل واضح يسهل على الجميع فهمه .

الجواب على السؤال الأول :

المصير غير الاجبار

المقصود من التقدير الإلهي أو بتعبير العوام « ما كُتب على الجبين » هو أن تفصيلات حوادث كل من أتى إلى الدنيا أو يأتي تكون محفوظة عند الله من قبل أن يخلق الإنسان ، سواء أكانت أموراً تكوينية أم اختيارية الأفعال ، والأمور التكوينية أمثال : كون زيد بن عمرو ، وأنّه سيأتي إلى الدنيا في اليوم الفلاني وسيعمر كذا سنة من العمر فقيراً بائساً وكذا سنة من عمره غنياً سعيداً .

أمّا الأمور الاختيارية فهي في علم الله أيضاً مثل : ماذا سيعمل هذا الإنسان في اليوم الفلاني ، أنّه سيعمل باختياره عملاً صالحاً أو سيئاً ، وباختياره سيذهب إلى المسجد أو الحانة ، أنّ تصرفاته تحت اختياره وليس هناك من يجبره على الذهاب إلى الحانة أو المسجد .

التقدير بمعنى الاذن الالهي

بطبيعة الحال فإنّ الله إن لم يأذن بشيء فلا يمكن أن يقع ، والتقدير يعني الموافقة الإلهية ، ان الأفعال الاختيارية للأشخاص ما لم يحصل فيها إذن من الله فمن المستحيل أن تقع ، ولا يمكن للإنسان بدون إرادة الله أن يخطو خطوة واحدة في طريق الخير أو الشرّ ، وإذن الله مطابق للمصلحة الكلية للعالم ، يقول تعالى : **﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير ﴾**[٧١] وفي الكتاب الإلهي الذي هو

---

(٧٠) البقرة : ٩٥ .

(٧١) الحديد : ٢٣ .

مرحلة من مراحل الوجود في العالم الغيبي سجلت وثبتت جميع الأمور الجزئية والكلية ، فإن فكر الإنسان بكيفية حصول ذلك وأنّه أمر صعب ، فهو على خطأ لأنّ ذلك ﴿ **على الله يسير** ﴾ وفي مقابل قدرة الحق تعالى لا يساوي هذا الأمر شيئاً .

الرؤيا الصادقة معرفة بالمقدرات

ربما اتّفق لأحدكم أن يرى أمراً يتعلق به أو بغيره في المنام ، ثم يقع ذلك في الواقع ، أنّه اتصال النفس الإنسانية الناطقة باللوح المحفوظ الذي هو مرتبة من مراتب الغيب .

وبناء على هذا فإنّ التقدير لا يعني الإجبار ، بأن يؤدي الإنسان بلا إرادة العمل الذي قُدّر له ، بل معناه أنّ الإنسان باختياره يعمل ما يشاء ، وأنّ الله يعلمه ويقرّه ولا يمنعه من فعله ، وكل من كان صالحاً أو سيئاً فباختياره هو ، وليس هناك من يجبره على أن يكون صالحاً أو فاسداً :

يا من تقول ماذا سأفعل هذا أم ذاك
إنّ كلامك دليل على اختيارك

إنّ من يعين محتاجاً ، أو من يتهم بريئاً كلاهما فعل ذلك باختياره ، ولم يمنع الله أحدهما ، بل أقرّ ذلك وأعطاهما القوة ليمتحنهما ﴿ **كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا** ﴾[٧٢] .

فالمقدر إذن يعني أنّ الله قد أمضاه ، وإمضاء الله لا يعني أنّ الله قد أجبر أحداً ، ومسألة كربلاء هي أيضاً من جملة حوادث عالم الوجود التي كان الله يعلمها منذ الأزل وقبل الخلق ، وقد أمضاها وليس هو الذي فعلها ، كان يعلم أنّ الحسين سيأتي باختياره وكذلك سيأتي شمر وابن سعد وغيرهم باختيارهم أيضاً .

---

(٧٢) الإسراء : ٢٠ .

لماذا قدرت واقعة كربلاء ؟

يتبادر هنا إلى الذهن سؤال هو : لماذا أمضى الله هذه الحادثة المؤلمة يا ترى ؟ ألم يكن من الأفضل أن لا تصيب السهام جسم الحسين ؟ وهذا السؤال آت من العواطف وحدها التي لم تنظر إلى المصالح العليا .

إنّ الدنيا دار اختيار ، ولم يكن المقرر أن يُمنع الظلم من الوقوع فيها بشكل كامل بل يجب أن تتضح السعادة والشقاء ، ويجب أن يظهر كل واحد ما يستطيع ولا يمنع من ذلك مادام في داخل الحدود التي لا تتعارض مع المصلحة العامة .

فلو كان المقرر أن كل من يذهب إلى الحانة تُشل قدمه لم يكن هناك اعتبار لقولنا أنّ الدنيا دار عمل لا جزاء ، إذ لو جوزي الناس في هذه الدنيا لما بقي أحدٌ حيّاً على الأرض ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾[73] ، فينبغي إذن أن يكون للجميع فرصة ، فيمضي الله أعمالهم ولا يمنعهم ، لتتضح سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء ، وإلاّ كيف يبلغ الصالحون الدرجات العليا ؟ .

صَلب المظلوم والمقامات العليا

روى الزمخشري في ربيع الأبرار عن عمر بن دهلمة : خرجت صباح يوم في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي عليه اللعنة قاصداً كناسة الكوفة (وهو ميدان كبير في الكوفة القديمة) وحين وصلت وجدت سيداً قد صلب (كان الإعدام في الماضي يختلف عمّا هو عليه الآن ، حيث يعلّق الشخص المراد إعدامه من كتفيه حتى يموت جوعاً وعطشاً ، وكان ذلك يستغرق وقتاً طويلاً ليموت المسكين ببطء) ، فتأثرت كثيراً لهذا المنظر وتألمت ورفعت رأسي عفوياً إلى السماء وقلت : إلهي أن حلمك بالظالمين أضرّ بالمظلومين .

---

(٧٣) فاطر : ٤٥ .

وفي المساء رأيت في المنام مقاماً عالياً ورياضاً كثيرة ، فبهتُّ وقلت لمن هذا المقام يا إلهي ، ثم رأيت فجأة شيخاً كبيراً قال لي : أتعرفني ؟ قلت : لا ، قال : أنا ذلك السيد الذي رأيته مصلوباً على الخشبة ، عندها ارتفع نداء بين الأرض والسماء : إنّ حلمنا عن الظالمين أحلّ المظلومين في أعلى عليين .

إنّ تلك الدرجات إنّما جاءت للمظلومين نتيجة إمضاء الله الذي لم يمنع ظلم الظالم ، وإن لم يكن فيه مصلحة لما وقع ، أي أنّ إمضاء الله وإذنه ليسا بدون مصلحة ، وعندما يكون بهما مصلحة ما فليس من المناسب منع وقوعها ، لأنّ منع المصلحة قبيح ومحال صدور القبيح من الله .

مصالح واقعة كربلاء

يحدث أن لا يدرك الإنسان بعض أعمال العظماء والسياسيين الكبار ، وبناء على ذلك فإنّ الإنسان أصغر من أن يكشف عن أعمال الخالق ، أمّا ما يظهر منها فإنّ فيه عدّة مصالح رئيسة :

١ ـ إحياء الدين الإسلامي وتوضيح حقيقة الإيمان .

٢ ـ إحقاق الحق وإبطال الباطل ، فقبل واقعة كربلاء كان الحكام قد قاموا بخدعٍ ومظاهر تظاهروا معها بالحق بشكل اختلط فيه الحق والباطل بصورة تامة ، ولم يكن بالإمكان التمييز بينهما ، وكم من مرة صور فيها الحق باطلاً والباطل على أنّه حق ، لذا فإنّ الحسين بعمله هذا قد أوضح الحق وفضح الباطل .

٣ ـ أراد الحسين بعمله أن يصل إلى درجة من الحب عالية عند الله .

لقد شاء الله أن يوصل الحسين إلى مقام رفيع سامٍ لم يسبقه إليه أحد ، وهو حبّ ربّ العالمين والسعادة التي لم يتفق لأحد أن حصل عليها وهي أن يعطى كل ما يحب ويغض النظر عن كل شيء في سبيل الله ، لذلك قال له رسول الله (ص) : « إنّ لك عند الله درجة لا تنالها إلاّ بالشهادة » .

٤ ـ من المصالح الخفية في إمضاء الله لما وقع في كربلاء البركات التي تصل الآخرين في الدنيا والبرزخ والقيامة ، وكما يقال في المثل أنّ فلاناً يضرب عدّة عصافير بحجر واحد ، فمن البركات والخيرات التي أنعم الله بها بإمضائه واقعة كربلاء .

القرب من الله ورقة القلب

إنّ واقعة الحسين ستظل تجذب قلوب المؤمنين إلى يوم القيامة ، فكل من يسمع أو يقرأ ما وقع فيها يخشع قلبه في أي مقطع منها ، فإذا استمر على ذلك كان من الناجين ، إذ أنّه في اللحظة التي يبكي فيها على الحسين تمحى فيها ذنوبه ، أي أنّ الغفلة تزاح جانباً ويقترب القلب من الله عندما يكون القلب متجهاً إلى الله .

قبل حوالي أربعين عاماً عندما كنت عائداً من الحج وكانت أيام عاشوراء ، كان يجلس بجانبي رجل مالكيّ المذهب ، وبينما كنت ساكتاً كان هو الذي بدأ الكلام وتحدّث عن عاشوراء وبعض ما جرى في كربلاء ، وهو يبكي .

واقعة كربلاء رحمة للجميع

لقد حدثت واقعة كربلاء بشكل يتأثر لحوادثها كل الناس وعلى أي درجة كان من العقيدة والإيمان ، وهنا يقول الشيخ الشوشتري عليه الرحمة : إنّ كل شخص لا بد وأن تؤثّر عليه مصيبة معينة ، والحسين قد وقعت عليه أنواع المصائب بحيث انّ أي إنسان يتأثر على الأقل بواحدة منها وتكون مقدمة للرحمة به ، فبعضها مصيبة الشاب وبعضها مصيبة الطفل الرضيع وبعضها . . . الخ .

ـ ١٨ ـ

يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور(٧٤)

قلب النفس للحقائق الانسانية

من المواضيع المهمة التي يجب على كل إنسان أن يعلمها كي لا يقع في شباك الشيطان هو معرفة الفارق بين الغرور والرجاء ، فكم من مرة وقع الإنسان في الغرور وهو يتصور أنّه الأمل أو الرجاء ، إنّ النفس الإنسانية قد توقعه في الخطأ وتسميه رجاء بينما يكون هو الغرور بعينه ، فينبغي أن نخاف من شرّ أنفسنا ونستجير بالله ﴿ إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربّي ﴾(٧٥) ، وفي الدعاء الشريف دعاء كميل نجد الإمام يعرض من ضمن الشكاوى على الله خيانة النفس « ونفسي بخيانتها » ، أي أشكوك خيانة نفسي لنفسي ، وحقّاً أنّ أي شقاء نابع من نفس الإنسان إذ تشغله بعيوب الآخرين كي ينصرف عن التفكير بنفسه وعيوبه وإصلاحها ، ونقرأ من ضمن الدعاء « ومن شرور أنفسنا » ، ومن الأحاديث النبوية الشهيرة « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » .

---

(٧٤) لقمان : ٣٤ .

(٧٥) يوسف : ١٥٣ .

ومن خيانات النفس قلب الحقائق ، فمثلاً تريك الغرور الذي هو صفة ذميمة يجب الابتعاد عنها على أنّه الرجاء الذي عين الإيمان .

الفرق بين الغرور والرجاء

إنّ الهدف الذي يسعى الإنسان من أجله إذا كان قد بذل جهده وهيأ له مقدمات الوصول إليه ، أصبح معلوماً أنّ له أملاً ورجاء فيه ، فلأنّ لديه أملاً فيه فهو يطلبه ويتابعه ، فمثلاً المزارع الذي هدفه الحصول على الحنطة ، إن كان لديه أمل في الحصول عليها ، حرث الأرض وبذر البذور وسقاها وهيأ مقدمات العمل ، ومن كان همّه الربح والتجارة ، فإنّه يشقى ويتعب لأجل تحقيق الربح ، إذ يشتري البضاعة من هذه المدينة مثلاً ويأخذها إلى المدينة الأخرى ، فهذه دلالة على وجود الأمل والرجاء ، أمّا الغرور في تلك الأمثلة فهو الطمع في الاستفادة وجني المحصول بدون زراعة ، وكسب المال وتحقيق الربح بدون تجارة ، والأسوأ من ذلك أن يذهب بعكس الاتجاه المطلوب كأن يذهب إلى الغرب بدلاً من الشرق ، وعلى ذلك فالغرور هو أن يضع الإنسان نصب عينيه هدفاً وينتظر الحصول عليه دون أن يبذل جهداً في سبيله .

طريق جهنم والأمل بالجنة

طبقوا هذا المعنى على الآخرة والجنة والمقامات ، فإن أراد أحد الجنّة حقّاً ، فلا بدّ له من الحركة ، إذ بدون الإيمان والعمل الصالح فإنّ الوهم النفسي والأخطاء التي يورط الشيطان الإنسان فيها هما اللذان يمنعان الإنسان من العمل الصالح .

إنّ الجنة والجحيم هما نقطتان متقابلتان ، طريق الجنة هو العبادة وترك هوى النفس والشهوات « من اشتاق إلى الجنة سلى عن الشهوات »[٧٦] ، أمّا طريق جهنم فهو الذنوب والشهوات ، فإن أخفق أحد في سلوك هذا الطريق

---

(٧٦) أصول الكافي .

« طريق الجنة » فإنه سيسلك طريق جهنم ، فهل يكون له أمل عندها في الجنة ؟ أمن العدل أن يقال لشخص كهذا أنّ له أملاً بالجنة ؟ .

بكيتَ على الحسين واتّجهتَ نحو الجنة « من بكى على الحسين وجبت له الجنة »[٧٧] ، ولكنك أذنبتَ بعد ذلك ورميتَ بنفسك في طريق جهنم ، فتوقّعك وأملك بالجنة يعتبر غروراً ، لأنّ المغرور هو الذي يتحرك مع عكس اتّجاه الهدف ومع ذلك يتوقع بلوغه .

باب الحسين سبب الرجاء

إنّ وسائل الحسين ، من بكاء عليه وإقامة المراسم واللطم على الصدور وزيارة قبره الشريف والإطعام في سبيله كلها وسائل لتقوية الرجاء ، وليست سبباً للغرور ، فمثلاً الرواية التي تقول : « من بكى على الحسين وجبت له الجنة » تعني أيّها الحزين على الحسين ، صحيح أنّك أذنبتَ ولكن لا تيأس ، لأنّك جئتَ إلى طريق الحسين الذي هو طريق الجنّة ، وهذا يشبه تماماً ما ورد في آية التوبة ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله انّ الله يغفر الذنوب جميعاً أنّه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا لله** ﴾[٧٨] .

التوبة لأجل الأمل لا الغرور

أيّها المذنبون لا تيأسوا من روح الله ، تعالوا إلى طريق الله ، وليس معنى ذلك أن أذنبوا ما شئتم فالله يغفر الذنوب ، بل انّه يريكم طريق الأمل كي لا يكون الإنسان الغارق في الذنوب يائساً من رحمة الله ، بل أن يفهم الرحمة وسعة رحمة الله لكي يعود إلى الله ، لذا فإنّه يقول مباشرة بعدها ﴿ **وأنيبوا إلى الله** ﴾ أي توبوا وعودوا إلى ربكم ، والبكاء على الحسين أيضاً يؤدي إلى التقرب ، فأنت وقفت على طريق الجنة بعد أن أذنبت وتركت طريق الطاعات ،

(٧٧) الخصائص .

(٧٨) الزمر : ٥٣ .

إلاّ أنّ الله سيقبل عذرك ببركة الحسين والبكاء عليه ، وهذا هو معنى الأمل بالوسائل الحسينية وليس أن تقوم من الآن فصاعداً بكل ما يحلو لك بحجة أنّك بكيت مرة على الحسين ، إن الإمام لا يأمر بالغرور أبداً بل أنّ النفس والشيطان هما اللذان يغرّان الإنسان .

كلمات الشوشتري في مقدمة الخصائص

للشيخ عليه الرحمة كلمات جميلة ذكرها في مقدمة الخصائص ـ وقد أشرت إليها سابقاً ـ قال فيها : إنّ أملي ورجائي الوحيدين هما الوسائل الحسينية ، ليس غروراً بل أنّه الأمل الحقيقي .

إنّ الشيخ الذي قال هذا الكلام قد أجمع الجميع على تقواه وورعه ، وكان الدمع دائماً موجوداً في عينيه لكثرة ما بكى توسلاً في عزاء ومأتم أبي عبد الله ، يقول : راجعت حسابي فوجدت أنّ عمري قد تجاوز الستين فقلت لنفسي : أيها التاجر الخاسر الذي أذهب رأس مال عمره هدراً كم عانيت في هذه المدة من التجارة ؟ أيها الزارع ماذا زرعت طيلة هذه الفترة ؟ أعندك زرع الإيمان والعمل الصالح الذي تريد أخذه معك ؟ والآن وقد قرب أجلك هل أنت مؤمن ؟ إنّ للإيمان علامة .

التوكل والأمل والرضا والصبر من لوازم الايمان

إنّ العلامة الواضحة للإيمان هي التوكل على الله يقول القرآن الكريم : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾[٧٩] .

هل أصبح اتكالي بعد هذا العمر على الله ؟

وكما أنّ من آثار الإيمان الخوف والرجاء ، فإنّ الخشية والأمل يجب أن يكونا منحصرين بالخالق وحده . ﴿ **يرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾[٨٠] ،

---

(٧٩) المائدة : ٢٣ .

(٨٠) الإسراء : ٥٧ .

والصبر أيضاً من مستلزمات الإيمان الضرورية وقد ورد ذكره في سبعين موضعا من القرآن وقد أمر تعالى بالصبر صراحة حيث قال : **﴿ يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ﴾**[81] .

ومن علامات الإيمان القطعية التسليم لأمر الله ، إذا عرف أحدنا الله واتّخذه مولاه ووليّه ، فإنّه سيسلم أمره إليه شاء أم أبى ولا جدال في ذلك **﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً ﴾**[82] .

فأنا الشيخ الذي قضى عمراً طويلاً هل استفدت من شيء من التسليم والرضا بعد هذا العمر ؟ هل أنّ أملي وخشيتي هي من الله فقط ؟ ويردف الشيخ قائلاً أنا لا أعلم شيئاً من ذلك في نفسي ويكاد اليأس يتملكني .

الاخلاص شرط لقبول العمل

في باب العمل أجد نفسي قد قمت ببعض العبادات ، ولكن هل كانت مستوفية لشروط قبولها ؟ كيف أطمئن إلى أنّ صلاتي وصومي كانا خالصين ولم يكن فيهما ما يمنع من قبولهما ؟ ، إلاّ أنني ما أن أردت أن أيأس حتى أيقظني نداء **﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾** فقلت لنفسي : على ما ترى في نفسك من عدم وجود الإيمان ومقامات المؤمنين ولكنك على الأقل من أمّة محمد (ص) ومن شيعة علي (ع) ومحبّي أهل البيت .

لا أرى علامات شيعة علي في نفسي

ثم انتبهت إلى أنّ لشيعة علي صفاء ونقاء لا أجده في نفسي ، ألم تسمعوا بأنّ جماعة ذهبوا لزيارة الإمام علي فقال من أنتم ؟ أجابوا : نحن شيعتك ، فقال لا أرى آثار شيعتي على ملامحكم ، فقالوا وما علامات شيعتك ؟ قال صفر

---

(٨١) آل عمران : ٢٠٠

(٨٢) النساء : ٦٥

الوجوه من السهر عمش العيون من البكاء حدب الظهور من القيام ، عليهم غبرة الخاشعين .

إنّ شيعة علي قوامون بالليل صوّامون بالنهار ، وأحسن ما عَرّف بهم خطبة الهمام في نهج البلاغة ، فكيف أبشر نفسي بأنني من شيعة علي ؟

الحسين سفينة النجاة

ومرة أخرى اكتنفني اليأس فكنت أئن يائساً ماذا أفعل ؟ وفجأة توهج بصيص من الرحمة ، ووجهت قلبي إلى باب أوسع وشروطها أقل وأملها أكبر ، يمكن أن أفرح بها قلبي وهي باب الحسين ، حيث إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة طبقاً للأحاديث الواردة عن جدّه العظيم ، ومع أنّ جميع أهل البيت كذلك أيضاً إلاّ أنّ باب الحسين أوسع ، ان من الصعب أن تكون من شيعة علي حقّاً ، انّه مقام شامخ يحتاج إلى عناء كبير ، بينما الحزن على الحسين والبكاء عليه سهل ولا يحتاج إلى شروط كثيرة ، فرقة القلب وانكساره كافيان لذا دخلت من باب الحسين .

علامات الايمان بباب الحسين

يقول الشيخ الشوشتري ـ وهو رجل عظيم قضى عمراً في عالم الروحانية بالتقوى والعمل ـ : عندما يئستُ من شروط ومستلزمات الإيمان كنت أذكر الحسين فيتجدد أملي ، فهو يطمئنني على الرغم من أنني لا أجد في نفسي شيئاً من لوازم الإيمان كصفات الصبر والتوكل والشكر والرضا والتسليم والخوف والرجاء ، لكني ـ ولله الحمد ـ عندما أدخل من باب الحسين أجد فيّ علامات تزيد أملي بأنّ الإيمان موجود فيّ ، وهناك رواية رواها أبو عبد الله نفسه قال فيها : « أنا قتيل العبرة ما ذكرت عند مؤمن إلاّ استعبر » وأنا أجد أنّ اسم الحسين ما أن يذكر حتى ينكسر قلبي ويسيل دمعي ، فيصبح واضحاً أنني ـ بحمد الله ـ مؤمن .

وهناك رواية أخرى تقول : « شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا » ، فعندما يظهر هلال المحرَّم تأتي أيام حزن آل محمد ، وأنا أيضاً أكون حزيناً وبذلك يتضح أنّ لديَّ شيئاً من الارتباط الروحي الموجود بين أهل البيت وشيعتهم .

المظالم وحقوق الناس تيئسني

ومن جملة ما قاله الشيخ : طوقني الهمّ وأنا أفكر : إذا استطعت العبور من ناحيتي الإيمان والعمل فما أنا فاعل بالمظالم وحقوق الناس ؟ حق العِرض والمال الذي نحن حقاً لا نعلم عنه شيئاً ، وعلى سبيل المثال أقول إنّه ضمن تفسير الآية الشريفة ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلّا من ظلم** ﴾[٨٣] فقد ورد في الخبر أنّ « مَن ظلم » يعني مثلاً الضيف الذي دخل بيتاً ثم إنّ صاحب البيت أهانه .

والحقوق ليست منحصرة بأكل مال الغير ، فكم من الحقوق أضعنا بدون أن نشعر : حقوق الأم والأب والأخ والأخت والجار والصديق والأستاذ . . .

يقول الشيخ إنّ تفكيري بالمظالم يجعلني أشعر باليأس ، فغداً عندما يأتي أصحاب الحقوق يوم القيامة فيؤخذ من حسنات الإنسان ويُعطى للطرف الآخر بمقدار حقّه ، سأفلس أنا حينذاك ، أنا البائس الذي لا يملك إلّا القليل من الحسنات ، لكن قلبي سعيد بأنّ في التوسل بالحسين ثواباً عظيماً ، بحيث لو أمسك بي أصحاب الحقوق من كل جانب لأعطيتهم حقوقهم وبقي لي فيها شيء أيضاً .

ثواب حج وعمرة النبي لزائر الحسين

روي أنّ خاتم الأنبياء (ص) كان في منزل عائشة فجاء الحسين فحاولت عائشة منعه فنهاها رسول الله ، إلى أن وصل الحديث بالرسول أن ذكر لها مصير

---

(٨٣) النساء : ١٤٨ .

الحسين ومقام زائره قائلاً : « إنّ الحسين سيقتل في كربـلاء ويدفن فيهـا ، وكل من زاره لـه ثـواب حجي وعمـرتي ، فعجبت عـائشـة وقـالت : ثـواب حجّـك وعمـرتك ؟ فـأجـاب : ثـواب حجتين وعمـرتين من حجّي وعمـرتي ، وعنـدمـا أظهرت عائشـة تعجبها للمـرة الثانيـة قال الـرسول : ثـواب ثلاث حجـج وثلاث عمـرات من حجي وعمرتي ، وهكـذا ظل (ص) يـزيد فيهـا حتى وصلت ـ كمـا تقـول الروايـة ـ إلى تسعين حجـة وعمـرة من حـج وعمـرة الـرسـول لـزائـر قبـر الحسين ، وبـالطبـع فإنّ أجـر حجة إلى تسعين يتبـع حال ومعـرفـة ومحبـة زائـر الحسين بأي نية اتّجه إلى قبر الحسين ؟ وثواب عظيم كهذا لزائـر الحسين يجعل قلبي مسروراً .

أثر زيارة الحسين في زيادة الايمان

إنّ لزيارة الحسين أثر كبير في زيادة الإيمان ، ويظل النور الذي يصيبه من جراءها ثابتاً حتى سنة من الزمان كما يقول مضمون الرواية ، لذلك أمـر أن يزور الإنسان قبر الحسين مرة في السنة على الأقـل ، أمّا أهـالي المدن النـائية فينبغي أن يزوروا كل ثلاث سنوات مرة على الأقل ليجددوا العهد ويقووا إيمانهم ، وقـد عمل بعض العلماء الأخباريين بظاهر هذه الروايات ، فأوجبوا الزيارة مرة كل سنة أو كل ثلاث سنوات .

مقام زائر الحسين في القيامة

روي أنّه يقال لزائر الحسين يـوم القيامـة : اشفع لعشـرة أشخاص ، وفي روايـة أخـرى : أُدخـلِ الجنـةَ من شئت ، وبـطبيعـة الحـال فـإنّ ذلـك يختلف باختلاف مراتب الإيمان والمحبة ومعرفة الزائرين ، فبعضهم لا يستطيع الشفاعـة لأكثر من عشرة أشخاص وبعضهم توصلهم أعمالهم إلى منزلـة يقال لهم معهـا : ادخلوا في الجنة من تشاؤون .

يقول الشيخ أنا الذي أصبحت زائـر الحسين ، إن لم يكن باستـطاعتي أن

أصـل تلك المراتب بحيث لا أستـطيـع أن أدخـل ولا واحـداً في الجنـة ، فعلى الأقل أستطيع أن لا أكون أنا من أهل جهنم .

تناوله الطعام مع النبي

وفي روايـة أخرى أنّ من زار قبـر الحسين سيأكـل مـع النبي يـوم القيـامـة ويجلس معه على نفس المائدة .

يقـول الشيخ : أين أنـا من المقام الجليـل للرسـول (ص) ، ولكن إن لم آكـل مع النبي ولم يصلني من طعـام الجنة ، فلن يكـون طعامي على الأقـل من زقوم وحميم جهنم ، أنّ لي هذا الأمل من بركة زيارة قبر الحسين .

ـ ١٩ ـ

خلاصة البحث في الفرق بين الغرور والرجاء هو أن :

الغرور من جهة النفس الأمّارة والجهل الإنساني وهو أن يطمع الإنسان بالجنة والمقامات العليا دون أن يكسب الإيمان أو يقدم العمل الصالح لآخرته ، ويصل بعدها إلى مرتبة أبي ذرّ وسلمان ، فكل من كان عنده رغبة كهذه فإنّ الشيطان قد خدعه .

أمّا الرجاء فهو أن يكون للإنسان أمل بأن يقبل الله عمله البسيط بفضله ويحشره مع الصالحين ، بعد أن يكون قد سعى بمقدار جهده إلى كسب الإيمان وأداء الواجب وترك المحرمات ، عندها لا يكون التوسل بالحسين غروراً بل رجاء .

حقّاً انّ الإنسان ليتملكه اليأس حقّاً حينما يراجع نفسه وأعماله وعقائده ، كما ذكرت ذلك عند شرحي لما قاله الشيخ الشوشتري حيث قلت إنّه لا يرى في نفسه من مستلزمات الإيمان شيئاً كالخضوع والتوكل والرضا والتسليم والخوف والرجاء التي هي علامات الإيمان .

ومن الناحية العملية فإنّ الواجبات التي أداها هل كانت مستوفية للشروط ؟ إلاّ أنّه عندما يسيطر اليأس على الإنسان ، يصحو فجأة ويتذكر الوسائل الحسينية فيشرق الأمل في قلبه .

غيوم الرحمة وبذر الفلاح

لأضرب لكم مثلاً : إنّ المزارع بعد أن حرث الأرض وزرع البذر ونظف الأرض من الشوك ، فإنّه لا يزال يخشى أن لا يأتي الزرع بالثمر المطلوب لقلة الماء ، إلّا أنّه عندما ينزل المطر من غيوم الرحمة ، ترى كم سيزداد الأمل لديه في أن يثمر البذر ببركة ماء الرحمة ذاك ؟

يقبل من المتقين فقط

على الرغم من الأعمال الحسنة للمؤمن ، إلّا أنّه يخاف من عدم قبولها ، ويتساءل : ربما كانت ذنوبي سبباً في أن تردّ هذه الأعمال ، ألم يقل تعالى : ﴿ **إنّما يتقبّل الله من المتقين** ﴾[٨٤] ، لكن ما أن يتملكه اليأس حتى يذكر باب الحسين ، أليست زيارة قبره وإقامة العزاء عليه والإنفاق والإطعام في سبيله وباسمه هو رحمة الله الواسعة ؟ فيا أيّها الذين تخافون ذنوبكم ، اعلموا أنّ الله يرحم الباكين على الحسين ، فلتكونوا على أمل بلطف الله .

كلمة حق يراد بها باطل

يقول بعض الجاهلين كلاماً في التوسل بأبي عبد الله ويرفقونه بعبارات براقة ، فمثلاً يقولون : أي فائدة في البكاء وضرب الصدور ؟ ينبغي عليكم أن تبحثوا عن الهدف الذي ضحّى الحسين لأجله وتدركوه ، وهم باستخدامهم هذه العبارة : ابحثوا عن هدف الحسين ، ينكرون التوسل بالحسين .

والجواب على ذلك : هل يمكن لمؤمن يؤمن بالله ورسوله أن لا يحزن عندما تحلّ أيام عاشوراء الحسين ؟ ، إنّ في إيمان كل من لا يحزن شكّ ، إذ ذكرنا فيما مضى أنّ من مستلزمات الإيمان برسول الله حبّ أهل بيت النبوة ، ومن يحبّ أهل البيت لا يمكن أن تكون أيام عاشوراء له مثل سائر الأيام ، وورد في مسند أحمد بن حنبل إمام السنّة أنّ رسول الله (ص) قال : « لا يؤمن عبد الله

---

(٨٤) المائدة : ٢٧ .

حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده ، وتكون عترتي أحبّ إليه من عترته » .

كيف يكون أولاد الحسين أعزّ من أولاده ، ومع ذلك عندما يستحضر واقعة كربلاء لا يحزن ؟ إنّه إذن كاذب ، وكيف يكون أولاد الحسين أحبّ إليه ؟ لو كان ارتباطه بالحسين أقل مما قيل لأصابه الحزن حتماً .

الرسول والحزن على الحسين

قال عزّ وجلّ : ﴿ ولكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[٨٥] أي يجب أن تتبعوا الرسول وعمله سنّة للجميع يجب على المسلمين أن يقتدوا بها ، وقد أقام رسول الله مراسم عزاء للحسين عدّة مرّات حتى وردت فيه روايات متعددة عن طريق أهل السنّة ، يمكن مراجعتها في كتاب « سيرتنا » للمرحوم العلاّمة الأميني ، كان من ضمنها عدّة مجالس في بيت عائشة وبيت أم سلمة ، ومجالس أخرى في المسجد ، وكان بعضها أثناء السفر ، وقد نقلت كل تلك الروايات عن أسانيد العامة ، وكان أئمتنا أيضاً يجعلون أيّام عاشوراء (ذكرى مقتل الحسين) أيام حزنهم وهمهم ، لذا ينبغي أن يكون شيعتهم كذلك .

الايمان والتقوى هدف الحسين

أمّا ما يتعلق بهدف الحسين فهذا ما يجب إدراكه ، فهدفه (ع) كان الإيمان والتقوى ، فقد قال (ع) خرجت لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، كان هدفه ترك المعاصي ، والتخلّي عن حبّ الدنيا والاستعاضة عنه بحبّ الآخرة ، وترك الشهوات وعبادتها والتحول إلى حب الله وعبادته ، هدفه هو عدم الرضوخ للظلم وعدم اتّباع الطغاة والمتجبرين وأن يتبع الحق وأمر الله .

وبطبيعة الحال فإنّ من واجب الجميع أن يبحثوا عن هدف الحسين ويتبعوه ، وليس أن ينكر بجمل منمقة فضيلة البكاء على الحسين وإقامة مراسم العزاء والإنفاق في سبيلها ، وبوصف الروايات الواردة بغفران ذنوب زائر

---

(٨٥) الأحزاب : ٢١ .

الحسين أو مقيم العزاء عليه بأنها مستبعدة أو ينكرون أصلها كما تحدثنا سابقا عن الغرور والرجاء والفرق بينهما وقلنا أنّ الوسائل الحسينية مدعاة للرجاء لا الغرور .

الشفاعة أيضاً مدعاة للأمل لا الغرور

ما من شك في أنّ الشفاعة جزء من المذهب ومن مستلزمات الإسلام ، وقد ذكرت بنص القرآن ، ووردت حولها روايات متواترة ، إلاّ أنّ بعض الجهلة وبسبب ضيق الإدراك لديهم لا يتقبلون ذلك ، ويقولون أنّه إن كانت هناك شفاعة فليعمل كل على شاكلته على أمل أن يشفع له يوم القيامة .

ونجيب على ذلك متسائلين ترى هل أنّ الوصف الذي قلتموه عن الشفاعة ينطبق عليها لكي يختلط الأمر هكذا ؟ أم أنّ لها معنى آخر ؟ ومن قال إنّ أي شخص بإمكانه أن يفعل ما يشاء ثم تسعفه الشفاعة بعد ذلك ؟ .

والحقيقة أنّه لم يقل أحد ذلك ، بل أنّ الشفاعة خصصت لخلاص البعض .

الشفاعة لا تنال الكافر وتارك الصلاة والبخيل

قال تعالى : **﴿ ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم نكُ من المصلين ولم نكُ نطعم المسكين وكنّا نكذب بيوم الدين وكنّا نخوض مع الخائضين حتى أتانا اليقين ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾**(٨٦) .

كما لا تنال شفاعة النبي والأئمة وبقية الشافعين من أنكر القيامة وتارك الصلاة والزكاة ، كيف يكون تارك الصلاة موضع شفاعة في حين أنّ الرواية المشهورة عن الإمام الصادق أنّه قال وهو على فراش المرض الذي فيه « لا تنال شفاعتنا من استخفّ بصلاته » ، فكيف بمن ترك صلاته أصلاً ؟ .

---

(٨٦) المدثّر : ٤٣ ـ ٥٠ .

أم كيف تبلغ الشفاعة البخيل الذي يمسك ماله عن الإنفاق في سبيل الله ويخشى أن يقلّ ماله ولا شأن له بالتعامل مع الله ؟ أو ذلك الجاهل الذي يكفر مثلاً ، ولماذا يستحق الشفاعة ؟ .

موضع الشفاعة مجمل

المفهوم من الآيات الشريفة هو أنّ الشفاعة يمكن أن تنال من غادر الدنيا ولم يترك الصلاة أو الزكاة فيمكن حينئذٍ للشفاعة أن تنال ذنوبهم ، ولكن أي نوع من الذنوب ؟ إنّ القرآن لم يذكر ذلك .

الحديث النبوي الشهير يقول : « أدخرت شفاعتي لأصحاب الكبائر من أمّتي ، وأمّا المحسنين فما عليهم من سبيل » وهذه الرواية مجملة إذ قالت « صاحب الذنوب الكبيرة » ولكن كم ذنباً ؟ واحداً أم مئة ؟ لا نعلم ، أي قسم من الذنوب هو المقصود ؟ هل الموبقات أي الكبائر المهلكة وهي سبعة ذنوب كبيرة أم لا ؟ لذا لا ينبغي للإنسان أن يغترّ ، فالشفاعة إنّما وجدت لأجل الأمل ولإخراج الإنسان من اليأس ، فهي مثلاً لذلك الذي تاب وسعى في العمل الصالح ومع ذلك فهو خائف ، فما أن يوشك اليأس أن يتملكه حتى يتنبه إلى شفاعة النبي والأئمة فيقول : « يا أبا عبد الله ، يا وجيهاً عند الله ، اشفع لنا عند الله » ، وعلى هذا الأساس فإنّ الأمل بالشفاعة من غير توبة ومحاولة تلافي ذلك بالعمل الصالح غرور وليس رجاءً ، وما من شك في أنّ الغرور من الشيطان ومن جهل النفس ، وهناك ذنوب لا تغفر بمجرد الاستغفار بل لا بدّ لها علاوة على أداء الحق أن يجلو نفسه دائماً منها وأن يتجنبها ، وأن يعوّض ما فاته ، وبعد التوبة والاستغفار يحقّ له أن يأمل في الشفاعة التي تخلص الإنسان من اليأس ، ولتدعيم قولي سأذكركم بحديث معاذ الذي ورد في تفسير الصافي وسائر الكتب المعتبرة :

الشاب المذنب والاستعداد لرحمة الله

وخلاصة هذا الحديث الشريف أنّ معاذاً قال تشرفت يوماً بزيارة

النبي (ص) فشاهدت شاباً يقف باكياً فسألته ما بك ؟ قال أنا مذنب ، قلت تعال إلى رسول الله ليستغفر لك وسيرحمك الله ﴿ **ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً** ﴾[٨٧] فقال : أنا خجل ، فذهب معاذ إلى رسول الله وقصّ عليه خبر الشاب فقال الرسول إئتني به ، فجاءه به فسأله الرسول : ما الذي جعلك ترتعد باكياً ؟ أجاب : ذنبي كبير ، فسأله (ص) أذنبك أكبر أم العرش ؟ أجاب ذنبي أكبر ، فسأله الرسول أذنبك أكبر أم عفو الله ؟ قال : عفو الله ، فقال الرسول : ماذا كان ذنبك ؟ قال : ماتت فتاة من الأنصار وفتحت قبرها طمعاً في كفنها ، فلما أخذت كفنها رأيت جسدها العاري فسوّلت لي نفسي مجامعتها ، فجامعتها وعندما أردت مغادرتها سمعت أنةً من الميتة أعقبتها بقولها : أحرقك الله بناره لقد جعلتني مُجنبة ، ومنذ أن سمعت ذلك النداء والنار تتأجج بين جوانحي ، وأنا أحترق وأذوب ونادم وباكٍ ، فقال الرسول ابتعد عنّي كي لا أحترق أنا بنارك .

لماذا قال الرسول هذا ؟ لأنّ ذنبه عظيم جدّاً ويحتاج إلى احتراق وذوبان واستغفار وعمل صالح كثير حتى تطهر تلك البقعة من الذنب .

وطبقاً لما قالته الرواية فقد هام ذلك الشاب على وجهه وقضى أربعين يوماً بلياليها في جبال تقع في أطراف المدينة يئن ويضجّ حتى أنّه قال في ختام الأربعين يوماً : إلهي إن قبلت توبتي فأبلغ نبيّك كي يبشّرني وإن لم تقبلها فابعث بنار تحرقني .

فنزل كلام الله على النبي بما مضمونه أنّ الله قد قبل توبة الشاب ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ، ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربّهم وجنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين** ﴾[٨٨] ، فسأل الرسول عن ذلك الشاب فقيل له أنّه في الجبل الفلاني

---

(٨٧) النساء : ٦٤ .

(٨٨) آل عمران : ١٣٥ ـ ١٣٦ .

مشغول بالاستغفار والتوبة وتلافي ما بدر منه ، فجاءه الرسول بنفسه وبشّره بقبول توبته ، ولقد أردت من ذكري لهذه القصة أن أنبهكم إلى أنّ أربعين يوماً بلياليها من البكاء والأنين كانت تلزم لمحو ذلك الذنب فلا تتصوروا أنّكم بقولكم « أستغفر الله » مرة واحدة ستمحى جميع ذنوبكم .

قبول التوبة ببركة الوسائل الحسينية

نحن نقرأ في دعاء التوبة من الصحيفة السجادية : اجعل توبتي هذه توبة موجبة لمحو ما سلف ، وعلى هذا فإنّ الإنسان حتى عندما يتوب توبة نصوحاً يظلّ قلبه مضطرباً ، فإذا وصل مرحلة الاستسلام لليأس تذكر الرحمة الإلهية : الحسين ، وتذكر أنّه وعد في الروايات كل من تألم قلبه على الحسين فسيرحمه الله ببركة الحسين ، لذلك فهو يدخل من باب أبي عبد الله والتوسل به ، وهذا هو معنى الرجاء وليس معناه أنّ تمحى جميع ذنوب أي إنسان بكى على الحسين حتى الذنوب الكبيرة ولو كان فيها حق الناس ، ولذا فقد جاء في بعض تلك الروايات « إلاّ الكبائر » .

ثم يرد سؤال : ترى هل المقصود كل أنواع الذنوب أم بعضها ؟ بعضهم احتملوا أن المراد هو الذنوب القلبية والسيئات النفسانية تمحى ببركة هذا القسم من المستحبات .

وعلى هذا وكما أنّ وعد الله بالمغفرة هو مقدمة التوبة حيث إنّ الآية ﴿ **إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾ هي تشجيع على ﴿ **أنيبوا إلى ربّكم** ﴾ ، ثم وعد بعدها بالشفاعة وغفران الذنوب ، فالتوسلات الحسينية مدعاة إلى الأمل حيث لا يقول الإنسان أنّ وضعي سيء وذنوبي كثيرة فأنا من أهل جهنم ، فليعلم أنّ الله سيشمله برحمته وببركة التوسل بالحسين سيزداد أمله .

وكل رواية استشففت منها الغرور أو جعلتك مغروراً فإنّك أخطأت في فهمها ، لقد سوّلت لك نفسك وخدعك الشيطان وإلاّ فإنّ الإمام لا يمكن أبداً أن يدعو إلى الغرور أو أن يأمر به .

الحزن في عاشوراء علامة الايمان

كما ذكرنا في شرح ما كتبه الشيخ الشوشتري في بداية الخصائص أنّ شيخاً بهذه العظمة يشك في إيمانه إلاّ أنّه يمنع شكه بالوسائل الحسينية فيقول : أكون منكسراً حزيناً في أيّام عاشوراء ، إذن فأنا بحمد الله مؤمن ولي اتّصال بصاحب الزمان ، إنّ أيام عاشوراء التي يفرح بها أعداء أهل البيت ويحتفلون بها ، بل أنّ بعضهم يقيم مجالس عقد القران والزواج عمداً في هذه الأيام ، فكما أنّ تلك علامات ودلالات على كفرهم ، فإنّ القلوب التي أحرقتها ذكرى تلك الأيام وأذابتها واقعة عاشوراء هي أيضاً دلالة على إيمان هؤلاء .

روي أنّ أحدهم سأل الإمام (ع) هل يمكن أن أحزن أحياناً بدون سابقة أو سبب ؟ فأجابه : متى ما حزنا فإنّ محبينا يحزنون أيضاً ، أي أنّ هذه الآثار تظهر نتيجة الاتّصال بين الإمام ومحبّي أهل البيت .

مجاورة الحسين أفضل من الجنّة

إن كان الإنسان مهموماً يرتجف لكثرة ذنوبه ولا يعلم إن كانت توبته ستقبل أم لا ، فليتذكر أنّ الرسول (ص) وعد زوّار قبر الحسين ومقيمي العزاء والمآتم أن لا يتخلى عنهم وأن يغيثهم في الوحشة والظلمة ، وفي صحراء المحشر حين يكون كل إنسان مشغولاً بنفسه ، يكون عدد من الناس مع الحسين تحت ظل عرش الرحمة ويأنسون بمجالسة الحسين ويشعرون باللذّة لدرجة أنّ الحور العين ينادونهم : نحن بانتظاركم لماذا لا تأتون ؟ فيجيبون نحن نفضل مجالسة الحسين على مصاحبتكم .

وكما يقول الشيخ الشوشتري فإذا لم نكن بهذا القدر الذي يسمح لنا أن نكون في أول المحشر قرب الحسين وتحت ظل العرش ، فلنا أمل أن لا نسقط في ظلمة جهنم وهاويتها إذ سينقذنا النبي (ص) .

الانكسار عمل خالص

يقول الشيخ : أغرق أحياناً في التفكير بأعمالي ؟ هل عندي عمل خالص ؟ من أين للإنسان أن يعلم ؟ انّه يتصور عمله خالصاً بينما تكون نفسه راضية فمرّة يعمل عملاً ممتازاً ممدوحاً وأخرى يعمل عملاً ثم يتظاهر به ويبينه ثم ينتفع به إنسان آخر ، وغداً في القيامة لا يقبل سوى العمل الخالص ، هل عندك عمل خالص في حياتك يمكنك الاعتماد عليه ؟ يقول الشيخ : إنّ العمل الذي لا شكّ في خلوصه هو الانكسار والحزن على الحسين ، فليس هناك من رياء أو عجْب ، إنّه عالم المحبة المرتبط بالباطن ، لذا فإن كان الله يغفر الذنوب ببركة الحسين فيمكن أن يكون الإنسان آملاً بالرحمة والغفران بعزائه وحزنه على الحسين لا بصلاته وصومه .

أفضل الأعمال الحزن القلبي

إنّ القيامة هي ميزان الثواب والعقاب ، ويمكن القول إنّ أحسن الأعمال هو الانكسار القلبي على الحسين ، إذ أنّ الميزان هو في نية العمل « إنّما الأعمال بالنيّات » وفي هذا العمل ـ أي الانكسار ـ لا يوجد حتى قصد الثواب ، فأحياناً يجبر الإنسان نفسه على البكاء طلباً للثواب ، ولا يمكن أن يكون مرتبطاً بأي شكل بغرض نفساني فمثلاً امرأة فقدت ابناً شابّاً فليس هناك من غرض نفساني يدعوها إلى البكاء والحزن ، بل إنّ عاطفة الأمومة هي التي دعتها إلى ذلك ، وكذلك مصيبة الحسين ، فحينما تحرق قلبك وتحزنك فليس من سبب لذلك سوى الحب والارتباط به ، ليس عجيباً إذن أن نجد هذه الآثار العظيمة لعمل خالص كهذا .

خطبة شهر رمضان وفضائله

يُسْتَفادُ مِنْ الأحاديثِ الواردةِ أنّ عادةَ الرسُولِ الأكرمِ والأئمةِ الأطهارِ ـ عليهِم السلام ـ كانتْ أنَّهُم يتفضَّلُون بإعلانٍ عامٍّ واستعدادٍ لِشهرِ رمضانَ المبارَك في أُخْرَياتِ شعبانَ وخصوصاً في آخِر جُمعةٍ منه ضِمْنَ خُطْبَةٍ تُخْطَبُ أنِ آستعِدُّوا لِضِيافةِ اللّهِ ، لِيَفْهَمَ الناسُ أيَّ نِعْمةٍ تنتظِرُهُمْ .

وهذا الشهرُ مُبارَك وعزيز حتى إنَّهُ نُهِيَ في الرواياتِ عَنْ ذِكْرِهِ دُونَ أنْ تُضافَ إليهِ كلمةُ (شهر) ، فعنِ الإمام الباقِرِ ـ عليه السلام ـ أنَّهُ قال : « لا تقولوا جاءَ رَمضانُ ولا ذهبَ رَمَضان » . فاللّهُ قال « شَهرُ رمضان » وأنتم أيضاً قُولوا شهرُ رمضان .

شفاعة الشهر المبارك في القيامة

لِهذا الشهرِ المُبارَك أسامٍ كثيرة تُناهزُ مئةَ اسمٍ كما يُسْتفادُ مِن الأدعيةِ الواردةِ في هذا الشهرِ ، ومنها شهرُ التوبةِ ، شهرُ الولايةِ ، شهرٌ تُمحا فيهِ السيِّئاتُ .

غير أنَّ أعظمها وأهمَّها هو (شَهْرُ الله) .

والله ـ تعالى ـ نسبَ هذِهِ القِطعةَ مِنَ الزمانِ إلَىٰ نَفْسِهِ ، وتفضَّلَ بإضافتِها إلَيهِ تشريفاً لها ، في الروايةِ أنّ الكعبةَ المعظَّمةَ إذا حُشِرَتْ يومَ القِيامَةِ جاءَها سبعُ مئةِ ألفِ مَلَكٍ بسلاسل ذَهَبٍ، وفي ذلك الوَقْتِ يُؤْذَنُ للكعبةِ أنْ تشفعَ لِمَنْ قد كَانَ زارَها .

وهكـذا شهرُ رمضـانَ المُبارَك يـومَ القيامـةِ أبهىٰ تصويـرٍ ، وَيَشفعُ لِأَهْلِهِ أي : لِمَنْ رَعىٰ حُرْمَتَه .

وتَهَيُّؤاً لِدخولِ هذا الشهرِ العزيزِ ورعـايةً لاحتِـرامِهِ رَأَينـا أَنْ تُبْحَثَ خُطْبَـةُ رسُولِ آللَّهِ ـ صلَّىٰ آللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ الشعبانيَّةُ الخاصَّةُ بشَهْرِ رَمضـانَ المُبارَك في عِدَّةِ ليالٍ .

شهر الله والرحمة والعفو

روى الشيـخ الصدوقُ في الأمـاليّ بِسَنَدٍ مُتَّصِـلٍ أَنَّ خاتَمَ الأنبيـاءِ محمَّداً ـ صلَّىٰ آللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ ـ وقفَ يـومَ الجُمعـةِ الأخيـرةِ من شعبـانَ وخَـطَبَ هـذهِ الخُطْبَةَ : « أيُّها الناسُ قد أقبلَ إليكم شهرُ الله بالبركةِ والرَّحمةِ والمغفِرَةِ » .

ولا تَعْبيرَ عَنْ شهرِ رَمَضَانَ أَسْمَىٰ مِن (شَهْرِ آللَّهِ) .

إنَّـه لِقطعـةٌ مِنَ الزمـانِ المُسْتَقْبلِ منسـوبةٌ لِمُبـدِعِ العالَمِ ، فَتـوبُـوا إلَيـهِ ـ تعـالى ـ واغتَسِلُوا وتطهَّـرُوا ورِدُوا هذا الشَّهْـرَ الكريمَ طـاهِرينَ ، فهـذا الشهـرُ الآتي يُقْبِلُ بالبَركةِ التي هِيَ الزِّيادةُ والنماءُ .

الحَبَّـةُ التي يَزْرَعُهـا الزارِعُ في الأَرْضِ تُبـارَكُ ، فيجني مِنها سَبْـعَ حَبَّاتٍ إلىٰ سَبْعِ مِئَةِ حَبَّةٍ .

وشَهْـرُ رَمَضَانَ هـو شَهْرُ البـركةِ ، فَمَن يَقْـرأُ آيةً مِنَ آلقُـرْآنِ فيـهِ كمَنْ خَتَمَ القُرْآنَ في سائرِ الأَشْهُرِ .

وَمَنْ صلَّىٰ فِيـهِ ركعتي نافِلةٍ كـانَ كمن صَلَّىٰ رُكْعتَي صلاةٍ واجِبَـةٍ في بَقِيَّةِ آلأَشْهُرِ .

ويَرْتَفِعُ آلإنفاقُ فيهِ مِن سبعينَ ضِعْفاً إلى ألفِ ضِعْفٍ بالإضافةِ إلىٰ غيرِهِ مِنَ الأشهر .

فهو مُفْعَمٌ بالبركةِ إلىٰ حَدٍّ يَغْدُو فِيهِ نومُكم عِبادةً أيضاً .

وهو يأتي بالرحمةِ والمَغْفِرَةِ حَتَّىٰ إنَّ البابَ لَيُفْتَحَ لِلجميعِ فهذا معنى قـوله

ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ شَهْرٌ هو عِنْدَ الله أفضلُ الشُّهُورِ ، ولَيالِيهِ أَفْضَلُ الليـالي ، وأَيَّامُهُ أَفْضَلُ ٱلْأَيَّام » .

ليلة القَدر في شهر رمضان

ليلةُ القَدْرِ التي في هذا الشهرِ تَعْدِلُ أَلْفَ شَهْرٍ ، بل تَفْضُلُهـا بِشهادةِ ٱلآيـةِ المُبارَكَةِ (ليلةُ القَدْرِ التي هِيَ خيرٌ مِن أَلفِ شهر) .

ويُستفـادُ مِن آيتينِ في القرآنِ الكـريم أَنَّ ليلةَ القَدْرِ هي في شهـرِ رمضـانَ المبارَك ، ففي سورةِ حم الدخانِ قالَ تعالى : ﴿ إِنَّا أنزلناهُ في ليلةٍ مُباركةٍ إنَّا كُنَّا مُنْزِلينَ ﴾ .

وفي موقع آخرَ قال سُبحانه : ﴿ شهر رمضانَ الذي أُنْزِلَ فيهِ القُرآن ﴾ .

فَعُلِمَ أَنَّ ليلةَ القَـدْرِ التي أُنْزِل فيهـا القرآنُ الكـريمُ هي في شَهْـرِ رمضـانَ المُبارَكْ الذي عَبَّرتْ عَنْهُ رِوَاياتٌ بسَيِّدِ الشهور .

الدعوة إلى ضيافة الله

(وهو شَهْرٌ دُعِيتُمْ فيهِ إلى ضِيافةِ الله وجُعِلْتُمْ مِنْ أَهْلِ كرامةِ الله) .

رَسُولُ الله الذي هو داعي ربِّ العالَمِين دَعاكم أَنْتُمُ الذينَ فَرَرْتُم أَحَدَ عَشَرَ شهراً ، وابتعدتُم عنِ الله أَنْ هَلُمُّوا لِتحظَوا بِضِيافةِ ربِّ العالمينَ شهرا .

انظروا تعبير (ضيـافةِ الله) الـذي يعني الألطافَ الخـاصَّةَ بـأَهْلِ الْإِيمـانِ وهي فَرْعٌ مِن الرحمةِ الرَّحيميَّةِ .

وإلّا فَرِزْقُ الله ـ تعالى ـ غيرُ مُختصٍّ بِشَهْرِ رَمَضَانَ المبارك ، ولا بِمَحْصُورٍ بِمُسْلِمٍ دونَ كافِرٍ ، ولا يتقدَّمُ فيهِ إِنْسانٌ على حيوان .

فالألطافُ خاصَّةٌ بِمَنْ تَكونُ لَهُ ٱلْمَلاَئِكَةُ خَدَماً .

أَمَّا مَنْ كانَ إنسـاناً في الـظاهِرِ وذئباً مُفْتَرِسـاً في الباطِنِ ، فـلا يَسْتفِيدُ مِنْ بركاتِ هذا الشَّهْرِ المِعطاءِ .

قَصيدِي أَنَّهُ لا يَتَسنَّى لكُلِّ إنسانٍ أَنْ يكونَ ضيفاً لله سُبحانه وتعالى .

لذة الأنس بذكر الله

من الضيافاتِ الإلهيَّةِ الأُنْسُ بِذِكْرِ الله - تعالى - فالمُؤْمِنُ يأْنَسُ بِرَبِّ العالَمين وَيَلْتَذُّ بذكْرِهِ ٱلْمُقَدَّسِ حتَّىٰ إنَّ اللذائذَ الدُّنْيَويَّةَ لا تَخطِرُ ببالِهِ .

وفيما يُروَىٰ أنَّ مُوسى بنَ عِمرانَ - عليه السلام - لم تَبُلَّ رِيقَه قَطْرَةُ ماءٍ ، ولا تَناوَلَ لُقْمَةً واحِدَةً طَوالَ ٱلْأَرْبَعِينَ يوماً التي ذَهَب فيها لِلمُناجاةِ في جَبَلِ الطُّورِ ، إذْ كانَ أُنْسُ مُكالَمتِهِ مُبْدِعَ ٱلْعَالَمِ غِذاءَ رُوحِهِ وجِسْمِهِ .

وفي غيرِ هذا الشهرِ المُبارَكِ تَقِلُّ هذِه اللذَّةُ وأُنْسُ الذكْرِ ، لأنَّ رِقَّةَ القَلْبِ في سائرِ الشُّهورِ أَقَلُّ مِمَّا هِيَ عليهِ في شهرِ رَمضانَ الذي مِنْ بركاتِه كثرةُ قُرْب الإِنسانِ مِن رَبِّهِ - جَلَّ وعلا - واستِطاعَتِهِ ٱلْأُنسَ بِذِكْرِه سُبحانه .

فأينَ أبناءُ الدُّنيا الذِينَ يَتخيَّلونَ اللذَّةَ في الجاهِ والمَقامِ ، وَجَمْعِ المالِ ، وَٱلْإِنْسِياقِ وراءَ الشهواتِ عَنْ مَغانِمِ سَيِّدِ الشهور ؟ .

فهذا زينُ العابدين - عليه السلام - : رَبَّاهُ مَنْ ذا يذوقُ حلاوةَ ذِكْرِكَ ، وَمَنْ لَم يَنَلْ مِن اللذائذِ ٱلْأُخْرَويَّةِ شيئاً يَأْسِرُهُ حُطامُ الدُّنيا .

ضيافات خالق العالم

ضِيافةُ الله عظِيمةٌ عَظَمَته هو سُبحانه وتَعَالى .

فكيف يُضِيفُ العَظِيمُ ضَيْفاً دَعاهُ هُوَ إِلَيْهِ ؟

لا رَيْبَ في أَنَّهُ يَفعَلُ ما هُوَ بِهِ جَدِيرٌ مِنْ السَّخاءِ وٱلْإِحْسانِ .

وإِكْرامُ مُبْدِعِ العالَمِ الذي هو مِلِكُ المُلوكُ وربُّ العالمين هو أَنْ يُيَسِّرَ للْإِنْسانِ كُلَّ أَمرٍ عظيمٍ حتَّى ما كانَ على قَدْرِ ذِكْرِهِ العَزِيزِ الجليلِ سُبحانَهُ .

وقوله - عليه الصلاةُ والسلام - : « وأنفاسُكم فيه تسبيح » يعني أنَّ النَّفَسَ المُترَدِّدَ في صدوركم يُسجَّل في كتابِ الأعمالِ ثوابَ تسبيح ، لأنَّ ضيفَ الخالِقِ مُكْرَمٌ حتَّىٰ نَفَسُه .

وخطر لي لو أنَّ إنساناً استضافَ الشيطانَ في هذا الشهر ، لكانَ كُلُّ نَفَسٍ مِنْ أنفاسِهِ يَنْحَدِرُ في هُوَّةِ الشقاوةِ .

وبِصَدَدِ جملةِ (أنفاسُكم فيه تسبيح) قالَ الشيخ الشوشتري في مَواعِظهِ : إنَّ التَنَفُّسَ الاعتِيادِيَّ يُناهِزُ ٣١٦٠٠ مَرَّة في اليَوم .

ولو صُرِفَ النظرُ عن الذكرِ والدعاءِ والصلاةِ وقراءةِ القُرآنِ في كُلِّ ليلةٍ ونهارٍ مِن الشهرِ المُبارَك لثبتَ للإنْسانِ ذلِكَ العَدَدُ الهائلُ في سِجِلِّ الأعمالِ ثواباً باقِياً .

فما أعْظَمَ غَنِيمَتَهُ وما تمتلِىءُ مِنهُ يَدُهُ إذا كان ضيفَ الله ـ تعالى ـ وجَعَلَ النَفْسَ وهَواهَا ٱلْمُهلِكَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ! .

ما كان الاثم ضيفَ الله

الشقيُّ مَنْ يَنْأَىٰ عَنْ داعِي هذا الكَرَمِ ومضافتِه ، ولا يُريدُ غيرَ شهواتِ الدُّنيا ، وهو الذي أَمَرَ المَوْلَى عِبادَهُ الصالحِين بآجتِنابِه فقال : ﴿ **فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تولَّىٰ عن ذِكرِنا ولم يُرِدْ إلَّا الحياةَ الدُّنيا** ﴾ .

واستفادَ الشيخ مِن هذهِ ٱلآيةِ ٱلْمُبارَكَةِ أَنَّ هذهِ الضيافَةَ السَّخِيَّةَ ليستْ لِمَنْ كانَتِ الدُّنيا كُلَّ هَمِّهِ ، لِأَنَّ الله ـ تعالى ـ بَيَّنَ لِرَسُولِهِ ٱلْأَكْرمِ أَنَّ هذا الوَعْدَ مِنَ الثوابِ الجزيلِ لا ينالُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ الرَّحِيمِ ولم يُرِدْ سِوَى لذائِذِ الدُّنيا العابِرَة .

فهذِهِ الدَّعْوَةُ لِمَنْ لا يَعْصُونَ رَبَّ العَالَمِين ـ سبحانَه ـ ليكونُوا جَدِيرِينَ بِضِيافَتِهِ السَّخِيَّةِ ، ومِنْها :

قبول العمل واستجابة الدعاء

« نومُكم فيه عِبادة ، وعملكم فيه مقبولٌ ودُعاؤكُم فيهِ مُسْتجابٌ » .

فالعَسِيرُ في غيرِ شهرِ رَمضانَ المبارَكْ سَهْلٌ يَسِيرٌ في هذا الشَّهْرِ العَزِيزِ .

وِلِأنَّ هذا الشَّهْرَ شَهْرُ الله ـ تَعَالَىٰ ـ وَضِيَافتِهِ الكريمةِ آحْتَسَبَ نَـوْمَ ضُيُوفِـهِ فيهِ عبادةً وَقَبِلَ عَمَلَهُم مهما كانَ ضَئِيلا ، واستجابَ دُعَاءَهُم .

فمـا تُريـدونَ مِنَ الله ـ تعالَىٰ ـ يتحقَّقُ لكم في هـذا الشهر المُبَارَك ـ لأَنَّهُ شَهْرُ القَبُولِ والاستِجابةِ ـ بِشـرطِ أَنْ تكونُـوا ضُيُوفـاً علىٰ مائـدةِ الخالِقِ الكـريمِ ـ سُبحانَهُ .

وقـد حضرتني كلِمـةٌ حُلْوةٌ للشيخِ الشـوشتري إذْ تفضَّـلَ بأَنَّ دارَ الضيـافةِ الربَّانيَّةِ مُتعدِّدةُ الأبوابِ ، فآسْعَوا إِلَيْها ، فإن كانَ أَحَدُها مُغْلقاً فعليكم بالآخَـرِ ، وهكذا فسيُفَتَحُ لكم بابٌ مِنها .

ومِن تلك الأَبـوابِ بابُ التـوبة ، وبـابُ الإنابـةِ ، وبابُ الـوَرَعِ ، وبابُ التَّقْوىٰ .

ومعنىٰ التوبةِ الرُّجُوعُ ، فإذا رأيتَ حالِكَ قد تَغَيَّرَ ، ونَدِمْتَ علىٰ مـا مضىٰ نَدَماً شَدِيداً وصَمَّمْتَ علىٰ ألّا تَدْنُوَ مِنَ المَعْصِيَةِ ، فآمْضِ إِلَىٰ الأَمـامِ ، وآدْخُل مِن بابِ التوبة .

وإذا رأيتَ أنّك ما تزالُ تعرُجُ ، فأَنِبْ ، وآلإنابةُ هي جُبرانُ ما فاتَك .

تَلافَ ما فعلتَ مِن خِلافٍ قَوِّمْهُ ، فالإنابةُ تعني الإصلاحَ .

فإذا رأيتَ بابَ الـرحمةِ لم ينفتِـحْ لَكَ ، فَتَمَسَّـكْ بِبابِ الـوَرَعِ ، واجتنِبِ المُشْتَبَهَ بِهِ وَآلْمَنْهيَّ عنه حَتَّىٰ المكروهَ عَسَىٰ أَنْ يَنْفتِحَ لكَ بابُ الرحمةِ بِبَرَكَةِ هذا التَّرْك .

الاتكال على رحمة الله

إذا رأيتَ بابَ رحمةِ الله لم ينفتح لك ، فلا تَيْأسْ ، فهذا هُوَ البـابُ الذِي لم ييأَسْ مِنه أَحَد ، حتَّىٰ إنَّ فاضِـلاً مِن الفضلاءِ كـانَ يقول : الشيـطانُ جاءَ مِنْ هذا البابِ أيضاً .

وهـذا البابُ الـذي يَطْمَحُ إلَيهِ البَرُّ والفاجِـرُ ، ويَتطاوَلُ إلَيـهِ الجميعُ هـو الاعتِمادُ على الكرمِ الإلهِيِّ .

أنا وأنتَ لسنا أسـوأ مِن الشيطانِ ، وَمَـعَ ذلك اعتمَـدَ على كَرَمِ الله وطَلَبَ مِنْهُ أنْ يُنْظِرَهُ (يُمْهِلَهُ) إلَىٰ يوم القِيامة .

أنا وأنتَ أيضاً نَقولُ : رَبَّنا إنْ لم نكنْ أهـلاً لِضِيافَتِـكَ ، فَأمَلُنـا أنْ تجعلَنا مِنْ ضُيوفِكَ .

إلى كَرمك ننظر

وتَفَضَّلَ الشيخُ الشوشتري أَنَّـهُ ورد في الشَّرْعِ المُقـدَّسِ أنَّه إذا كُنْتُم على مائدةٍ ، وبِقُـربكم حَيوانٌ عَيْنُـه إلىٰ أيدِيكم وجبَ أنْ تُـطْعِمُوهُ مِمَّـا تأكلون ، وألّا تَحْرِمُوهُ ، فَمكروهٌ أنْ تَرُدُّوهُ دونَ غِذاءٍ ، لِأنَّهُ يَقُـول : إلَهِي أنا أيضـاً نظرتُ لِمـا أعْطَيْتَـهُ لِعِبادِكَ مِن إحْسانِكَ ، فلا تحرمني منه .

وَبَعْــدمَا عـرفتُم أنَّ شَهْرَ رَمضـانَ هو شهـرُ الله ، وأنَّ أنفاسَكُم فيـهِ تسبيحٌ ونومكُم فيهِ عِبـادة ، وَجَبَ أنْ تَطلُبُـوا فيهِ حـاجاتِكُم مِن الله بِلهفـةٍ شَدِيـدةٍ وقَلْبٍ طاهِرٍ كما عَلَّمكُم رسُولُه الأكْرَمُ ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِقولِهِ الهادِي : « فَآسألُوا الله ربَّكُمْ بِنِيَّاتٍ صادِقةٍ ، وقلوبٍ طاهرةٍ أنْ يُوفِّقكُم لِصِيامِهِ وتلاوة كِتابِه » .

النية الصادقة

الكلِمـةُ المُهِمّةُ هنـا هيِ النيَّةُ الصـادقة ، فكـلُّ مُشكِل يسهُـلُ بالـدُّعـاءِ ، فـالشيوخُ والضِعـافُ يصومـونَ شهـرَ رمضـانَ كـامـلاً لِـطَلَبِهِمُ المُخلِصِ من الله ـ تعالى ـ بِنِيَّةٍ صادقةٍ أنْ يُوفِّقَهُمْ لِنِعْمةِ الصيام العظيمةِ ، وسنتناولُ تفصيلَ الدعاءِ فيما بعد .

فما النِّيَّةُ الصَّادِقةُ ؟

هي عبارة عن القَصْدِ الجدّي لِشَيء ، فإذا أرادَ الشيءَ حَقّاً وكانَ مُهِمَّـاً في نَظَرِهِ ، كانَ قَصْدُهُ جادّاً .

أمَّا إذا كانَ ما يُريدُهُ شَيْئاً يَخْتَلِفُ فِيهِ القَلْبُ واللسانُ بِحَيْثُ يَنْـدَفِعُ اللسـانُ في طَلَبِهِ والقَلْبُ فاترٌ عَنْهُ أو غافِلٌ ، فلا يُسَمَّىٰ ذلِكَ نِيَّةً صادقةً .

طهارة القلب من الاثام

« وقلوبٍ طاهرةٍ » .

أي : آدعُـوا ربَّكُم بقلبٍ طَهـورٍ ، فـإنَّـهُ لا أثَـرَ للدعـاءِ إذا لم يَكُنِ القَلْبُ كذلِك .

ولا بُـدَّ أنْ يُطَهَّـرَ القَلْبُ مِن الرِّيـاءِ والعُجْبِ والحَسدِ وحُبِّ الـدنيا ، فـإذا صلحتْ قَلُوبُكم أُدْعُـوهُ حينئذٍ بِصِـدْقِ نِيَّةٍ وطهـارةِ ضميرٍ (أنْ يُـوفِّقكم لصِيـامِـهِ وتلاوَةِ آياته) ، فَلِكُلِّ شَيْءٍ رَبيعٌ وربيعُ القرآنِ شهرُ رَمضانَ .

وأيُّ شيءٍ أحْسَنُ مِن أنْ يكونَ ضَيْفُ الله مَشْغُولاً بكلامِهِ تعالىٰ ؟ .

مـا أطيَبَ قَولَ ذلِـكَ العـابِـدِ إذْ سَـألُـوهُ : كيفَ تعِيشُ في هـذِه الصحـراءِ وحيدا ؟

قال : أنا لسْتُ وحيداً (هو معكم أينمـا كُنْتُم) متى أردتُ أنْ يُخاطِبَني الله ـ تعالى ـ قرأتُ القُرْآنَ .

ومتى أردتُ أنْ أخاطِبَهُ صَلَّيْتُ لَهُ ـ عَزَّ آسمُه .

« فإنَّ الشقِيَّ مَنْ حُرِمَ غُفرانَ الله » .

حقّاً إنَّ الشقِيَّ هو مَنْ حُرِمَ مَغْفِرَةَ الله ـ تعالى ـ في هذا الشهر العظيمِ .

وآلْإمامُ الصّادِقُ ـ عليه السلام ـ يتفضَّلُ بأنَّهُ إذا لم يَرْحَمِ الله أحَداً في هذا الشهرِ ، فمتى يَرْحَمُهُ ؟! .

وفي كتـاب (عُدَّةِ الـدَّاعي) روايةٌ عن كشّـافِ الحقائقِ جعفـرِ بنِ محمـد الصادِقِ ـ عليهما السلام ـ مضمونُها أنَّهُ تفضَّلَ بأنَّـهُ لا يَنالُ المَـرْءُ درجةً عنـدَ الله إلَّا بالدُّعاءِ .

وهكذا تتفضَّلُ الآيةُ الشريفةُ ﴿ قُل ما يعبأُ بكم ربِّي لولا دُعَاؤُكُم ﴾ .

فللدعـاءِ نفسِه مَنْـزِلةٌ ، إذْ مَنَّ الله بـهِ على الإنسانِ وأتـاحَ لـه أنْ يُخـاطِبَـهُ ويُناجِيَهُ .

أهذِهِ نِعْمَةٌ ضَئِيلة ؟ .

سعـادَةُ المـرءِ هيَ أن يكـونَ بين يَـدَي الله ـ تعـالى ـ فـالإمـامُ السجَّـادُ ـ عليه السلام ـ يقول :

والله ـ تعالى ـ يُحِبُّ الدُّعاءَ حتَّىٰ إنَّهُ أَمَرَ مُوسى بنَ عِمرانَ ـ عليه السـلام ـ أنِ ٱسْأَلْنا حَتَّىٰ مِلْحَ طَعامِكَ .

وفي حديثٍ شرِيفٍ آخَرَ أَنَّهُ لَا عَمَلَ أَحَبُّ إِلَىٰ ٱللَّهِ مِنَ الدُّعاءِ .

وهٰذِهِ الابتلاءاتُ التي تنزِلُ بِنا مأمورةٌ بِرَجْعِنا إلَىٰ الخالِقِ ـ سُبحانَـهُ ـ ومِنْ فوائِدها أَنْ نَدْعُوهُ ـ تعالى .

ونَفْسِي فِـدَىً لِمَنْ تَمَسَّـكَ بِـرَبِّ العـالمينَ على كُـلِّ حـالٍ مِنَ السَّـرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، وتَعَلَّقَ بِلُطْفِهِ ـ سُبْحـانَهُ ـ فـإذا ما استجـابَ دُعاءَهُ ازدادَ لُصُـوقاً ببـابِ رَحْمَتِهِ ولم ينصرِفْ مِنه .

فإذا كانَ له مَصْلَحةٌ قُضِيَتْ حاجَتُه .

ومَرَّةً أُخْرَىٰ نَنْهَلُ مِنَ الروايةِ إذ يتفضَّلُ أَنَّهُ إذا حَلَّ البـلاءُ العامُّ كـالطاعـونِ وَنَحْوِهِ ، أوِ الخاصُّ كـالفَقْرِ والمـرضِ ، وأردتَ أَنْ تَعْرِفَ أيـطولُ أو لا يَطولُ ، فٱنْظُرْ هَلْ لَدَيْكَ تَفويضٌ وتَضَرُّعُ إِلَىٰ الله ـ تعالى ؟ .

فإنْ كانَ الأمْرُ كذلِكَ ، فالبَلاءُ مُرْتَفِعٌ عَنْكَ سريعا .

الدعاء تضرع لا حكم

وَرَدَ في الروايةِ أيضـاً أنَّ شخصَينِ يُجْلَبانِ يـومَ القِيامَـةِ وعَمَلُهُما مُتَشَـابِهٌ ، لكِنَّ درجَةَ أَحَدِهما أَعْلَىٰ مِنْ درجةِ الآخَرِ .

فَيَسْأَلُ ٱلْأَدْنىٰ درجةً عَنْ عِلَّةِ ذٰلِكَ ، فَيأْتِيهِ النِّداءُ أَنَّ صاحِبَكَ كانَ يَطْلُبُ مِنَّا كثيراً ، ويُلِحُّ علينا بالدُّعاءِ .

ضِمْناً ٱنْتَبِهوا أَنَّ الدُّعاءَ هُوَ السُّؤَالُ ـ لا سَمَحَ الله أَنْ يكونَ أَمْراً ـ فَيَجِبُ أَنْ يكونَ استِرحاماً وتضرُّعاً .

قالَ الإمامُ الصادقُ ـ عليه السلام ـ : اسجُدْ مِنْ غيرِ صلاةٍ ، وقُلْ سَبْعَ مرَّاتٍ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، ولا تَتْرُكْ هذِهِ العادَةَ .

أيُّ وسيلَةٍ إِلَىٰ ٱللَّهِ سِوَىٰ ٱلْإِلْتِجاءِ إِلَيْهِ والتمسُّكِ بِأَبْوابِ رَحْمَتِهِ ؟ .

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَحكُمُ علىٰ رَبِّهِ ـ جَلَّ وَعلا ـ حُكْماً بَدَلاً مِنْ أَنْ يتضرَّعَ إِلَيهِ ويَتوسَّلَ بِهِ سُبْحانَهُ .

وعلامةُ أولئِكَ أَنَّهُ أَحَدَهُمْ إِذَا لَمْ تُقْضَ حاجَتُه لَمْ يَرْضَ عَنِ الله ـ سُبحانَهُ ـ وَنسِيَ نِعَمَه جَمِيعاً ، فيما يجِبُ عليهِ إِذَا قُضِيَتْ حاجَتُهُ أَنْ يَشْكُرَ لله ، وإذا لم تُقْضَ أَنْ يَصْبِرَ على قَضَائِهِ الحكيم .

فما الضعيفُ إِلَىٰ القَوِيِّ ؟ .

حَسْبُكَ أَنَّهُ لا يَرُدُّكَ خائباً ، ولا يَهْتِمُ أَسْنانَكَ في فِيكَ في وَقْتٍ كُلُّنا فيهِ جَدِيرٌ بالتوبيخ .

قالَ الإمام الباقِرُ ـ عليه السلام ـ حين يَسْأَلُ بعضُ عِبادِ الله رَبَّهُ حاجةً يأْتي النداءُ إِلَىٰ الملائكةِ أَنْ قُضِيَتْ حاجَتُه ، ولكِنْ لا تُعْطُوهاهُ الآنَ ، فإِنِّي أُحِبُّ صوتَ عَبْدِي .

أعجز الخلق من لا يدعو

تَفَضَّلَ رَسُولُ الله ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ألا أُخْبِرُكُم مَنْ أَبْخَلُ الخَلْقِ وأَعْجَزُهُمْ وَأَجْفاهُمْ ؟ .

أَبْخَلُ الخَلْقِ مَنْ يَمُرُّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ وَلا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ .

فالسلامُ ليسَ مِمَّا يُبْخَلُ بِهِ .

ٱلسَّلاٰمُ دُعاءٌ لِأَخِيكَ ٱلْمُسْلِمِ بِٱلسَّلاٰمَةِ ، وَلَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ تِسْعُونَ مِنْهَا لِمَنْ بَدَأَ بِٱلسَّلاٰم .

وتفضَّلَ بِأَنَّ أَعْجَزَ الخَلْقِ هو مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ ، فَهُوَ مُبْتَلَىٰ لَكِنَّهُ لاٰ يُلْتَجِىءُ إِلَىٰ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ .

وتَفَضَّلَ ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ ـ بأَنَّ أَجْفَىٰ الخَلْقِ مَنْ إِذٰا ذُكِرتُ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ .

وَٱلصَّلاٰةُ عَلَىٰ ٱلرَّسُولِ ـ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ ـ دُعَاءٌ لَـهُ هُوَ وَآلُـهُ عَلَيْهِم ٱلصَّلاٰة وَٱلسَّلاٰم .

وتَفَضَّلَ ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَأَسْرَقُ الخَلْقِ مَنْ يَسْرِقُ مِنْ صَلاٰتِهِ ، فَيَرْتَفِعُ مِنَ الرُّكُوعِ مثلاً قَبْلَ تَمامِه .

منك الدعاء ومن الله الاجابة

وهنا حَدِيثٌ يُفِيدُ بأَنَّهُ أُوْحِيَ إِلَىٰ آدَمَ أَبِي البَشَرِ ـ عليه السلام ـ أَنَّ ٱلْأُمُورَ جَمِيعاً تَرْجِعُ إِلَىٰ أَرْبَعِ كلماتٍ .

قالَ آدَمَ ـ عليه السلام ـ : ما هِي ؟

فَتَفَضَّلَ ـ سُبْحَانَهُ ـ : واحِدَةٌ تَخْتَصُّ بي ، وواحِدَةٌ تختصُّ بِكَ ، وواحِدَةٌ بَيْنَكَ وبين الناسِ ، وَوَاحِدةٌ بيني وبينَك .

فالمختصَّةُ بي هي العبادَةُ التي يجبُ أَنْ تُؤَدِّيَها لي .

والمُخْتَصَّةُ بِكَ هِيَ التي أَجْزِيكَ عَنْهَا بتذليلِ ما تحتاجُ إليهِ أَيَّما احتياج .

وما بَيْنَكَ وبينَ الناسِ هيَ أَنْ تُعامِلَهُمْ كما تُحِبُّ أَنْ يُعامِلُوكَ .

وما بيني وبَيْنَكَ هُوَ دُعَاؤُكَ وإجابَتِي .

وتَفَضُّلُه الأَخِيرُ ـ سُبحانَه ـ هُوَ مَحَلُّ الشاهِدِ .

شروط الدعاء وإجابته

من أهَمِّ الشروطِ لاستِجابَةِ الدُّعـاءِ الانقِطاعُ عن كُـلِّ شيءٍ والتمسُّكُ بـالله ـ سُبحانه ـ وَحْدَه .

هذا هُو أهَمُّ شَرْطٍ ، وهو قَلَّما يتهيَّأُ لِلجميـعِ ، فَحُصولُـه يعني أنَّ الداعيَ يَرَىٰ الله ـ سُبحانَه ـ حاضِراً وقادِراً على كُلِّ شَيْءٍ ، ويَرَىٰ غيرَهُ عاجِـزاً تمامـاً عن كلِّ شَيْءٍ ولا أثَرَ له .

ولـذا تفضَّلَ رسـولُ الله ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ ـ حينَ أرادَ مِنْهُ أحَـدُهُمْ أنْ يُعلِّمَهُ ٱلْإِسْمَ ٱلْأَعْظَمَ ، فقالَ : أخْلِ قَلْبَكَ مِنْ غيرِهِ ـ تعالى ـ وقُلْ يا الله .

وشَرْطُ الدُّعاءِ والاستجابَةِ الآخَرُ هو أنْ لا يكونَ الداعِي أكَلَ حَرَاماً ، فَمَنْ أكَلَ لُقْمةً حراماً لم يُسْتَجِبْ دُعَاؤُهُ أربعين يوماً .

والشـرطُ الآخَرُ هُـوَ أنْ لا يعلوَ خَلْفَهُ أنِينُ مـظلومٍ ، فآهـةُ المظلُومِ تمنـعُ صُعُودَ الدُّعاءِ ، وتَحْجُبه عَنِ الإجَابَةِ .

ورُبَّما أوْصلتْ آهةُ المظلومِ ظالِمَهُ إلَىٰ أسْفَلِ سافِلِين .

حسن الظن بالله في اجابة الدعاء

ومِنَ الشروطِ الأساسيَّةِ في استِجابةِ الدُّعاء حُسْنُ الظنِّ بالله والاعتمادُ عليه واليَقِينُ بأنَّ كلَّ حاجةٍ لا وجودَ لها إزاءَ قُدْرَةِ الخالِقِ العظيمِ ـ سُبحانَه .

فيجِبُ عـدمُ اليأسِ حتَّىٰ إذا لم تجتمـع شروطُ الـدُّعـاءِ ، لأنَّ رحمـةَ الله الواسعةَ عَيَّنَتْ أوْقـاتاً يُؤَثِّـرُ فيها الـدُّعاءُ مَهمـا يكُنْ ، ومِنها السَـحَـرُ ، وهو الثلثُ الأخيرُ مِنَ اللَّيلِ .

وكذلِكَ السُّدُسُ الثاني مِن نِصْفِ الليلةِ الأخِيـر ، فَمَنْ يُصَلِّي فِيهِ وَيَـطْلُب مِنَ الله حَاجَةً تُقْضَىٰ .

وهكذا الزَّوالُ وغُروبُ الشَّمْسِ .

وتمتازُ ليلةُ الجُمعةِ والسـاعةُ الأخِيـرَةُ مِن نَهارِهـا مِنْ سائِـرِ الأوقاتِ بِبَـرَكةٍ فائقةٍ .

مقدمات الدعاء

ذكَرَ لِلدُّعاءِ آداباً ومُقَدِّمةً وخاتِمةً في الكتاب الشريف (عُدَّةِ الدَّاعِي) .

وأُولى مُقَدِّماتِ الدُّعاء رِعايةُ النـظافةِ والـطهارةِ قَلْبـاً وقالبـاً ، فيُطَهِّـرُ المَرْءُ لِباسَهُ وبَدَنَهُ ، ولا يكونُ لباسُهُ مَغْصُوباً ، ويكونُ هو متوضِئاً مُغْتَسِلاً .

ومِنَ الأغسالِ المُسْتَحَبَّةِ غُسْلُ التوبةِ وقَضاءِ الحاجَةِ .

وعليهِ أَنْ يُطَهِّرَ قَلْبَهُ مِنَ الأَدْرانِ الخَفِيَّةِ فيه ، فلا يكونَنَّ في قلبِـهِ حِقْدٌ على مُؤْمِنٍ ، وأَنْ يَتُوبَ مِنْ ذَنْبِهِ .

قسوة القلب تمنع الاستجابة

في رِوايةٍ عَنِ الصادق ـ عليه السلام ـ أَنَّ رَجُـلاً كانَ في بني إسـرائيل دَعَـا الله ثلاثَ سَنَواتٍ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَداً غَيْرَ أَنَّ دُعاءَهُ لَم يُسْتَجَبْ .

وفي يومٍ ما عَتَبَ على الله ـ تعـالى ـ قائـلاً : لقدْ دَعَـوْتُكَ ثـلاثَ سَنواتٍ دُونَ جَدْوى .

وَفِي ليلةٍ قالَ لَهُ قائِلٌ في منامِهِ : ما الفائدةُ أَنْ تَدْعُوَ بِقَلْبٍ خَرِبٍ ؟ .

ما جَدْوَى الدعاءِ بقلبٍ قاسٍ ؟ .

يجبُ الدُّعاءُ بقلبٍ رَقيقٍ طاهِرٍ مِنَ الحِقْدِ والحَسَد .

ومِنْ آدابِ التهيُّؤِ للدُّعاءِ التَّصدُّقُ قَدْرَ المُستطاعِ ، فالصَدَقةُ تَسُرُّ المُحْتاجَ إليها ، والله يَسُرُّ المُتصدِّقَ بِها جَزاءً لِفِعْلِهِ .

ومِن آدابِ الـدُّعـاءِ التَّـطَيُّبُ وعـدمُ الاستعجـالِ في الـدُّعـاءِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَطلُبَ الدَّاعِي حاجتَهُ بطُمأنينة .

ومِن تلك الآدابِ السـاميةِ التصـريحُ بـالحاجـة ، فَتَجِبُ تَسْمِيَتُهـا بكـلامٍ عَرَبيٍّ على مَنْ يعرِفُ العربيَّةَ ، وإلاّ سَمَّاها بِلِسانِهِ هو أيّاً كان .

ومـع عِلْمِ الله المُحِيطِ بِكُـلِّ شَيْءٍ ، فهــو ﴿ يَعْلَمُ السِّـرَّ وأَخْفَى ﴾ أَمَـرَ ـ سُبحانَهُ ـ أَنْ تُذْكَرَ الحاجاتُ بالألْسِنةِ ، لأنّه يُحِبُّ ذلك .

ومِن جملةِ آدابِ الـدُّعـاءِ الإلْحـاحُ ، أي : الإصْـرارُ ، فَقَـدْ رُوِيَ أَنَّ الله ـ سبحانَهُ ـ خَصَّ ٱلإلْحاحَ بِنَفسِه ـ وعَساكَ لا تَعِبْتَ منه ـ فكُلَّما كثُر ازدادَ حُسْناً ، فلا تكُفَّ حَتَّىٰ تبلُغَ ما تُرِيدُ .

وَمِنْ آدَابِ ٱلدُّعاءِ الدُّعَاءُ لِعَامَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَيَقول إذَا كَانَ مَدِيناً مَثَلاً : ٱللَّهُمَّ ٱقْضِ دَيْنَ كُلِّ مَدِين .

مِنْ هنـا قالَ العـلاّمة المجلِسِيُّ ـ رحِمَـه الله ـ : ٱلأدعيـةُ الـواردةُ بضميـر المُفردِ مثل (اللهُمَّ اهـدِني مِنْ عِنْدِك) تُقْـرَأُ بِضَميرِ الجمـعِ ، فيُقالُ : (ٱللَّهُمَّ ٱهْدِنا مِنْ عِنْدِكَ) لِيَشْرِكَ ٱلآخرِينَ في عَطائِهِ .

دعاء الجماعة أقرب للاجابة

وَيقْـرُبُ الدُّعـاءُ مِن الإجابـةِ إذَا دَعَتْهُ جمـاعةُ أرْبعـونَ نَفَراً ، وكُلَّمـا ازدادَ عَدَدُهُمْ قَرُبَ دُعاؤُهم مِن الإجابةِ .

وذكـرَ الإمـامُ الصــادقُ ـ عليـه السـلام ـ أَنَّـهُ كُلَّمـا كـانَ لأبِي البـاقِرِ ـ عليه السلام ـ حاجةٌ جَمَعَ أَهلَ الـدارِ حتَّىٰ الغِلمَانَ والخَـدَمَ ، وقال : أنـا أَدْعُو وأنْتُمْ قولوا آمِين .

ويُنْسَبُ إلَىٰ الصادِقِ نفسِهِ ـ عليه السلام ـ أَنَّـهُ كانَ يَجْمَـعُ الغِلْمانَ وَيقُـولُ لَهُمْ : ٱدْعُوا الله أَنْ يَرْحَمَنِي .

الأدعية الواردة عن الأئمة

ومِنْ آدابِ الدُّعاءِ التحميـدُ والتمجيدُ قَبْـلَ الدُّعـاءِ والإقْرارُ بـوَحْدَانِيـةِ الله ـ تعالى ـ واستِغْفارُهُ مِنَ الذنوبِ وتَعْدادُ نِعَمِهِ .

انظرُوا إلَىٰ دُعاءِ الحُسينِ ـ عليه السلام ـ يومَ عَرفَة ٱلْمُفْعَمِ بِشكرِ نِعَمِ الله وحَمْدِهِ والثناءِ عليه .

ومِثلُه دُعاءُ أَبي حَمْزَةَ الثمالِي ـ رحمه الله ـ الذِي عَلَّمه إيَّاهُ الإمَامُ السجَّادُ ـ عليه السلام ـ وَدُعاءُ كُميلِ بنِ زِيادِ الذي تَعَلَّمَهُ مِنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ـ عليه السلام ـ الذِي تعرِفون (سيِّدي سيِّدي أَنا الصغيرُ الذي رَبَّيْتَهُ) .

ومِن شروط الدُّعاءِ الصَّلَوَاتُ علىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ـ عليهِ وعليهِمُ السلام .

نُقِلَ حديثٌ عن سلمان ـ رضوان الله عليه ـ أَنَّهُ قال : ماذا تعملونَ إذا كانَ لكُمْ حاجةٌ إلَىٰ ٱلسُّلْطانِ ؟ .

تَذهبونَ إلَىٰ أَحَدِ أَقارِبِهِ أَوْ مُقَرَّبِيهِ الذينَ لهم حُظْوةٌ في بلاطِهِ تَسْتَشْفِعُونَهُ إِلَيْهِ .

ولا أَحَدَ عِنْدَ الله أَشْرَفُ مِنْ مُحَمَّدٍ وآلِهِ ـ عليهم السلام أَجْمَعِينَ ـ فَٱسْتَشْفِعُوهُمْ إِلَيْهِ ـ تعالى ـ تَنْجَحْ حَاجاتُكُم .

فقالَ له مُنافِقونَ : إنْ كُنْتَ تقولُ حَقّاً ، فادْعُ الله أَنْ تكونَ أَغْنَىٰ أَهْلِ ٱلْمَدِينة .

فقال ـ رحِمه الله : لَقَدِ ٱسْتَشْفَعْتُ السَّادَةَ إلَىٰ الله ـ تعالى ـ في ثلاثِ حاجاتٍ هُنَّ أَفْضَلُ ٱلأَشْياءِ ، فَأَعْطانِيْهُنَّ :

الأولى : أَنْ يجعلَ لِساني مَشْغُولاً بِذِكْرِهِ .

والثانيةُ : أَنْ يَجعلَ قلبي خاشِعاً مِنْ خَشْيَتِهِ .

والثالثة : أَنْ يجعلَنِي صَبُوراً على شدائِدِ الدُّنيا .

والصلاةُ على محمد وآلِهِ ـ عليهم السلام ـ دُعاءٌ مُسْتَجابٌ أَبداً ، فإذا قُرِنَتْ بِسائِرِ الأَدعِيةِ ٱسْتُجِيبَتْ بِبَرَكتِها ـ إنْ شاءَ الله .

لذا قالُـوا : لا تَدَعُـوا الصلواتِ على محمدٍ وآلِ محمـدٍ في أوَّلِ دُعائِكُم ولا فِي آخِرِهِ .

وهـذا القَـوْلُ مضمـونُ كـلامٍ لأميـرِ المؤمنين ـ عليـه السـلام ـ في نهـج البلاغة .

اقبال القلب عند الدعاء

من جُملةِ شروطِ الدُّعاءِ ، بلْ أهَمُّهـا إقْبالُ القلبِ عليـهِ وحضورُهُ عِنـدَهُ ، أي : أنَّـهُ يَجِبُ أنْ يكونَ مُنْبَعِثـاً مِنَ القَلْبِ لا لَقْلَقَةَ لِسـانٍ ، بحيثُ تكونُ حَـرَكَةُ اللِّسانِ تَرْجمةً لِحَرارةِ القَلْبِ وشَوْقِهِ إلَىٰ ما يَرْجُو .

فمن يَعُودُ مرِيْضاً يُجامِلُهُ بِقولِهِ : شفاكَ الله .

وما يُعَدُّ هذا الكلامُ وأمثالُهُ دُعاءً حتَّىٰ يَعِيَ العائدُ ما يَقُـولُ ويَجِدَّ في طَلَبِـهِ مُقْبِلاً عليهِ مِنْ أعْماقِ قَلْبِهِ .

فِي كتابِ الكافي حديثٌ عنِ السجَّادِ ـ عليـه السلام ـ فَحْـواهُ أنْ لا تَدْعُـوا لِأحَدٍ وَأنْتُمْ غافِلُون .

ما معنىٰ ما تَقولون إذا لم يكُن لكم قَلْب ؟ .

لا تكونُوا شأنِ طِفْلٍ مثلاً تَرونَهُ ، فتقولونَ له : رَحِمَ الله أباكَ في حالٍ هو غافِلٌ فيهِ تماماً عن هذا المعنىٰ ، ولا وَعْيَ لديهِ لِهذا الدُّعاءَ .

قدموا غيركم في الدعاء

مِن جملةِ آدابِ الـدُّعاءِ أنْ تُقَـدِّمَ الـدُّعـاءَ لِمُؤْمِنٍ مُبْتَلَىً بِمِثْـلِ بَلْواكَ عَلَىٰ آلدُّعاءِ لِنَفْسِكَ ، فَإنَّ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّعاءِ لِنَفْسِكَ أوَّلاً .

فَلو كُنتَ مَريضاً مثلاً ، وذكرتَ أنَّ أحَدَ إخوانِكَ آلْمُؤْمِنِينَ مريضٌ ، وآثَـرْتَهُ بالدُّعاءِ ، لَشَفَاكَ الله أيضاً .

كان ابن جندق يومَ عرفة يدعو مِن الزَّوالِ (الظُهْرِ) إلَىٰ الغروبِ متضرِّعـاً

باكِيا ، فساله احدهم : ماذا كنت ترِيد مِن الله ؟ .

قـال : كُنتُ أدْعُـو لِغيـرِي ، فقـد سمِعتُ مـولايَ مـوسى بنَ جعفـرٍ ـ عليهما السلام ـ يقـولُ : ما دَعَـا أَحَدٌ لِمُؤمِنٍ أَوْ طَلَبَ ٱلْمَغْفِـرَةَ لِأَحَدٍ أَوْ شِفاءَ مريضٍ ، إِلَّا ناداهُ مَلَكٌ من العَرْشِ أَنْ لَكَ مِئَةُ أَلفٍ مِنْ أَمْثالِهَا .

وفي الحـديث عن مُعـاوِيـةَ بْنِ وَهْبٍ ـ رحمهمـا الله ـ أَنَّـهُ قـالَ : سمعْتُ الصادق ـ عليه السلامُ ـ يقول : ما دَعا مؤمِنٌ لِأَحَـدٍ ، إلَّا قالَ لـه ملائكـةُ السماءِ ٱلْأُولَىٰ : لَكَ مئةُ ألفٍ مِنْ أمثالها ، وقال له ملائكةُ السماءِ الثانية : لكَ مِئتـا ألفٍ مِنْ أمثالِهَا .

وهكـذا حتَّىٰ يَقُولَ لَـهُ ملائكـةُ السَّماءِ السـابعةِ : لـك سبـعُ مئـةِ ألفٍ مِنْ أمثالِها .

ويُسْتجابُ دُعاءُكَ لِغَيْرِكَ عِنْدَما تُساوِيهِ بِنَفْسِكَ أَوْ تُقَدِّمُهُ عليها .

الجوع ورقة القلب

مِن جُملةِ النِّعَمِ الإلهيَّـةِ العظيمَـةِ في هذا الشهـرِ المُبـارَك نِعمـةُ الجُـوعِ والعَطَشِ التي ينتَبِهُ عليها أَقَلُّ النَّاسِ ، ويُحِسُّ بِوجُودِهَا .

فعِندَ الجُوعِ يَرِقُّ القَلْبُ ، فَيُشْرِقُ ويصفُو ، ويَتَّجِهُ إِلَىٰ الله أَكْثَر .

وعِنْدَ ٱلشَّبَعِ يكسِلُ وَيَثْقَلُ ، وَيَمِيلُ إِلَىٰ ٱلنَّوْح ، وَفِي الحديثِ ٱلشَّرِيفِ : إِنَّ الله يُبْغِضُ كُلَّ أَكُولٍ نَئُومٍ .

وقد تفضَّل الله ـ تعالى ـ على رسُوله الأكْرَمِ محمدٍ ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ ليلةَ المِعراجِ أَنَّ يا أحمدُ علامةُ أَهْلِ الدُّنيا تعرِفُهم بها هي كَثرةُ الأكْلِ والنومِ ، فاتَّخِذْ الدُّنْيا وأَهْلَهَا عَدُوًّا .

وإجمالاً يرغبُ المرءُ في ذِكْرِ الله ـ تعالى ـ والتعلُّقِ بِلُطْفِهِ أكْثر ساعَـة تخلو المَعِدةُ ويكونُ أهلاً لإشْراقِ الحِكْمَةِ في قَلْبِهِ .

ويُـرْوىٰ أنَّ داوودَ ـ عليـه السـلام ـ كـانَ يُـريـدُ التـوبـةَ ، فـأنـابَ إلَىٰ الله ـ سبحانه ـ أُسبُـوعاً بـاكياً مُنـاجياً لم يَـذُقْ شيئاً ، لِيَـرِقَّ قَلْبُه ، ويـدعو الله بقلبٍ كسيرٍ .

فالتُّخْمَةُ تمنعُ استِنارةَ القلبِ وتَدَفُّقَ نُورَ الحِكْمَةِ والمَعْرِفَةِ فيهِ .

ويُـرْوَىٰ أيْـضـاً أنَّ الشيـطانَ تجسَّمَ بـينَ يَـدَي يـحيـىٰ بـن زكـريـا ـ عليهما السلام ـ بأشكالٍ مُخْتَلِفةٍ ، وقالَ له : أنا أُغْوِي كُلَّ آمْرِىءٍ بِشَكْلٍ ما .

فقال يحيىٰ ـ عليه السلام ـ : هل لديك فَخٌّ خاصٌّ بي ؟

قال : نعم .

إنَّـهُ لَمِمَّـا يبعثُ على العجب العُجـاب أنَّ الشيطانَ الـرَّجيمَ لم يكُفَّ حتّىٰ عن نَبِيٍّ ابنِ نَبِيٍّ ، ألا وهـو يحيىٰ الـذي آتـاهُ الله الحكمـةَ صَبِيّـاً آبنَ أرْبـعِ سنوات .

واستكمـلَ الشيطانُ : عِنـدما تشتهي الـزادَ لَيلاً أُقَـدِّمُهُ بَينَ يـديكَ لِتَـأْكُـلَ كثيراً ، وتَتَأخَّرَ عَنِ النُّهوضِ سَحَراً ، فتفقِدَ شيئاً من مُناجاتِكَ .

فقطعَ يحيىٰ ـ عليه السلام ـ على نفسِه ألاّ يَشْبَعَ مادامَ حَيًّا .

وقطعَ الشيطانُ على نفسِه أيضاً أنْ لا يَبُوحَ بَعْدُ بِسِرِّهِ أبَدا .

ونَعُودُ لِخُطْبَةِ رَسُولِ الله الشعبانِيَّةِ إذْ يقول : « وآذْكُرُوا بِجُوعِكُم وعَطَشِكُمْ جُوعَ يَومِ القِيامَةِ وعَطَشَه ، وتَصَدَّقُوا على فُقرائِكُمْ ومساكِينِكُم » .

أعِينُـوا الفُقَراءَ والمسـاكِينَ في هذا الشهـرِ المُبارَك ، وتصـدَّقُوا عليهِمْ مـا أمْكَنكُم ، فإنَّ الصدقَةَ تُطْفِىءُ غضبَ الرَّبِّ ـ تعالى .

وما أحْسَنَها سِرّاً ! .

فالصَّدَقَةُ في السِّرِّ تأْكُلُ مَكْرَ الشيطانِ وتُذْهِبُ غَضَبَ الرَّبِّ ـ سُبحانَهُ .

تقرؤونَ في دُعاءِ الظُهرِ أيَّامَ شَعْبانَ : « وآرْزُقْني مُواساةَ مَنْ قَتَـرْتَ عَلَيْهِ مِنْ

رِزْقِك بِمَا وَسّعْت عَليّ مِنْ فضلِك » .

وأولى الناس بهذِهِ المواساةِ أُولُوا الرَّحِم وَذَوُو القَرابة .

ومَنْ يُنْفِقْ علىٰ الصائمين قَدْرَ استطاعَتِهِ مُهيِّئاً لهم فطُورَهُم وسَحُورَهُمْ يَكُنْ شِريكَهُمْ في صِيامِهِمْ دُونَ أنْ ينقُصَ أجْرُهُمْ شيئا .

احترام الكبير والعطف على الصغير

« ووَقِّروا كبارَكُم ، وارحَمُوا صِغارَكُم » .

احترامُ الكبير مِنَ الصّفاتِ الكريمةِ التي يُحِبُّها الله دائماً ، ولا سِيَّما في شَهْرِ رَمضانَ المُبارَك ، ويجبُ التحلّي بها .

فوَقِّروا ما استطعتُم مَنْ هُوَ أكْبَرُ منكُم ، خاصَّةً من شابَ شعرُهُ ، والأبُ أوْلَىٰ بذلكَ التوقير .

أكْرِمُوهُ وقُولُوا : عِبادَتُهُ أكْثَرُ مِن عِبادَتِنا .

وآرْعَوا مَنْ هو أصغرُ منكم وآرْحَموهُ ، ولا تقولُوا : هذا طِفْلٌ قَلِيلُ الفَهْمِ .

لا تقولُوا ذٰلِكَ ومِثْلَهُ ، بل قُولُوا : هذا فَتَىٰ .

فَهُوَ في أوّلِ تكليفِهِ لم يُذْنِبْ أوْ هُو قَليلُ الذَّنْبِ ووَجْهُهُ أشَدُّ بياضاً مِنْ وَجْهِي عِنْدَ الله .

عامِلُوهُ بِرَحْمةٍ وعَطْفٍ ، فمُعامَلَتُهُ هكذا واجِبَةٌ وُجُوبَ مُعاملةِ الكبير بآحتِرام ، لأنَّ عِبادَتَهُ أكْثَرُ مِنْ عِبادَتِكُمْ .

واحتِرامُ الكبيرِ واجِبٌ بغضِّ النَّظَرِ عَنْ واقِعِهِ ، فَعِلْمُ هذا الواقِعِ إلَىٰ الله ـ تعالى ـ ونَحْنُ مُكَلَّفونَ بمعامَلةِ الناسِ على أساسِ الظاهِرِ لا غيرِهِ .

صونوا حواسكم عن الحرام

﴿ وَاحفظوا أَلْسِنتكم ﴾

احفظُوا أَلْسِنَتَكُمْ مِنْ قَولِ ما لا يَرْضاهُ الله ـ تعالى ـ فقد كانَ السجَّادُ ـ عليه السلام ـ لا يتكلَّمُ في شَهْرِ رَمضانَ المُبارَك ، إلَّا بالقرآنِ الكريمِ والدُّعاءِ والذِّكْرِ .

﴿ وغُضُّوا أَبْصارَكُم ﴾ .

أي : كُفُّوا النظرَ عَمَّا لا يَرْضَىٰ الله النظَرَ إلَيْهِ ، ولا تنظُروا إلَىٰ ٱلْأَجْنَبِيَّةِ بِخِيانَةٍ ، ولا إلَىٰ عَوراتِ الخَلْقِ ، ولا تستمعوا لِما لا يَحِلُّ لكُمُ الإِسْتِماعُ إليهِ .

ولا سمحَ الله أَنْ تستمِعوا للموسيقىٰ ، أو تُعِيرُوا التُّهمَةَ والغِيبَةَ آذانَكُم .

ولكي تستطيعوا الاستِماعَ للقرآنِ الكريمِ والمواعِظِ عليكم ألَّا تَسْمَعُوا ما لا ينبغي للمُؤْمن سَماعُهُ ، وأَنْ تملِكوا حَواسَّكُم عَنِ الباطِلِ شَهْراً .

طلب الحاجة في الصلاة

« وارفعوا أَيدِيكم بالدعاءِ في أوقاتِ صلواتكم، فإنَّها أَفْضلُ الساعات ينظرُ الله فيها بالرحمةِ إلَىٰ عِبادِهِ يُجِيبهُم إذا ناجَوهُ ، ويُلَبِّيهم إذا نادَوهُ ، ويَسْتَجِيبُ لهم إذا دَعَوهُ » .

الاستغفار والسجدة الطويلة

« أَيُّها الناسُ إنَّ أَنْفُسَكُمْ مرهونةٌ بأَعْمالِكُمْ ، ففكُّوها باستغفاركم ، وظُهورُكم ثقيلةٌ من أوزاركم ، فخفِّفوا عنها بُطولِ سجودِكم » .

والتعبيرُ بالرَّهْنِ كثير في القرآن المجيدِ ومنه ﴿ كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة ﴾ .

وهكذا في الأخبار .

ووجْهُ الشبهِ أنَّ مَنْ رَهَنَ داراً من أجلِ مبلغٍ ما لا يحِقُّ له التصرُّفُ فيها حتى يُعِيدَ ذلك المبلغَ إلىٰ صاحِبِه .

وإذا حانَ مَوْعِدُ الوَفاءِ ، ولَمْ يُؤَدِّ ما عليهِ مِنْ دينٍ ، حَقَّ لِلْمُرْتَهِن (الدَّائِن) أنْ يَذُودَهُ عَنْ تِلْكَ الدار .

وكذلك أنْتم رَهْنُ أعْمالِكُمْ ، فَمن عَمِل سُوءاً غُلَّ بِهِ ، وضآلةُ التوفيقِ مَنْشَؤُها سُوْءُ العَمَلِ الذي يَرْهَنُ بِهِ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ .

فمن يكذِبْ نهاراً يحرمْ صلاةَ اللّيلِ ، إذْ رُوِيَ أنَّ مَنِ ٱتَّبَعَ هَواهُ فترتْ همْته وقلّ حضورُ قلبِه ورِقّتُه .

هذا هو الأثرُ الوضْعيُّ للعمل .

وربَّما ارتكب الإنسانُ سُوءاً ـ عَلِمَ بذلك أو لم يعلم ـ وهو يحسَبُ أنَّهُ يَفْعَلُ حُسْناً كَمَنْ راءَىٰ في عبادَتِهِ .

والروايةُ صريحةٌ بأنَّ مَنْ ماتَ وفي عاتِقِهِ دينارٌ للناسِ كان كَطَيْرٍ شُدَّت رجلُهُ بِحَبلٍ فوقَ طاقته ، فلا يستطيعُ حِراكاً ، لم يُعْط سَبِيلاً إلى المَلأ الأعلىٰ .

فأطْلِقُوا أنفسَكُمْ مِنْ عِقالِ الأعْمال، لتتحركوا صَوْبَ التوفيق .

بِمَ يَحْصُلُ عتقَ النُّفوسِ ؟

يَحْصُلُ عتقُ النفوس بالاستِغفار (ففكُّوها بالاستِغفار) .

فهلُّموا نَتُبْ ونُتِبْ ونلتجِئ إلَىٰ أرْحَمِ الراحِمين عسى أن نحظَىٰ بعفوِه .

أقول : رَبِّ ٱغْفِرْ لَنا ما نعلمُ وما لا نعلَمُ مِنَ الذُّنوبِ التي تحرِمُ التوفيق وتحبسُ الدعاءَ .

ومن يستغفِرْ أكثر يَخْرُجْ مِنَ الرَّهْنِ أسْرَعَ وَأحْسَنَ .

وقولُهُ ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ : « وظهورُكم ثقيلة مِن أوزاركم » يَعْنِي أنَّ أعمالكم السيِّئةَ أثْقَلَتْ ظهورَكم ، وأنَّ كُلَّ إنسانٍ يَحْمِلُ وِزْرَهُ هو لا وِزْرَ غَيْرِهِ .

تَعالَوا خَفّفُوا ما تَنوءُونَ بِهِ مِنْ أَعْباءٍ .

هل يَنْهَضُ طَلِيقُ الجَناحِ كَمَنْ يَنوءُ حِمْلٌ ثقيل ؟ .

هَلْ يَسْتَوي على الصراطِ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ التحرُّكَ تحتَ الآثام وَمَنْ يَمُرُّ عليه كالبَرْقِ ؟ .

فَهيًا خَفِّفُوا ثَقِيلَ أعبائِكُم بِطُولِ السُّجُودِ لله تَعالَىٰ كما قَالَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « فخفّفوا عنها بطولِ السجودِ » .

أيّ خَفِّفْ آثامَكَ بطولِ السجودِ ، فكلّما أطلتَ السجودَ خَفَّ حِمْلُكَ .

وإذا كنت باكياً في سجودِكَ كنتَ أَحْسَنَ .

وما أَقْرَبَ إِلَىٰ الله مِنْ عَبْدٍ في حالِ السجودِ له .

سألوا الصادق ـ عليه السلام ـ أَنَدْعُو في الركوعِ والسجودِ ؟ .

أَجابَ ـ عليه السلام ـ : أقربُ ما يكونُ العبدُ مِنْ رَبِّه عِندما يكون باكياً في سجودِه .

والرواياتُ في أهميةِ السجودِ كثيرة أكتفي بجزءٍ مِنْ حَديثٍ شريفٍ طويل .

ستة أشياء ثمرة ستة أعمال

جاءَ أحدهم إلى الرسولِ الأكرم ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وقالَ له : علِّمْني عملاً يُحِبُّنِي به الله ، وعملاً يحبُّني به الناسُ ، وعملاً يزدادُ بِهِ مالي ، وعملاً يطولُ بِهِ عمري ، وعملاً لا أمرضُ به ، وعملاً أُحْشَرُ بِهِ معك .

فقال ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ : أردتَ ستةَ أشياء هي نتيجةُ ستةِ أعمال :

إذا أردت أن يُحبَّكَ الله ، فَخَفْهُ واتَّقِهِ في السِّرِّ والعَلَنِ ، واعلمْ أَنَّه حاضِرٌ معكَ وناظِرٌ إليكَ حيثما كنت ﴿ إِنّ الله يُحِبُّ المُتَّقِينَ ﴾ .

وإذا أردتَ أن يحبَّك الناسُ ، فلا تطمعْ بما في أيدِيهِمْ ، وأحسِنْ إليهم ، فالإنسانُ عبدُ الإحسان .

وإذا أردت أن يَزدادَ مالُك ، فأعطِ الزكاةِ (ومُرادُهُ ـ ص ـ مطلقُ الزكاةِ المستحبةِ والواجبةِ) فالإنفاقُ يُوجِبُ البركةَ .

وإذا أردتَ أن يبقى بدَنُكَ سالِماً ، فتصدَّقْ صباحَ مساءَ .

وإذا أردتَ أن يطولَ عُمُركَ ، فَصِلْ رَحِمَكَ (ولا سِيَّما في شهرِ رَمضانَ المبارَك كما ذُكِرَ في الخُطبةِ الشريفة) .

والسادِسُ ـ وهو مَحَلُّ الاستشهادِ ـ أنَّهُ ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ قال : وإذا أَرَدْتَ أَنْ تُحشَرَ معي فطريقُه أَنْ تُطِيلَ السجودَ .

ونُسِبَ إِلَىٰ أَحَدِ الصحابةِ أَنَّهُ طلبَ مِنَ الرسولِ الأكرمِ ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أَنْ يَضْمَنَ لَهُ الجنَّةَ ، فأَمَرَهُ بإطالةِ السجودِ .

وكِلا قِسْمَي السجودِ مطلوبٌ مخصوصاً سجدةَ الشكرِ ، ومِنْ جُمْلَتِها ما بعدَ الصلاةِ إذْ تشكُرُ لله ـ سبحانَه ـ أن وَفَّقَكَ للصلاةِ .

ويُسْتَحَبُّ فيها أَنْ تُعَفِّرَ خَدَّكَ بالترابِ .

ووردتْ أدعيةٌ ذُكِرَتْ في حاشيةِ المفاتيحِ ، وإذا لَمْ يُرِدْ أَحَدٌ قِراءَةَ الأدعيةِ الواردةِ . فهذا العَمَلُ نفسُهُ مطلوب .

قد أُوصِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ ـ عليه السلام ـ أتعلَمُ لِمَ اتَّخذتُكَ كلِيما ؟

اتَّخذناكَ كليماً لأَنَّنا وَجَدْناك أَخضعَ الناسِ لنا وأَخْشعَهُمْ إذْ تُعَفِّرُ وَجْهَكَ عِقْبَ كُلِّ صلاةٍ وتُظْهِرُ عَجْزَك .

أيُّ لَذَّةٍ أَعْلَىٰ مِنْ تَمَلُّقِ الإنسانِ رَبَّهُ ـ تعالى ـ فقط ، وقَصْرِهِ التعظيمَ عليه ـ سبحانه ؟

« واعلموا أَنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أقسمَ بِعزتِهِ أَنْ لا يُعَذِّب المُصَلِّينَ

والساجدِين ، وأن لا يُرِّوعهم بالنار يوم يقوم الناسُ لربّ العالمين » .

ثواب التفطير وأهميته

المَوضوعُ المهمُّ الآخر الذي حَضَّ عليهِ رسُولُ الله ـ صلَّىٰ آللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وذكَّرَ بهِ هوَ تفطيرُ الصائمين إذ قال :

« أيُّها الناسُ مَنْ فَطَّرَ منكم مُؤمناً صائماً في هـذا الشهر كـانَ له عِتْقُ رقبـةٍ ومغفرةُ لما مضى من ذنوبِه .

فقيلَ له : يا رسُولَ الله : ليس كُلُّنا نقدر على ذلِك .

فقالَ ـ ص ـ : اتّقوا النَّارَ ولو بشقِّ التمر ، اتّقوا النار ولو بشربةٍ من ماءٍ .

وفي روايـةٍ أخرى وردتْ في كتـابِ الإقبال (مَنْ فَـطَّرَ صائمـاً ، فله مِثـلُ أجْرِهِ) .

وجاءَ في كتابِ الإقبال أيضاً أَنَّ سَدِيراً قال : شَرُفْتُ بخِدْمَةِ الإمام الصادقِ ـ عليه السلام ـ في شهر رمضانَ المبارَك ، فقال لي : أتعلَمُ هذِهِ الأيامُ والليـالي أيُّ الأيَّامِ والليالي ؟ .

قلت : هي أيّامُ وليالي شهرِ رمضانَ المبارَك .

قـال : هـل تستـطيـعُ كـلَّ ليلةٍ عنـدَ الإفـطارِ أنْ تشتـري عَشَــرَةً مِنْ وَلـدِ إسماعيل (ع) وتُعْتِقَهُم في سبيلِ الله ؟ .

قلت : سيدي لا أستطيعُ .

قال : أتستطيعُ أنْ تفعلَ ذلِك بتسعةٍ ؟ .

قلت : لا يا مولاي .

قال : فكيف بثمانية ؟

هكذا حتى وَصَلَ إلىٰ واحدٍ ، فقلْتُ : لا قُدْرَةَ لي أيضاً .

فقال : أما تستطيعُ تفطيرَ صائم ؟

قلت : بلىٰ .

قال : هذا هو قَصْدِي ، أَنَّ تفطيرَ صائمٍ يَعْدِلُ عِتْقَ عَشَرةِ مُؤْمِنِينَ مِنْ أَبْناءِ إِسْماعِيل .

وبغضِّ النظر عن الروايات الكثيرةِ الواردةِ تَفَضَّلَ السَّيدُ في الإقبال بأنَّ الإنسان يَفْهَمُ بحكم العقل أَنَّ تفطيرَ الصائم هو إعانةٌ له على الصيام ، إِذَنْ فَمُفَطِّرُهُ شريكُهُ في الأَجْرِ دُونَ أَنْ يَنْقُصَ أَجْرُ ذٰلِكَ الصائم .

ويقول الشيخ الشوشتريّ : المرادُ من التسحير والتفطير إشباعُ الصائم ، لا أَنْ يُعْطَىٰ كُوْبَ ماءٍ ساخِنٍ أَوْ تَمْرَةً ، فالثوابُ المذكور هو متعلِّقٌ بالإشْباع وحَبَّذا أَنْ يكونَ غايةً في الجَوْدَةِ والطيبةِ .

ولا تتخيَّلوا أَنَّكم إذا فرَّقْتُمْ تمراتٍ في صَفِّ الجماعَةِ نِلتُمْ فالعِتْقِ عِدَّةِ رقابٍ من الثواب .

وإذ كانَ رسولُ الله ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ على المنبر يُخْبِرُ بثوابِ التفطيرِ ، قالَ له رجلٌ مِن تحتِ منبرِهِ الشريف :

يا رسولَ الله ، ليس كلُّنا يقدِرُ على ذلك .

وكانَ في مسجدِهِ ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أربعُ مئةِ فقيرٍ في غايةِ الفَقْرِ ، وكانوا يُرِيدُونَ أَنْ يُفَطِّرُوا إخوانهم الصائمين .

فأخبرَهُمْ أَنْ يُقَدِّمُوا ما يُطيقونَ وَلَو مِنْ نَحْوِ تَمْرَةٍ وشُرْبةِ ماءٍ ، وَأَنَّ الله ـ سبحانه ـ يُثِيبُهم ثَوابَ المُحْسِنِ المتمكِّن .

والضيفُ يأتي بالبركةِ ويخرُجُ بذنوبِ أَهْلِ الدارِ .

تحسين الأخلاق والتخفيف على من هم معه

« أيها الناسُ مَنْ حسَّن خُلَقَه في هذا الشهر كانَ له جوازاً على الصراطِ يَوْمَ تَزِلُّ الأقدامُ .

ومَنْ خُفَّفَ في هذا الشهرِ عَمَّا ملكتْ يمينُهُ خَفَّفَ الله عليهِ حِسابَهُ » .

هذِه دَعْوةٌ كريمةٌ لتهذِيبِ النفس في شهر رمضان المبارَك والسُمُوِّ بها عَمَّا يَشِينُها ، فهذا الشهرُ فُرْصةٌ نادِرةٌ لبُلُوغِ مكارِم الأخلاقِ التي هِي جَوازُ مُرورٍ مطمئنٍّ علىٰ الصراط المستقيم .

وهِي تذكير للإنسانِ بِوُجوبِ المَرْحَمةِ عليه في هذا الشهرِ الكريم لِمَنْ جَعَلَ الله أمْرَهُم بيده وزيادةِ اللطفِ بِهِمْ والإحْسانِ إليهم . فارْحَمُوا أولادَكم ونِساءَكم وتلاميذَكم وأُولي الصلةِ بكم جميعاً وخَفِّفُوا عنهُم الأذىٰ ليُخفِّفَ الله عنكم الحسابَ يومَ الفزع الأكبر .

العفو وصلة الرحم

« ومَنْ كفَّ فيه غضبَه كفَّ الله غضبَه عنه يوم يلقاهُ ، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يومَ يلقاهُ ، ومن وصل فيه رحمه وصل الله برحمتِهِ يومَ يلقاهُ ، وَمَنْ قطع رَحِمَهُ قطعَ الله عنه رحمته يومَ يلقاهُ » .

يا لَها مِنْ بُشْرَىٰ هذهِ التي بَشَّرَ بها رسولُ الله ـ صلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَأيُّ شيءٍ أعْظَمُ مِنْ عفوِ الله وإكرامِهِ وصِلَتِهِ برَحْمَتِهِ ؟ .

وما قيمةُ فِعْلِ الإنسانِ مهما سَمَا إزاءَ هذِهِ النِّعَم الرَّبانيَّةِ التي لا يبلغها تصوّر ؟ .

فينبغي للصائمِ أنْ يُطْفِىءَ غَضَبَهُ رجاءَ الفوزِ بعفوِ رَبِّه ـ سبحانه ـ ، ويَلْزَمُهُ أنْ يكُفَّ شَرَّهُ عن النَّاسِ قولاً وفِعْلاً ، ولا سيَّما في آخِرِ اليَومِ إذْ يَبْلُغُ بهِ أثَرُ الصَّوْم غايتَهُ .

فهـذا الشهرُ المبـارَكُ فُرْصـةٌ نَتَعَلَّمُ فيها ضَبْطَ النَفْسِ وإكـرامَ اليتيم وصِلَةَ الرحـم واجتِنابَ القـطيعةِ وسِـواها مِنْ مكـارِمِ الأَخلاقِ التي تبعثُنـا على الفـوزِ بِرِضْوانِ الله ـ تعالى ـ في الآخِرةِ ، والجماعَةِ الهانئةِ في الدنيا .

ثواب الصلاة المستحبة والواجبة في شهر رمضان

« وَمَنْ تَطَوَّعَ فيهِ بصـلاةٍ كتب الله له بـراءَةً مِنَ النارِ ، ومن أَدَّى فيـهِ فرضـاً كانَ لَهُ ثوابُ مَن أدّىٰ سبعينَ فريضةً فيما سواهُ من الشهور » .

الشياطين في غل

« والشياطين مغلولة » .

اعلموا أنّ الله ـ تعالى ـ يَغُلُّ الشياطينَ في هذا الشهرِ المبارَك .

وقد وردتْ روايات كثيرةٌ عن خاتم الأنبياءِ ـ ص ـ في هذا المـوضوع مِنهـا أَنَّ الله ـ سبحانه ـ جَعَلَ كلَّ سبعةٍ مِنَ الملائكـةِ على شيطانٍ واحِـدٍ يَحُولـون بينه وبينَ إغواءِ الناسِ حتَّى نهاية شهرِ رمضان المبارَك .

أيّ أنَّ الشياطينَ مُقَيَّدةٌ .

قال السيد ابن طاووس ـ رحمه الله ـ قال بعضُهم لا فَرْقَ بين شهـر رمضان وسائِر الشهورِ ، فنحن نرى أهل المعصيَّة فيه على عاداتِهم قبلَه ، إنْ لم يـزدادوا معصية لا تقلُّ معاصيهم .

بل حتَّىٰ الصائمونَ تندُّ عنهم المعاصِي ، ولو كانتِ الشياطينَ مغلولةً ، ولا تستطيعُ الإغواءَ لما ارتكبَ أحدٌ معصِيَة .

وقد أجابَ السيِّدُ المرحـومُ ابنُ طاووس عن ذلـك عِدَّةَ إجـاباتٍ نُشيـرُ إلَى بعضِها ، فقد قال : لا يَشْمَلُ الغِـلُ كلَّ الشياطين ، وإنَّما يَشْمَلُ أَغْلَبَهُمْ .

بيد أَنَّ الجوابَ الذي يَقْرُبُ مِنَ القبولِ أكثر وهو أقوىٰ مِن سائر أجوبتِهِ هو

قولُهُ : عَمَلُ الشيطانِ هو الإغواءُ والوسوسةُ ، فهو يلقِّنُ الإنسـان الشرَّ ، لكنَّـهُ لا يُجبِرُهُ على فِعْلِهِ .

أي أنّه لَيْسَ هناك إنسانٌ لا اختيارَ له في اقترافِ الذنب ، فهو يَأْثَمُ استِجابةً لِهَواهُ ، لا بإغواءِ الشيطانِ .

ومن مارسَ الخطيئةَ أحد عشر شهراً صارَ هو نَفْسُهُ شيطانـاً ، ولا حاجـةَ بِهِ إلىٰ إغـواءِ شيطانٍ ، فلو غُلَّتْ عنـه الشياطينُ جميعـاً ، لمَا تـركَتْهُ نفسُـهُ الأَمَّـارَةُ بالسُّوءِ يَسْتَرِيحُ من مُباشَرَةِ الذنب .

العَدُوُّ الخارجيُّ مُقيَّدٌ بالسـلاسِلِ ببـركةِ الشهـر المبارَك ، لكِنْ مـاذا يُفعَلُ بالعدوّ الداخِلي ؟ .

ادعو الله النجاة من جهنم

أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونـة بأعمـالكم ففكوهـا باستغفـاركم وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم واعلمـوا أنّ الله تعالى ذكـره أقسم بعزّته أن لا يعـذّب المصلّين والساجـدين وأن لا يروعهم بـالنار يـوم يقوم النـاس لربّ العالمين . أيّها الناس من أفـطر منكم صائمـاً مؤمناً في هـذا الشهر كـان له بـذلك عنـد الله عـزّ وجـلّ عتق رقبـة ومغفـرة لمـا مضى من ذنـوبـه فقيـل لـه يـا رسول الله (ص) وليس كلّنا نقدر على ذلك فقال رسول الله (ص) اتّقـوا النار ولـو بشقّ التمر اتّقوا النار ولو بشربة من ماء .

أيّها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ومن خفف في هذا الشهر من ما ملكت يمينه خفّف الله عليـه حسابه ومن كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه ومن أكـرم فيه يتيمـاً أكرمـه الله يوم يلقاه ومن وصل فيه رحمـه وصله الله برحمتـه يوم يلقـاه ومن قطع رحمـه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ومن تطوّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ومن أكثر

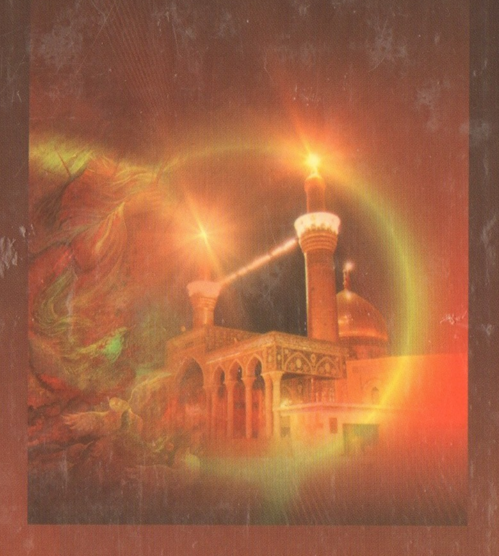
فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تخفف الموازين ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل من ختم القرآن في غيره من الشهور .

أيّها الناس إنّ أبواب الجنان مفتحة فاسألوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم والشياطين مغلولة فاسألوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم .

أَجَلْ أَيُّها الناسُ إنّ دعاءَكُم لَمُسْتَجابٌ مِنْ هذه الليلةِ ، وفي الكونِ ملك يُنادِي هل من سائل ؟ هل من مستغفِر ؟ .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة



سيد الشهداء

ISBN 978-9953-551-16-6

9 789953 551166

Designed by R .Sedik





للطباعة والنشروالتوزيع

لبنان - هاتف: 5 / 344 544 9611+ - فاكس: 787 546 9611+ - ص.ب: 16/25 الغبيري

E-mail: dar_albalagha@hotmail.com